دار العيداروس للكتاب الحديث

دراسات في :

الكتاب الثالث

الخليج والجزيرة العربية

البروفيسور الدكتور / محمد حسن العيدروس

دار الكتاب الحديث

دار العيدروس للكتاب الحديث

دراسات في:

الخليج والجزيرة العربية

الكتاب الثالث

الدكتور/ محمد حسن العيدروس
أستاذ التاريخ - والعلاقات الدولية
رئيس مركز العيدروس للدراسات والاستشارات

دار الكتاب الحديث

953 العيدروس ، محمد حسن.

م ح د ر دراسات فى الخليج والجزيرة العربية/ محمد حسن

العيدروس.-ط 1.- القاهرة:دار الكتاب الحديث ،2008م.

مج3. 362 ص ؛ 24 سم .

تدمك:4 -188-350-977

1- الخليج العربى _تاريخ . 2- شبه الجزيرة العربية _تاريخ.

3- الخليج العربى _العلاقات الخارجية _شبه الجزيرة العربية.

4- شبه الجزيرة العربية _العلاقات الخارجية _الخليج العربى.

أ- العنوان

القاهرة	94 شارع عباس العقاد – مدينة نصر – القاهرة ص.ب 7579 البريدي 11762 هاتف رقم : 22752990 (202 00) فاكس رقم : 22752992 (202 00) بريد إلكتروني : **dkh_cairo@yahoo.com**
الكويت	شارع الهلالي ، برج الصديق ص.ب : 22754 – 13088 الصفاه هاتف رقم 2460634 (965 00) فاكس رقم : 2460628 (965 00) بريد إلكتروني : **ktbhades@ncc.moc.kw**
الجزائر	B. P. No 061 – Draria Wilaya d'Alger– Lot C no 34 – Draria Tel&Fax(21)353055 Tel(21)354105 E-mail_ **dkhadith@hotmail.com**
الامارات	دار العيدروس للكتاب الحديث ص ب 2439 دبي هاتف 043522887 فاكس 043522885 شارع خالد بن الوليد – بناية الماجد 206 دبي إ ع م.

رقم الإيداع	2008/4827
I.S.B.N	977- 350-188 -4

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [الأنعام].

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ... ﴿٢٣﴾ ﴾ [الإسراء].

صدق الله العظيم

إلى روح والدى الشريف/ حسن أحمد علوى العيدروس.. طيب الله ثراه وأغمده الجنة إن شاء الله..

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أول ما نبدأ بالحمد لله، حمدا كثيرا، وثناء عظيمًا، والصلاة والسلام على نبيه الأمين، وعلى ذريته الطاهرين.

أخيراً كانت بداية فكرة قديمة، تحققت بعد مرور أكثر من خمسة عشر عاماً، وهى محاولة لجمع الأبحاث التى قدمت فى المؤتمرات العملية، وكذلك التى نشرت فى الدوريات العلمية، وهى حصيلة لتلك الأعوام، فى هذه الأجزاء.

ليست هذه جميع الأبحاث، وإنما تم اختيار بعض منها فى الفترة الزمنية الممتدة من الأستعمار الإرهابى الأوروبى المسيحى، إلى ما بعد قيام مجلس التعاون الخليجى على نهاية مشارف القرن العشرين، أى أبحاث تتناول التاريخ الحديث والمعاصر لمنطقة الخليج العربى، كما تشمل مختلف أقاليم المنطقة، وتم ترتيب المواضيع، حسب المراحل الزمنية التاريخية وعلى حسب الأقاليم الجغرافية وليس حسب الحدود السياسية المصطنعة من قبل الاستعمار الإرهابى الأوروبى المسيحى؛ لأن التاريخ العربى هو تاريخ واحد، سواء أكان فى المشرق أم المغرب، وإن كنا نتناول فى هذا الكتاب جزءا من تاريخ المشرق العربى، وبالتحديد فى الخليج العربى، وذلك لاختصاصنا الدقيق، فى حين سوف يكون هناك كتابات لأبحاث فى التاريخ العربى بشكل عام، وخاصة فى الأعمال القادمة بإذن الله تعالى.

متمنيا أن يكون هذا العمل الإقليمي، دافعا إلى العمل القومي، وهو الهدف والغاية المنشودة لأجل كتابة تاريخ الأمة العربية، فلا يمكن الوصول إلى الكل، إلا بالبدء عن طريق جمع الأجزاء المتناثرة من التاريخ العربي الموحد، والذي مزقه الاستعمار من جهة، والظروف الخارجة عن إرادة الشعب العربي، بعد أن خرج العرب من التاريخ بسقوط «بغداد» في المشرق، وضياع دويلات وإمارات العرب في الأندلس بالمغرب العربي، بسبب الملذات والأهواء وحب الذات والاستعانة بالمسيحيين ضد إخوانهم المسلمين، وبالتالي ضياع المجد العربي، وسيطرة العثمانيين الأتراك من جهة، والتسلل الاستعماري المسيحي الغربي من جهة ثانية، وتكوين الكيانات والأنظمة القطرية من جهة ثالثة.

نجد من هنا التاريخ الحديث والمعاصر للعرب، متأثراً بهذه النواحي الثلاث، وهذا ما نلاحظه من خلال دراستنا للأبحاث العلمية، وبالتالي يجب إعادة النظر في هذا التاريخ للاستفادة من الدروس والعبر بقدر الإمكان، لأننا نجتاز اليوم مرحلة حاسمة من تاريخنا القومي العربي، بعدما أصبحنا نعيش على هامش التاريخ، وليس في داخل التاريخ، وقد كانت القوى الخارجية هي المحركة لتاريخنا الحديث، ولا تزال كذلك بالنسبة لتاريخنا المعاصر، وهنا تكمن المشكلة! ولكن كيف الحل؟!

موضوعات الأبحاث في الجزء الثالث

تتناول الدراسات في هذا الجزء الثالث عدة مواضيع وهي، الفصل الأول، سقوط الحكم البرتغالي في الخليج العربي في منتصف القرن السابع عشر، الفصل الثاني، الحرب الأهلية العمانية في النصف الأول من القرن الثامن عشر، الفصل الثالث، العلاقات العمانية - الظبيانية في إطار التحالف الهنائي في النصف الأول من القرن التاسع عشر، الفصل الرابع، السياسة العثمانية تجاه الخليج العربي في النصف الأول من القرن التاسع عشر، الفصل الخامس، الوضع الاجتماعي

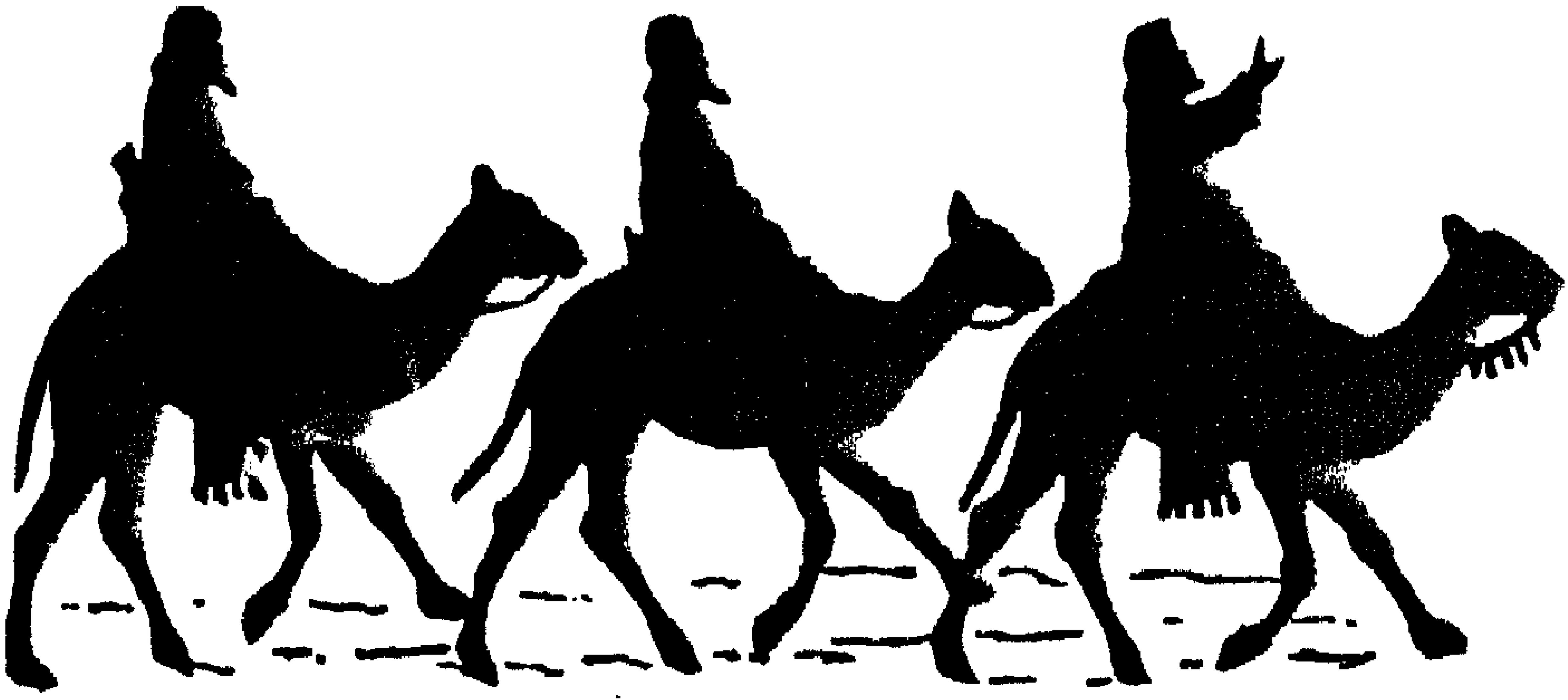
والاقتصادى لمدينة الدوحة فى العهد العثمانى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، الفصل السادس، ابن سعود واتفاقية الصبيحية مع الدولة العثمانية عام 1914، الفصل السابع، رحلة «الساكوب» إلى جزيرة «السقطرة»، الفصل الثامن، نشأة الجامعات فى شرق الجزيرة العربية، الفصل التاسع، التحديات الداخلية لدول مجلس التعاون.

نرجو فى الختام من الله تعالى أن يوفقنا إلى كتابة الحق، وقول الحق، وعمل الحق، إنه ولى التوفيق وهو السميع المجيب، وأن يكون هذا العمل دافعا إلى أعمال بحثية أخرى مستقبلا، وأن يكون البداية وليس النهاية.

آخر ما نختم بالحمد لله والصلاة على أشرف خلق الله سيدنا وحبيبنا محمد ﷺ، وعلى آل بيته الطاهرين رضوان الله عليهم أجمعين إلى يوم الدين.

د. محمد حسن العيدروس

الفصل الأول



سقوط الحكم البرتغالى فى الخليج العربى فى منتصف القرن السابع عشر

نشر هذا البحث فى مـجلة بحوث كلية الآداب- جامعة المنوفـية - العدد الثالث عشر، أبريل 1993.

تقديم

يعتبر الحكم البرتغالي للخليج العربى بداية الاستعمار الإرهابى المسيحى الأوروبى، وتدهور التجاره العربية، وكان نهاية الحكم المسيحى البرتغالى امتداداً للقوة الاستعمارية الإرهابية المسيحية الأوروبية الرأسمالية الجديدة والمتمثلة فى«هولندا» و«بريطانيا» ثم فرنسا.

لكن الذى يهمنا هو قيام دولة قوية فى تاريخ الخليج العربى، هى الإمامة اليعربية التى لعبت دوراً رئيسيًا فى سقوط الحكم المسيحى البرتغالى فى الجانب العربى، بعدما سقط الحكم البرتغالى فى الجانب الشرقى من مدخل الخليج العربى، ولم تحرر الإمامة اليعربية عمان بما فيها ساحل عمان والبحرين ومنطقة «كنج» فى الساحل الفارسى فحسب، وإنما بدأت تلاحقه إلى الهند وشرق أفريقيا، وحاولت معالجة هذا الموضوع بشكل متكامل ومتوافق مع أسبابها ونتائجها.

أدى فشل السياسة الإرهابية المسيحية البرتغالية فى المنطقة إلى سقوط حكمها، وكان من نتائجه تدهور النظام الاقتصادى القديم وظهور الثروة الصناعية والنظام الرأسمالى الجديد فى أوروبا لتراكم رؤوس الأموال. ونهاية الوجود السياسى والعسكرى للإرهاب المسيحى البرتغالى من الخليج العربى، والذى بدأ يتدهور من هرمز عام 1622 وانتهى فى مسقط.

فشل السياسة الإرهابية المسيحية البرتغالية:

بدأت عوامل سقوط الحكم مع قيامه فى المنطقة، لاتباع البرتغال سياسة إرهابية مسيحية فاشلة من البداية، ولكن نظراً للتفوق العسكرى، مقابل ضعف المقاومة العربية والاسلامية، كان ذلك من أسباب تأخر سقوط الحكم الإرهابى المسيحى البرتغالى. ولا ننسى التنافس الأوروبى، وخاصة الأنكلو - هولندى ضد

البرتغال والأسبان، والذى جاء متأخرا أيضا مع نهاية القرن السادس عشر، بعد تحرير هولندا من الأسبان ومحاولة نهوض بريطانيا بكيانها. ولهذا سوف ندرس فشل السياسة الإرهابية المسيحية البرتغالية، التى حملت بذور الإخفاق منذ مجيئها إلى المنطقة.

إن تعارض المصالح الاقتصادية التجارية بين الأوروبين الإرهابيين المسيحيين الكاثوليك البرتغال و«البنادقة» أدى إلى الصراع والعداء فى شرق البحرالمتوسط، فى الوقت الذى أدى التقاء المصالح الاقتصادية التجارية بين مسلمى «المماليك» ومسيحيى «البنادقة» إلى التحالف فيما بينهما. ولهذا فإن العامل الدينى قد لا يكون سببا فى بداية الصراع، بالروح الإرهابية الصليبية ظاهريا. ولكن فى الحقيقة كان اندفاعا اقتصاديا وتجاريا، والتمسك بالروح الإرهابية الصليبية إنما كان القصد من ورائه هو كسب العالم المسيحى الأوروبى وبابا «الفاتيكان» ورفع معنويات الجنود بالدافع والحماس الصليبى لكسب المعارك وتحقيق السيطرة والهيمنة الاستعمارية. ومع هذا يصعب الفصل بين العامل الاقتصادى والدينى، وقد يكون فى البداية صليبيا دينيا، ثم تحول بعد السيطرة واستغلال الشعوب فى آسيا وأفريقيا إلى العامل الاقتصادى التجارى، ونلاحظ أيضا فى الفترة المتأخرة قلة التعصب الإرهابى الدينى مع الاستغلال الاقتصادى.

أما بالنسبة للأعمال الإرهابية من البطش والتنكيل والتطهير العرقى والإبادة الجماعية والتعصب الدينى ومحاولة الوصول إلى الأماكن المقدسة فى الحجاز لتدميرها فى الحكم البرتغالى المسيحى للمنطقة، فيرجع هذا إلى حب الانتقام والإرهاب، وهو امتداد الحروب الصليبية المسيحية العالمية ضد العرب حكام شبه جزيرة «أيبريا» بالأمس. ولهذا يمكن القول بأنه من الصعب جداً الفصل بين الدافع الصليبى المسيحى الإرهابى والدافع التجارى الاقتصادى، أو تفضيل أحدهما على الآخر. وكان الوصول إلى الشرق للسيطرة على التجارة، دون الحاجة إلى الوسطاء العرب والبنادقة، من الأهداف الأساسية للسياسة الإرهابية المسيحية

البرتغالية. وبرغم أنهم حققوا هذا الهدف، واحتلوا سواحل الهند الغربية فى «غوا» عام 1505، فلماذا اتجهت السياسة الإرهابية المسيحية البرتغالية إلى الجزيرة العربية التى لا تحتوى أى موارد اقتصادية قد تغرى بالاحتلال؟.

يرجع ذلك إلى فشل البرتغال فى تحقيق السيطرة الكاملة على التجارة التى ظلت تحت أيدى العرب، وكذلك موانئها المزدهرة بتجارة إعادة التصدير المعروفة اليوم «بالترانزيت» مثل موانئ «البحرين» و«شحر» و«مرباط» و«قشن» و«سيحوت» و«عدن» و«مخا» .. وغيرها. واستمرت التجارة فى التسرب إلى «القاهرة والبصرة»[1] برغم الحصار الذى فرضه الاسطول البرتغالى القوى فى المحيط الهندى على الموانئ، والسفن التجارية العربية، وكان هذا التسرب عن طريق الخليج العربى بعامة والبحر الأحمر خاصة، وبدأت التجارة تعود من جديد[2]. ويقول المؤرخ العلامة «عبد القادر عبد الله العيدروس» الذى عاصر تلك الفترة فى القرن السابع عشر فى مخطوطته المعروفة «بالنور السافر»[3]: «إن التجارة استمرت برغم القمع البرتغالى بين سلطنة كجرات الإسلامية فى الهند ومدن حضرموت ومنها إلى مصر».

مما دفع السياسة البرتغالية إلى السماح لبعض قادتها العسكريين بممارسة الإرهاب والقرصنة البحرية ضد حركة التجارة العربية، وقاموا باحتلال المصادر الرئيسية لتجارة «التوابل» فى «ملقا» بـ ماليزيا[4] وجزر اندونيسيا لمنع عرب الحضارمة من الوصول إلى تلك المصادر الرئيسية، إضافة إلى القضاء على الإسلام والمسلمين[5].

وهذا ما دفع «الحضارمة» إلى التعاون مع السكان المحليين فى إيجاد مقاومة وطنية وإقامة حكم إسلامى قوى فى جزيرتى سومطرة وجاوه بإندونيسيا، والتى استطاعت الصمود أمام الاستعمار الإرهابى المسيحى البرتغالى حتى مجئ الهولنديين، الذين جاءوا فى البداية كحلفاء ومساعدين ضد البرتغاليين، وسرعان ما تحولوا إلى غزاة إرهابيين مسيحيين مستعمرين لإندونيسيا. وتدل الشواهد

التاريخية على أن البرتغاليين برغم سيطرتهم على حركة التجارة الرئيسية فى هرمز وموانئ غرب الهند ومسقط والبحرين في القرن السادس عشر، إلا أنهم فشلوا فى السيطرة على موانئ حضرموت مثل: شحر و«مرباط» و«قشن» ثم عدن وجدة، وبالتالى فى الحصار التجارى للبحر الأحمر، وبعدها خسروا ملقا التى سقطت فى أيدى الهولنديين.

هذا الفشل جعل التجارة العربية فى حضرموت وعدن وجدة والسويس لا تتأثر بالعمليات الإرهابية المسيحية البرتغالية إلا جزئيا، ونظر العرب إلى الوجود الإرهابى المسيحى البرتغالى على أنه مجرد إزعاج عابر، ولم يعتبروه مرحلة تاريخية جديدة، وبذلك لم يكن تأثير البرتغال حاسما على التجارة العربية(6). مما جعل «سواريز» الذى خلف «البوكيرك» كنائب للملك فى الهند، يتبع سياسة جديدة تختلف تماما عن السياسة البرتغالية السابقة التى اتبعها البوكيرك، وتمخض عنها تطورات سياسية واقتصادية أدت إلى إنعاش التجارة البرتغالية، كالتجارة العربية السائدة قبل مجىء البرتغاليين، والتوقف عن السياسة الإرهابية المسيحية السابقة التى لجأت إلى أساليب العنف المسلح والإبادة الجماعية بالحرق والتطهير العرقى ولتنفيذ هذه السياسة الجديدة، تم تعيين ضباط جدد لجمع الضرائب من المناطق البرتغالية مثل هرمز. كما أدى إلى تحول القادة العسكريين إلى تجار، لأن السياسة الجديدة استهدفت إعطاء الحرية للحركة التجارية التقليدية، ولكن تحت السيطرة البرتغالية وإشرافها المباشر، للحصول على أكبر قدر من العوائد المادية(7). ولم تتغير التجارة التقليدية، أى تجارة المضاربة التى استمرت السياسة البرتغالية تتبع فيها نفس الأساليب التي كانت موجودة قبل مجيئهم، وهى(8):

أ - كميات التجارة قليلة إذا ما قورنت بالتجارة المضاربة.

ب - استهدفت السياسة البرتغالية المتاجرة كمشروع خاص.

جـ - اتباع سياسة فرض السيطرة لضمان الاستغلال المالى للتجارة، كفرض الرسوم السنوية والجمركية على مختلف أنواع النشاط التجارى من شحن وتفريغ وتخزين فى الموانئ.

د - كانت التجارة تحت سيطرة وإشراف القادة الإرهابيين العسكريين وكبار الموظفين ورجال الدين المسيحى ورجال الطبقة الأرستقراطية الإقطاعية.

لم تدخل السياسة البرتغالية أى عنصر جديد فى التجارة التقليدية، ولم يكن البرتغاليون سوى جامعى ضرائب، ولم تكن «الاستا دوا إنديا Esta-doa-Endia» سوى مؤسسة لتوريع الإرهاب والقرصنة البحرية الرسمية والعنف المنظم مقابل رسوم الحماية، فى حين كان الكارتازة أى «القرطاسة» أو «الورقة» الأداة التى تجمع «الاستا دوا إنديا» الرسوم والضرائب بواسطتها، أى بيعها إلى التجار وأصحاب السفن. ويمكن القول بأنها مصاريف الحماية التى تقدمها «الاستادوا إنديا» للسماح للتجار والسفن بالمتاجرة فى المحيط الهندى، وكل من لا يحصل عليها يكون عرضة للسلب والقرصنة البحرية والإرهاب من قبل الأسطول البرتغالى الإرهابى المسيحى، كما لا يسمح للسفن بمغادرة الموانئ البرتغالية إلا بعد حصولها عليها.

تقوم السلطات البرتغالية بجانب «الكارتازة» بتحصيل الرسوم الجمركية على البضائع بما لا يقل عن (10٪) ولهذا الغرض كان البرتغالى يجبر السفن التجارية على التوجه إلى ميناء هرمز أو مسقط. وقد سوغ البرتغاليون مؤسسة «الكارتازة» بأنها تعمل على نشر المسيحية ودورها التنصيرى لقطع العلاقات والاتصالات فيما بين المسلمين فى الشرق، وللضغط الاقتصادى على العثمانيين. أما علاقة «الكارتازة» بالحكام المحليين، فقد كانت عبارة عن الإرهاب والقرصنة والضرائب الجمركية والرسوم التى تتصل بتنظيم عمليات الشحن البحرى بين موانىء المنطقة(9).

عوامل فشل السياسة الإرهابية المسيحية البرتغالية:

هناك عدة عوامل أدت إلى فشل السياسة البرتغالية فى المنطقة وأهمها:

أولا: الروح الإرهابية الصليبية

إن قيام السياسة البرتغالية على الروح الصليبية وعقلية الاسترداد والتطهير العرقى، أدى إلى فشل تلك السياسة. يقول «يوركا» فى كتابه الذى يعتبر من أهم المصادر البرتغالية فى يومنا هذا، ولأنه كتب عن الوجود المسيحى البرتغالى وكان

شاهدا على نهاية السيطرة البرتغالية بقوله: إن فشل السياسة البرتغالية يرجع إلى الفشل الكامل الذى منيت به أية محاولة لتحويل الناس إلى المسيحية[10].

جاء البرتغاليون بروح إرهابية متحمسة لنشر المسيحية فى كل مكان بالحديد والنار، وقد سيطروا عليه، ومنها مسقط، فقاموا ببناء ثلاث كنائس، ولا تزال الكنائس الصغيرة التى بناها البرتغاليون باقية حتى الآن فى قلعة الميرانى فى حين تهدمت الكنيستان[11] الأخريان، أو أن العمانيين أنفسهم قاموا بهدمها بعد تحرير مسقط.

ثانيا: الابتزاز والإرهاب والاضطهاد

اتجهت السياسة المسيحية البرتغالية إلى ابتزاز التجار والأمراء المحليين، واتبعت أساليب البطش والقرصنة البحرية والقهر والتطهير العرقى والإرهاب المسيحى فى معاملة السكان، وسوف نورد مثالا لسياسة البطش لأحد الضباط البرتغاليين ويدعى «روى فرير» الذى كان يصر على تنفيذ أوامره بالكامل، وذات مرة أعدم أحد الجنود المحليين لأنه أبقى فتاة إيرانية جميلة بعد أن أمر «روى فرير» بقتل كل المسلمين الإيرانيين بغض النظر عن أعمارهم أو أنواعهم[12].

لذا كان البرتغاليون غير محبوبين من سكان المنطقة، الذين يحتقرونهم ويمقتونهم لاحتكارهم التجارة والتطهير العرقى والقرصنة البحرية والإرهاب المسيحى وأنظمتهم التعسفية وكانوا يتحينون الفرص للتخلص من حكمهم وسيطرتهم[13].

ثالثا: المقاومة العربية

اعتمدت السياسة المسيحية البرتغالية على القوة العسكرية والتعصب والإرهاب والقرصنة والجشع فى المناطق المفتوحة، وليس التعامل التجارى السلمى فى النشاط الاقتصادى، مما جعلها تحمل عوامل فشلها، خاصة عندما أعلن الحكام وشعوب المنطقة التمرد والثورات ضد وجودها العسكرى، نتيجة للسياسة التى

اتبعها البرتغاليون مع العرب[14]، مما أدى إلى قيام الجهاد الإسلامى. وأثارت روح المقاومة الإسلامية لدى السكان المحليين الذين أخذوا يتحينون الفرصة المناسبة للانقضاض على البرتغاليين والتحرر منهم[15]، علما بأن المقاومة الإسلامية العربية كانت قد بدأت منذ مجيء البرتغاليين ابتداء من عام 1515 الذى أخضع فيه «البوكيرك» «رئيس حامد» فى هرمز، مرورا بمقاومة عام 1522 التى أدت إلى تدمير صحار، ثم عودة هرمز للحكم البرتغالى بعد القضاء على المقاومة الإسلامية، مرورا بالانتفاضات الإسلامية ضد الاستعمار المسيحى البرتغالى فى «مسقط» و«قلهات» و«البحرين» عام 1529 وكذلك المقاومة العربية الإسلامية عام 1585 فى عمان[16].

لم يهدأ الجهاد الاسلامى ضد الاستعمار الإرهابى المسيحى البرتغالى، فانتهز عرب الخليج العربى الفرصة التى هيأها الصراع العثمانى - البرتغالى للتخلص من الحكم المسيحى الاستعمارى، وبدأت المقاومة الإسلامية فى البحرين عام 1602 ثم فى قريات بعمان 1619. وبرغم نجاح الاستعمار الإرهابى المسيحى البرتغالى فى إخمادها، إلا أن عرب الخليج العربى اتفقوا على قيام ثورة إسلامية شاملة فى المنطقة ضد الوجود البرتغالى لمواجهة جميع المراكز والقلاع والحصون البرتغالية فى يوم واحد، هو الحادى والعشرين من أكتوبر عام 1621.

هاجم العرب فى ذلك اليوم جميع المراكز والسفن البرتغالية فى البحرين وصحار وقريات ومسقط وخورفكان وقلهات، واستمر القتال أكثر من ستة أشهر، استولى أثناءها عرب المنطقة على عدد من الموانئ والمراكز برغم النجدات البرتغالية المتلاحقة.

دل هذا التلاحم فى النضال ضد الاستعمار المسيحى الإرهابى لدى عرب المنطقة على روح الوحدة الإسلامية التى تربط بين أبنائها، برغم عدم نجاح المقاومة بسبب حدوث بعض الانشقاقات بين زعمائها.

اندفعت ثورة اسلامية أخرى فى عام 1625 وبعث قادتها برسائل إلى إخوانهم العرب فى المنطقة لتوحيد الجهاد ضد الاستعمار المسيحى الإرهابى،

وأوشكت الثورة الإسلامية أن تشمل المنطقة بأكملها، لولا أن أسرع نائب الملك البرتغالي فى الهند بإرسال أحد قواده ومعه خمس بوارج حربية لإقناع زعماء العرب بعدم جدوى ثورتهم، وأنه أقال «ديا جورى ملو» الحاكم البرتغالى فى عمان[17]. فى حين قام عرب البحرين بإقفال الطريق أمام السفن البرتغالية، وهاجموا مراكز وأماكن إقامتهم فى المنامة، وأجبروهم على الرحيل عنها. واستمرت الاشتباكات بين الطرفين بحرا لعدة أشهر[18].

لكنها أيضا انتهت بدون تحقيق نتائج إيجابية، لعدم التكافؤ وقلة السلاح الحديث الذى لم يكن موجود أصلا، وكذلك السفن الحربية الحديثة.

الأهم من هذا عدم وجود كيان عربى موحد وقوى، ولكن العرب لم ييأسوا أو يستسلموا للحكم الاستعمارى الإرهابى المسيحى البرتغالى، واستمروا فى المقاومة والجهاد.

نظرا لفشل المقاومة وحركات التحرر العربية المتلاحقة، فإن ذلك أعطى درسا لزعماء القبائل فى عمان، وعلمهم أن نجاح المقاومة رهن باتحادهم، وبإنشاء دولة عمان الموحدة، ولذا اختاروا نظام الإمامة[19].

تزعمت عمان تحت قيادة أسرة اليعربية المقاومة الإسلامية، واستطاع الإمام ناصر بن مرشد اليعربى عام 1624 أن يطرد الإرهابيين المسيحيين البرتغاليين ويحرر مدن ساحل عمان (دولة الإمارات العربية المتحدة اليوم) مثل: رأس الخيمة وخورفكان، وأن يحقق اليعاربة بعثا جديدا للجهاد الإسلامى، وللسيطرة العمانية على المقدرات السياسية فى جنوب شرقى الجزيزة العربية[20].

رابعا: تركز الوجود المسيحى البرتغالى على النقاط الإستراتيجية

لا يمكن تسمية الوجود الاستعمارى الإرهابى المسيحى البرتغالى بالإمبراطورية، كدولة مترامية الأطراف والحدود، وانما دولة إرهابية استعمارية يتركز وجودها على النقاط الاستراتيجية والتجارية والممرات المائية، وقيام المؤسسات

التجارية والإدارية والعسكرية، كقواعد تعمل للتجارة باستخدام القرصنة البحرية والإرهاب المنظم والعنف المسلح، وتحتفظ فى النقاط بسفن حربية محدودة بشكل دائم، وخاصة المقر الرئيسى بـ «غوا».

تقوم السفن الحربية بأعمال الدورية بشكل منتظم فى البحار والمحيط الهندى، لمراقبة السفن والحركة التجارية وإخضاعها بالقرصنة البحرية تحت السيطرة المباشرة.

خامسا: قلة العنصر البشرى

قلة العنصر البشرى فى المراكز والقواعد البرتغالية، وهذا يرجع إلى قلة عدد سكان البرتغال، الذى لم يتجاوز المليون خلال القرن السادس عشر، وقد أدى إلى فشل تحقيق السياسة الإرهابية المسيحية البرتغالية، التى لم تتمكن من الاحتفاظ بالمراكز والنقاط والقواعد البرتغالية المترامية المواقع والأطراف، لقلة الجنود البرتغاليين وتوزيعهم على مختلف المراكز للحماية.

إن قلة العنصر البشرى فى تلك المراكز والنقاط جعل البرتغاليين يعتمدون على المرتزقة من الهنود وغيرهم، مما جعلهم يضطرون إلى إقامة علاقات ومعاهدات مع بعض الدول والإمارات، لتجنيد بعض أفرادها كمرتزقة، وخاصة من الهندوس.

كما لم يصادفوا صعوبات فى تجنيد الإيرانيين والبلوش حيث كان معظم المرتزقة من البلوش، ومن الطبيعى أن لا يكون دفاع هؤلاء المرتزقة مثل دفاع البرتغاليين أنفسهم[21].

تقول المصادر البرتغالية إن هذه القوات الثانوية من المرتزقة كانت تؤدى واجبها بولاء مثالى، طالما كانت تتلقى رواتبها بانتظام وبشكل كامل[22].

وحاول البرتغاليون الابتعاد وعدم التعاون مع البحارة المسلمين، من الهند خاصة، لفترة طويلة. ولكنهم فى نهاية القرن السادس عشر، تعاونوا معهم بشكل مطلق، محاولين تنصيرهم ونشر الدين المسيحى، ولكنهم أخفقوا فى ذلك ولم

ينجحوا مما اضطرهم إلى استخدام العنف والإرهاب والتطهير العرقى ضد المسلمين.

اعتمدوا أيضا على العناصر الأخرى مثل الرقيق والمرتزقة من بعض الأوروبيين والهنود من مسيحيى «الرز» أى الذين تنصروا من أجل المال، وليس دفاعا عن المصالح القومية للبرتغاليين، مما يعنى عدم مساهمتهم فى القتال كما يجب وهذا ما أدى إلى قلاقل ومشكلات فى البحرية البرتغالية وإلى حوادث التمرد لكبار الضباط البرتغاليين[23].

سادسا: انتشار الرشوة والفساد

انتشرت الرشوة والفساد بين البرتغاليين، حتى أصبحت السمة البارزة فيهم، وأصبحت مؤسسة شبه رسمية، وتباع المناصب العليا فى الدولة والمراكز القيادية والإدارية من قبل التاج البرتغالى.

سابعا: ضم البرتغال لأسبانيا

تم ضم البرتغال لأسبانيا عام 1580 بقيادة فيليب الثانى[24] ولم تستقل البرتغال حتى عام 1640 تحت قيادة أسرة براغزا.

يرى معظم المؤرخين أن هذا الضم أو توحيد أسبانيا والبرتغال، أضعف الإدارة الإرهابية المسيحية الاستعمارية فى الهند وهرمز ومسقط، نتيجة لفقدان الدعم الآتى من وطنها الأم.

لكننا نرى عكس ذلك، ونعتبر هذه وجهة النظر الأوروبية المسيحية للتقليل من أهمية المقاومة الإسلامية العربية وخاصة حكم أئمة اليعارية.

استمرت السياسة البرتغالية تجاة الخليج العربى بصفة عامة وتجاه التجارة العربية فى المحيط الهندى بصفة خاصة، كما هى أثناء الوحدة الأسبانية البرتغالية، تحت حكم التاج الأسبانى، إن لم تكن أقوى من قبل.

نظرا لأن هذا الاتحاد قد زاد فى قوة البرتغاليين، مما جعلهم يتعرضون للسفن التجارية الهولندية وغيرها، ومنعها من التوجه إلى ميناء لشبونة، بغية تصدير المنتجات التجارية مباشرة إلى مختلف أنحاء أوربا من لشبونة وعلى سفنهم فقط، لجنى الأرباح كاملة، ورفعوا أسعار تلك المنتجات الشرقية مثل التوابل والبهارات، وهذا مما دفع هولندا إلى أن تسعى إلى مصادرها الأساسية فى آسيا[25].

شدد الأسبان قبضتهم على المستعمرات والمراكز والقواعد البرتغالية، وقدموا لها كل الدعم المطلوب، وقاموا بزيادة التحصينات العسكرية. ويكفى أن نلاحظ القلعتين الكبيرتين وهما «الميرانى والجلالى» واسماهما القديمان «كابيتان وسان جوا» فى مسقط وقد تم بناؤهما من قبل الأسبان عام 1586[26] . وهما من قوة التحصين قائمتين إلى يومنا هذا. وقد بدأ الضعف والفشل مع بداية الممارسات الخاطئة للسياسة الإرهابية المسيحية البرتغالية منذ مجيئها إلى المنطقة فى بداية القرن السادس عشر واستمر حتى نهاية، أو حتى ما بعد الانفصال أو الاستقلال عن اسبانيا.

ثامنا: احتكار السلع

اعتمدت السياسة البرتغالية على الاحتكار البيروقراطى للسلع المربحة بطريقة تقليدية، فساهم فى فرض الهيمنة البرجوازية التجارية الحكومية، نتيجة للتعبئة الاقتصادية.

أحدثت التجارة البرتغالية التراكم الرأسمالى الذى يوفق بين التجارة والإدارة الارستقراطية، كما حدث لدى هولندا وبريطانيا فيما بعد[27].

اتبعت الحكومة البرتغالية سياسة مركزية ومتحيزة وغير رشيدة، وكانت على حد تعبير النظريات الاقتصادية السائدة فى ذلك الوقت- تنزع إلى التضحية بكل شىء فى سبيل تكديس التوابل[28]. وإن هذا الاحتكار الحكومى البرتغالى للسلع المربحة، لم يترك المجال مفتوحا للتجار البرتغاليين لتأسيس شركات احتكارية على غرار الشركات التى أنشأها الهولنديون والبريطانيون، لربط مصالح الطبقة

الرأسمالية والأفـراد بحركة الاستعمار المسـيحى البرتغالى، كما حدث للاسـتعمار الهنولندى البريطانى بالنسبة لشركات الهند الشرقية.

تاسعا : عدم الاهتمام بالتطور الصناعى

أدت سياسة الإرهاب والتطهير العرقى والتـسلط على القوى المحلية الضعيفة إلى عدم الاهتـمام من قبل البرتـغاليين بالتطور الصناعى السـريع للدول الأوروبية البحـرية الأخرى، التى بدأت تنافس الوجود البـرتغالى فى أواخر القـرن السادس عشر، مثل هولندا وبريطانيا وفرنسا .

يرجع ذلك لامتـداد السياسة البـرتغالية التوسـعية إلى الأمريكتـين والمحيط الهندى على الطريقة التى اتبعتها وذكرناها سابقـا. مما جعل من البرتغاليين جامعين للضرائب ومصدرين للعنف والإرهاب المنظم والقرصنة البحرية، مقابل الحماية من الدرجـة الأولى. وكل ذلك أدى إلى تـدفق الأمـوال والذهب والفـضـة والأرباح الهائلة الناتجة عن مبيعات السلع الاحتكارية، على البرتغال وأسبانيا، والتى لم يتم استثـمارها هناك لتطوير النظام الاقتـصادى والإدارى والصناعى. وإنما ذهبت تلك الأموال الكثيرة بدورها إلى دول وسط وغرب أوروبا لشـراء البضائع والكماليات، وخاصة إلى جنوة فى إيطاليا وبافاريا فى ألمانـيا وهولندا وفرنسا وبريطانيا، مما نتج عنه تطور النظام الاقتـصادى الرأسمـالى الأوروبى الغربى فى تلك الدول، وذلك بالإضافة إلى تحـقق التقدم الصناعى والتقنى. وهـذا ما هو حادث الآن مع الدول البترولية العربية.

نتائج إخفاق وفشل السياسة البرتغالية

كـان من أهم نتائـج إخفـاق وفشـل السيـاسـة البرتغـاليـة، تدهور النظام الاقتصادى القديم والتجارة التقليدية المتمثلة فى تجارة المضاربة، وبداية ظهور النظام الاقتصـادى الجديد والمتمثل فى الرأسـمالية الصناعيـة، التى بدأت تنشأ فى وسط وغرب أوربا نظرا لتدفق الأموال البـرتغالية والأسبانية. أمـا على الصعيد المحلى،

فإن أخطاء وإخفاق وفشل السياسة الإرهابية المسيحية البرتغالية قد أدت إلى ظهور المقاومة الاسلامية العربية، المتمثلة فى اليعاربة بعمان، إضافة إلى التنافس الهنولندى - البريطانى مما كان له دور رئيسى فى إنهاء الوجود السياسى والعسكرى، وبالتالى سقوط الحكم البرتغالى فى الخليج العربى.

أولا: تدهور النظام الاقتصادى القديم وظهور الرأسمالية الصناعية فى غرب أوربا

ساعد التطور والتقدم الاقتصادى والصناعى لأوروبا الغربية على ظهور صناعات جديدة ومتنوعة، مما خلق لها أسواقا كبيرة وكثيرة فى مختلف أنحاء المستعمرات والأسواق العالمية، وساعد على تبادل المنتجات المحلية والمواد الخام والحصول على أموال كثيرة.

كل ذلك كان على حساب البرتغال وأسبانيا، اللتين كان همهما منحصرا فى تجارة السلع المربحة مثل البهارات والتوابل، واحتكارها تحت سيطرتهم[29] فى المحيط الهندى. وعدم استثمار الأموال الفائضة فى الصناعة. أدى إلى تدفقها إلى أسواق أوربا الغربية، لشراء الكماليات والاستثمار هناك، كما هو حادث اليوم لدول البترول التى لا تعرف كيف تستثمر أموال النفط فى الصناعة، سواء فى دولها أو الدول العربية الشقيقة لضمان المستقبل، وإنما تذهب تلك الأموال إلى أسواق غرب أوربا والولايات المتحدة، كما حدث لأموال البرتغال وأسبانيا اللتين تخلفتا عن التطور والصناعة.

استمرار تدفق الذهب والفضة من المستعمرات. نتيجة لسياسة التوسع الاستعمارى المسيحى البرتغالى والأسبانى فى آسيا وأفريقيا وأمريكا، أدى لاجتياز محنة الإقطاع، وظهور أزمة النظام الاقتصادى ما قبل الرأسمالية، حتى وصل إلى ثورة الأسعار فى منتصف القرن السابع عشر، ونتج عنه فيما بعد كساد واسع النطاق فى الدولة العثمانية والمشرق العربى لتدفق الذهب والفضة، ومن نتائجها كان نشوء وتطور الرأسمالية بقيام الثورة الصناعية، بعد تدفق الأموال لدول غرب

أوربا، وهذا ما دفع تلك الدول للبحث والاستحواذ على أسواق جديدة لمنتجاتها، ثم الاستيلاء على موارد المستعمرات والمناطق الجديدة، والسيطرة على طاقاتها البشرية والطبيعية من الموارد الأولية والخامات اللازمة للصناعة، وتحولها لخدمة النظام الرأسمالي الاحتكاري[30].

بالتالي أدى ذلك إلى ظهور الاستعمار المسيحي الإرهابي والنظام الرأسمالي لدى أوربا الغربية. ولهذا لم تكن البرتغال وأسبانيا إلا وسيلتين لمجيء وتطور الاستعمار الإرهابي المسيحي الحديث والنظام الاقتصادي الرأسيمالي. وتحقق ذلك عن طريق شركات الهند الشرقية المسيحية الأوروبية لكل من هولندا وبريطانيا وفرنسا، والتي جاءت عن طريق التجارة ثم احتكارها واستعمار دول المنطقة في النهاية.

في حين استمرت تجارة المضاربة التقليدية وأساليبها التي تكيف معها الاستعمار المسيحي البرتغالي. والتي كانت سائدة قبل مجيئه، فقد وصلت إلى حدود التشبع، مما أحدث مواجهة بين التجارة التقليدية المحلية والبرتغالية وبداية النظام الرأسمالي في نهاية القرن السادس عشر. مع ظهور شركات الهند الشرقية الهولندية والبريطانية منذ أوائل القرن السابع عشر.

ودخلت تلك الشركات كمنافسين للبرتغاليين، للسيطرة وبسط النفوذ وتحت ستار التجارة، ونجحتا في زحزحة البرتغاليين عن مكانتهم التي حصلوا عليها، واشتبكوا معهم في معارك أسفرت عن سقوط الحكم البرتغالي في «هرمز»، وبذلك كان أكثر الأوضاع حسما، لعدم وجود شركة تجارية للبرتغال، كما هو الحال للهولنديين والبريطانيين لاعتبارهم التجارة على أنها احتكار ملكي[31] وبدون أية كفاءة في المجال التجاري.

نظرا لأن هرمز لم تكن إلا قاعدة ومركزا للتجارة التقليدية في أوج توسعها، ومعقل الإمبريالية التقليدية المسيحية البرتغالية قبل الرأسمالية، ومن ثم فإنها لم تكن مهيأة لهذه المواجهة، وبعيدة عن تطور النظام الاقتصادي التجاري الذي بدأ في دول غرب أوربا، وخاصة هولندا ثم بريطانيا، وبذلك فشلت تلك

السياسة والنظام الاقتصادى والتجارى التقليدى مع سقوط «هرمز» القاعدة التجارية والعسكرية البرتغالية نهائيا.

الفرق الوحيد بين التجارة التقليدية وبين ما أدخله البرتغاليون فى المنطقة، هو أن التجار المحليين أصبحوا يتعاملون مع ممثلى أو وكلاء دولة إرهابية مسيحية استعمارية عسكرية تستخدم العنف المنظم والقرصنة البحرية والارهاب المنظم، وأسعار البيع ثابتة بالاتفاقيات الرسمية مع الدول فى البر، وفى البحر أصبحت تضمنه عن طريق «الكارتازة» دون أن تغير من واقع العلاقات الاقتصادية والسياسة على المستوى المحلى[32].

ثانيا: نهاية الوجود السياسى والعسكرى البرتغالى من الخليج العربى

أ - نهاية الوجود البرتغالى من هرمز عام 1622:

عندما وصل الأسطول البريطانى إلى ميناء «جاسك» على ساحل «مكران» فى «بلوشستان» فى مهمة تجارية عادية، طلب إمام «قولى خان» حاكم «شيراز» فى عام 1622 من الوكيل البريطانى فى ميناء «جاسك» ومن أسطوله طرد البرتغاليين من جزيرة هرمز، وفى حالة رفض طلبه فإن ذلك قد يؤدى إلى إلغاء الامتيازات البريطانية والتى كانت شبه احتكارية فى إيران.

وجد ممثلو الشركة البريطانية أنفسهم فى ورطة حقيقية لعدم وجود رغبة لمحاربة البرتغاليين المسيحيين من جانب، ومن جانب آخر عدم وجود رغبة فى فقدان مصالحهم التجارية الرابحة فى فارس، ففضلوا الأخير، ولكنهم حددوا شروطا معينة مقابل قيامهم بتحرير هرمز من البرتغال وتسليمها لفارس، وفيما يلى تلك الشروط[33]:

1 ـ تقسيم هرمز بالتساوى بينهم وبين الفرس.

2 ـ تقسيم الرسوم الجمركية العائدة من مرور التجارة فى هرمز بين الجانبين مستقبلا.

3 ـ يقوم البريطانيون بتجارتهم فى هرمز بدون رسوم جمركية إلى الأبد.

هاجمت السفن البريطانية وعدد كبير من السفن المحلية مع القوات الفارسية المرابطة فى «جمبرون» (بندر عباس حاليا) وتوجهوا إلى «قشم» واستولوا عليها، ثم إلى هرمز، وطردوا البرتغاليين منها[34] فى عام 1622.

بعد طرد البرتغاليين من هرمز، تعزز مركز البريطانيين فى المنطقة، وحصلوا على فرمان عام 1617 الذى ينص على امتيازات خاصة لبريطانيا فى فارس، كما حصلوا على امتيازات جديدة تمنحهم الحق فى شراء أية كميات بدون حدود معينة من الحرير الفارسى فى أى ميناء من موانئ فارس دون أية رسوم جمركية[35].

بعد سقوط هرمز أقام البرتغاليون وكالة لهم فى «كينج» على الساحل الفارسى، وعقدوا اتفاقا مع الفرس 1625 اعترفوا فيه بسيادة الفرس على هرمز وقشم وانتهز الشاه عباس هذه الفرصة وأقام ميناء جديدا فى مواجهة هرمز، محل قرية قديمة، وأطلق عليه اسم «بندر عباس» واكتسب هذا الميناء أهمية خاصة فى الخليج العربى منذ ذلك الحين حتى اليوم[36].

ب - تحرير عمان من الاستعمار الإرهابى المسيحى البرتغالى:

إن الممارسات اللاإنسانية للاستعمار الإرهابى المسيحى البرتغالى، من تقتيل وإرهاب وتطهير عرقى وقرصنة وتخريب وتدمير وحرق المدن وإغراق السفن وتحطيم الاقتصاد وانتزاع المراكز والأسواق، لعبت دورا فى نفوس العمانيين[37]. ودفعهم إلى جمع الكلمة وتوحيد الصفوف.

تشاور علماء المسلمين على أن ينصبوا لهم إماما، واجتمع العلماء والبالغ عددهم واحدا وسبعين عالما[38] وبايعوا الإمام «ناصر بن مرشد اليعربى» إماما على عمان فى عام 1624. وبعد انتخابه، قام الإمام ناصر بن مرشد بتوحيد البلاد أولا، وذلك بإخضاع حكام المناطق العمانية. وكان الوضع فى عمان قبل مبايعة ناصر بن مرشد: جزء تحت الاحتلال البرتغالى مثل: صحار ومسقط وقريات وصور، إضافة إلى خورفكان ورأس الخيمة (وهما الآن ضمن حدود دولة الإمارات

العربية المتحدة) أما فى الداخل فلكل منطقة حاكم مستقل، مثل «الرستاق» و«نخل» و«سمد» و«إبرا» و«ازكى» و«نزوى» و«منح» و«حصن» و«بلاد سبت» و«حصن الغبى» و«حصن مقنيات» و«بيسات وحصن توام» و«حصن لوى»[39].

ساهمت العوامل التى ذكرناها سابقا فى إضعاف البرتغاليين وتقليص نفوذهم، ولكن نمو قوة عرب عمان كان العامل الحاسم فى سقوط الحكم الإرهابى المسيحى البرتغالى نهائيا من الخليج العربى. نعم لقد عوض البرتغاليون عن خسارتهم لهرمز، بزيادة نشاطهم وقدراتهم التجارية والعسكرية فى مسقط[40] كما عززوا وجودهم فى رأس الخيمة وخورفكان، فى الوقت الذى كان العمانيون يتحفزون فيه للظهور كقوة فعالة فى المنطقة.

قيام حكم الأئمة أو الإمامة فى عمان كان فاتحة لمرحلة مهمة، ليس لعمان فحسب وإنما للخليج العربى، لقد تمتعت عمان فى تلك الفترة بالرفاء والقوة والمجد بشكل لم يسبق له مثيل[41]، والفضل يعود فى ذلك لمؤسسها ناصر بن مرشد اليعربى.

أخضع هذا الإمام مع بداية حكمه، جميع القبائل العمانية التى رفضت الاعتراف به، وما أن تم له هذا حتى أعلن جهاده المقدس ضد الإرهابيين المسيحيين البرتغاليين، وشن حربا بلا هوادة. وأرسل الإمام ناصر جيشا بقيادة الشيخ مسعود بن رمضان، ودارت معركة ضد البرتغاليين فى منطقة «طوى الرولة» بالقرب من مسقط، لكنها انتهت بعقد اتفاق كانت شروطه فى صالح العمانيين، وهى[42]:

1 ـ يتنازل المسيحيون عن كل الأراضى والمبانى التابعة لهم فى منطقة صحار.

2 ـ يدفع المسيحيون البرتغاليون جزية سنوية للإمام (وجمع الشيخ مسعود الضريبة قبل مغادرته مسقط).

3 ـ يعامل البرتغاليون المسلمين معاملة حسنة فى مسقط ومطرح.

وبالرغم من أن تلك المعركة لم تنه الوجود البرتغالى فى مسقط، إلا أنه ترتب عليها نتائج عديدة منها:

أ ـ مثلت الشروط الآنفة الذكر ضربة للبرتغاليين وتدميرا تجاريا وعسكريا لهم، وشكلت خطرا على مستقبلهم فى عمان، كما كانت بمثابة التمهيد الحقيقى لسقوط حكمهم فى المنطقة.

ب ـ تغير وضع البرتغاليين من الهجوم إلى الدفاع، وقبولهم الجزية يعنى الاستسلام ضمنا للإمام، وهذا النصر دفع العمانيين إلى تصفية الوجود البرتغالى فى عمان[43].

جـ ـ هزت تلك الاتفاقية الحكومة البرتغالية فى لشبونة، فعزلت القائد البرتغالى المسئول عن توقيعها، وأعطت أوامرها مؤكدة ضرورة الحفاظ على مسقط، وأن ترابط سفن حربية بشكل دائم، وعدم السماح للعرب المسلمين بالإقامة فى مسقط، وأن يعزز ما تبقى من القلاع. ولكن هذه الإجراءات لم تمنع مصير البرتغاليين المحتوم، وعززت هذه الاتفاقية جهود التحرير، وأرسل الإمام ناصر اليعربى قوات عمانية لتحرير رأس الخيمة، التى كان فيها قلعتان، إحداهما للبرتغال والأخرى لفارس.

شن القائد العمانى «على أحمد بن عثمان النزوى» هجوما ناجحا على حصن ناصر الفارسى. وبرغم مساعدة البرتغاليين للفرس، إلا أن العمانيين تمكنوا من الاستيلاء عليه، وبعدها حاصروا الحصن البرتغالى واستولوا عليه[44]. وبذلك كانت رأس الخيمة أول مدينة عمانية يتم تحريرها من الاستعمار المسيحى البرتغالى. وتوجه الجيش العمانى من رأس الخيمة إلى «دبا» وعلى رأسه «خميس بن محزم» ونجح فى تحريرها من الاستعمار الإرهابى المسيحى البرتغالى، وهى المدينة الثانية من المدن العمانية التى يتم تحريرها.

جاء فى كتاب «عبيد الله بن خلفان بن قيصر» الذى كتب عن الإمام ناصر

بن مرشد فى منتصف القرن السابع عشر[45]. وبالتالى هو من أهم وأقدم المصادر العمـانية وأقربها للأحـداث المعاصرة للإمام ناصـر بن مرشد، وكان قـد كتب فى حياته، وبناء على طلب الوالى[46] حيث يقول: كـان خميس بن محـزم، مجدا مجتـهدا مشمـرا فى سبيل الله أذياله، باذلا فى الجهـاد حينئذ نفسـه وماله، وكان بقرية (دبا) حصن بسـاحل البحر للنصارى (البرتغال) فـدخل جيش المسلمين البلد ليلا ونهـارا، واستـولى على جمـيع أهلها، ونخلهـا جهـارا، فاستـذلت له دولة المشركين غاية الاستذلال[47].

بعـد تحرير «رأس الخـيـمة» و«خـورفكان» و«دبا» فى سـاحل عمـان (دولة الإمارات العربية المتحـدة حاليا) وجه الإمام ناصر بن مرشد كـافة إمكاناته لتحرير صحار ومسقط، وحشد أعدادا كـبيرة من الجنود، فحرر صحار، ولكنه لم يتمكن من تحرير مسقط، حيث وافته المنية عام 1649.

بذلك صفى الوجـود الإرهابى المسيحى البرتغـالى من جميع أنحـاء عمان، ماعدا مسقط ، وجعل منها دولة موحدة قوية، وتمت مبايعة سلطان بن سيف خلفا للإمام ناصر بن مرشد اليعربى.

حاصر الإمام سلطان بن سيف مسقط عام 1650 وباغتت مجموعة صغيرة من المهاجمين العـمانيين المدينة أثناء الليل، فانتشر الرعب بين صفـوف البرتغاليين الذين فروا إلى سفنهم الراسـية فى الميناء، وتمكن العمانيون من أسر سـفينتين مع من كان على ظهـرهما، وحـوصرت القلعة. وعندمـا وصلت الأنباء المفـزعة إلى الهند، سارعت السلـطات البرتغاليـة إلى إرسال أسطول قوى إلى مـسقط، ولكنه جاء متأخرا بعدما استسلمت الحامية الباقية فى القلعة فى الثالث والعشرين من يناير 1650[48].

إن تحرير مسقط وجه ضربة قـوية للحكم البرتغالى فى الخليج العربى، وفى نفس الوقت حرر العـمانيون مدينـة «خصب» فى شبه جـزيرة «مسندم» وبذلك تم تحرير جمـيع الأراضى العمانية، بما فيـها ساحل عمان، وكـان ذلك إيذانا بسقوط

الحكم المسيحى البرتغالى من عمان والخليج العربى، بعدما دمروا مدينة «كنج» آخر معقل للبرتغاليين فى الخليج العربى على الساحل الفارسى 1695.

أدى قيام دولة اليعاربة إلى سقوط الحكم المسيحى الإرهابى البرتغالى، وعزز استقلالية وسيادة الأراضى العربية فى شرق الجزيرة، مما نتج عنه هجرة العديد من القبائل العربية، من اليمن وحضرموت ومن غرب ووسط الجزيرة العربية، واستقرارها على سواحلها الشرقية، وقيام مشيخات وقوى بحرية، وبسقوط مسقط، خسر البرتغاليون أهم وأقوى معقل لهم فى الخليج العربى[49].

كتب البرتغالى «أنطونيو بوكاردو» الذى عاصر تلك الأحداث قائلا: كان قد حدث تغيران مهمان، وهما تولى اليعاربة الحكم، وتصميم البرتغال على تقوية أوضاعهم العسكرية فى عمان، واحتلال المزيد من القلاع والحصون بعدما فقدوا مركزهم فى هرمز على أيدى البريطانيين والهنولنديين. وكان «بوكاردو» متأثرا بقوة الإمام ناصر بن مرشد اليعربى، ويقول عنه: «إنه كان قد جعل نفسه قبلها بسبع سنوات أعظم حكام الجزيرة العربية شأنا، وكان تحت إمرته خمسة عشر الفا من الفرسان، وكان بمقدوره أن يحصل على المزيد بسهولة. وكانت لديه أيضا فرقة من الجمال التى لم تكن تقل عن الجياد فى سرعتها وتحملها، ولم تكن هذه القوات الراكبة تستطيع مهاجمة مسقط التى تحميها السلسلة الجبلية، ولكن مشاته كانوا قادرين تماما على تسلقها والهبوط منها»[50].

يقول: «وكانت الصداقة مع الإمام محفوفة بالمخاطر دائما، فقد كان مصلحا (مسلما دينيا) ويرى أن الإسلام يفرض الحرب الدائمة ضد (الإرهابيين) المسيحيين، وكان يبرم الاتفاقات ولكنه لا يحفظها إلا إذا كانت تناسبه، وحتى ذلك الوقت لم يكن قد تعامل مع البريطانيين والهولنديين، وكان يجمع بيده بين السلطتين الزمنية والروحية، وكانت سلطته تجعله محترما ومطاعا مثل اى حاكم عظيم فى العالم[51].

أصبحت عمان فى عهد الإمامة اليعربية تحت حكم مركزى قوى، بعد ان

كانت مشيخات مجزأة ومتفرقة، ثم بعد الاتحاد استطاعت طرد الاستعمار الإرهابى المسيحى البرتغالى من عمان والخليج العربى وشرق أفريقيا جميعها ما عدا «موزمبيق» وتكوين أول دولة آسيوية - أفريقية تضم عمان فى آسيا وشرق أفريقيا، وذلك بعدما حولوا الصراع مع البرتغاليين من البر إلى البحر(52).

أسس أئمة اليعاربة ترسانة للسلاح ولبناء السفن الحربية، وأنشئوا أقوى وأول أسطول عربى وحربى فى التاريخ الحديث، وكان من أقوى الأساطيل فى المحيط الهندى وبمثابة أداة ردع للأساطيل الأوروبية التى كانت تخشى منه.

اهتمت إمامة اليعاربة بالاقتصاد والتجارة والصناعة، وخاصة السفن والأسلحة وبناء الحصون والقلاع التى ما زالت تشهد بروعة وقوة فن العمارة العمانية إلى يومنا هذا.

الخاتمة

بهذه الدراسـة نكون قد وضـحنا عوامل سـقوط الحكم الإرهابى المسـيحى البرتغـالى، والتى لعبت دورا فى قيامـها سياسـة البطش والقهر والتطهيـر العرقى والتنكيل والإرهاب والقرصنة، مما جعلها تحمل معها نهايتها، وأثارت روح المقاومة الإسلامية والجـهاد. وكذلك السيطرة التجارية الاحتكاريـة وعدم الاهتمام بالتطور الصناعى، وعـدم مسـايرة التغـير نـحو الاقـتصـاد الرأسمـالى وقيـام الشركـات الاحتكارية.

كل ذلك إضافة إلى التعاون الأنكلو - هولندى فى تقليص النفوذ البرتغالى، والهزائم التى منيت بها الأساطيل البرتغـالية من الأسطول الهولندى والبريطانى فى المحيط الهندى فى جزيرة «هرمز» وأخيرا سـقوط الحكم البرتغالى نهائيا على أيدى أئمة اليعاربـة، الذين اهتموا ببناء السفن وصناعة الأسلحة وتطـور الاقتصاد فى آن واحـد، برغم الإمكانات الذاتيـة المتواضـعـة، ولكن بعزيـمة وإرادة قـوية ذللت الصعاب، مع تثبيت الحكم السياسى الديمقراطى الإسلامى القائم على الانتخاب، وليس حكم الفرد الواحد الدكتاتورى. وكذلك مع الالتزام بشريعة الإسلام وحكم الإمامة، الذى يجمع السلطـة الزمنية والروحية، أى السياسة والدين مـعا كما فى عهد الخلفاء الراشدين؛ فقد كان كل ذلك من أسباب نجاح وقوة إمامة اليعاربة.

الإحالات والهوامش

(1) د. أحمد بوشراب: مجلة الخليج العربى. العدد (1) عام (1989) ص. 14.

(2) د. جلال يحيى: العالم الإسلامى الحديث والمعاصر. ص 405.

(3) د. عبد القادر عبد الله العيدروس. النور السافر ص 272.

(4) د. صلاح العقاد: التيارات السياسية فى الخليج العربى ص 14.

(5) د. بدر الدين عباس الخصوصى: دراسات فى تاريخ الخليج العربى الحديث والمعاصر ج1 ص14.

(6) د. خلدون النقيب: المجتمع والدولة فى الخليج والجزيرة العربية ص 64 - 66.

(7) د. جمال زكريا قاسم: الخليج العربى عصر التوسع الأوروبى الأول ص 72.

(8) د. خلدون النقيب: المرجع السابق ص 66.

(9) د. خلدون النقيب: نفس المرجع ص 66.

(10) بكنجهام: بعض الملاحظات عن البرتغاليين فى عمـان «حصاد» ندوة الدراسات العمانية ج6 ص201.

(11) د. جمال قاسم: المرجع السابق ص 91.

(12) س. بوكسر: «حصاد» ندوة الدراسات العمانية ج6 ص211.

(13) د. عبد الأمير محمد أمين: المصالح البريطانية فى الخليج العربى ص10.

(14) د. خالد العزى: الخليج العربى فى ماضيه وحاضره ص 27.

(15) د. بدر الدين عباس الخصوصى. المرجع السابق ص28.

(16) د. حسن إبراهيم: ندوة تاريخ شرق الجزيرة العربية ص889.

(17) عباس العصفور: بحوث المؤتمر الأول للتاريخ ص133.

(18) عباس العصفور: نفس المرجع ص133.

(19) سليم التكريتى: المقاومة العربية فى الخليج العربى ص55.

(20) جون بى كيلى: بريطانيا والخليج وزارة التراث القومى والثقافةص8.

(21) د. بدر الدين عباس الخصوصى المرجع السابق ص28.

(22) سى بوكسر: المرجع السابق ص206.

(23) د. خلدون النقيب: المرجع السابق ص66.

(24) Bernard Gran : The Timetable of History,p.256.

(25) د. هيفاء عبد العزيز الربيعى: غزاة فى الخليج العربى ص21.

(26) ج. ج لوريمر: دليل الخليج ج1 ص20.

(27) د. خلدون النقيب: المرجع السابق ص67.

(28) ج. ج لوريمر: المرجع السابق ص22.

(29) محمد عدنان مراد: صراع القوى فى المحيط الهندى والخليج العربى ص135.

(30) سليم طه التكريتى: المرجع السابق ص 55.

(31) د. عبد الأمير محمد أمين: المرجع السابق ص10.

(32) د. خلدون النقيب: المرجع ص68.

(33) د. عبد الأمير محمد أمين: المرجع السابق ص16.

(34) Laurence Lockhart : Famous Cities of Iran,p.106.

(35) د. عبد الأمير محمد أمين: المرجع السابق ص16.

(36) د. بدر الدين عباس الخصوصى: المرجع السابق ص32.

(37) أمين سعيد: الخليج العربى ص30.

(38) حميد بن محمد بن رزيق: الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعديين ص263.

(39) حميد بن محمد زريق المرجع ص 263.

(40) د. عبد الأمير محمد أمين: بحوث المؤتمر الدولى للتاريخ ص652.

(41) د. عبد الأمير محمد أمين: نفس المرجع ص652.

(42) عائشة السيار: دولة اليعاربة 54.

(43) عائشة السيار: نفس المرجع ص54.

(44) عبد الله بن خلفان بن قيصر: سيرة الإمام ناصر مرشد ص63.

(45) سليمان محمد الغنام: ندوة مصادر تاريخ الجزيرة العربية ج2 ص118.

(46) سليمان محمد الغنام: نفس المرجع ص118.

(47) عبد الله بن خلفان بن قيصر: المرجع السابق ص66.

(48) د. عبد الأمير محمد أمين: بحوث المؤتمر الدولى للتاريخ ص654.

(49) بكنجهام: المرجع السابق ص201.

(50) بكنجهام: نفس المرجع ص201

(51) Charles Belgrave : The pirate Coast,p.14.

(52) عائشة السيار: المرجع السابق ص58.

المصادروالمراجع

أولا- المصادر:

1 - حميد بن محمد بن زريق: الفتح المبين فى سيرة السبوسعيديين، وزارة التراث القومى والثقافة. مسقط 1977

2 - عبد الله بن خلفان بن قيصر: سيرة الإمام ناصر بن مرشد. وزارة التراث القومى والثقافة. مسقط 1980

3 - عبد القادر عبد الله العيدروس: النور المسافر. القاهرة 1012هـ

ثانيا - المراجع:

1 - أمين سعيد الخليج العربى. دار الكاتب العربى. بيروت

2 - بدر الدين عباس الخصوصى (دكتور): دراسات فى تاريخ الخليج العربى الحديث والمعاصر. ذات السلاسل. الكويت 1984.

3 - جون بى كيلى: بريطانيا والخليج. وزارة التراث القومى والثقافة. مسقط.

4 - ج. ج. لوريمر: دليل الخليج: القسم التاريخى: ترجمة وطباعة دولة قطر الدوحة.

5 - جمـال زكريا قاسم (دكتـور): الخليج العربى عصـر التوسع الأوروبى. الأول دار الفكر العربى. القاهرة 1985.

6 - جلال يحـيى (دكتـور): العالم العربى الإسـلامى الحديث والمعـاصر: المكتب الجـامعى الحديث. الإسكندرية 1982.

7 - خالد العزى (دكتور): الخليج العربى فى ماضيه وحاضره. دار الحفظ. بغداد 1972

8 - خلدون النقيب (دكـتور) المجتـمع والدولة فى الخليج والجزيرة العـربية. مركـز دراسات الوحدة العربية. بيروت 1987.

9 - سليم التكريتى: المقاومة العربية فى الخليج العربى. وزارة الثقافة والإعلام . دار الرشيد بغداد 1982.

10 - صلاح العقاد (دكتور): التيارات السياسية فى المجتمع العربى مكتبة الأنجلو - المصرية. القاهرة 1974.

11 - عبد الأميـر محمد أمين (دكتـور): المصالح البريطانية فى الخليج العربـى مركز دراسات الخليج العربى. روى مسقط 1983.

12 - عائشة السـيار: دولة اليعاربة. وزارة الإعـلام دولة الإمارات العربية المتـحدة. أبو ظبى 1975.

13 - محمد عدنان مراد: صراع القوى فى المحيط الهندى والخليج العربى دار دمشق 1984.

14 - مصطفى عـقيل الخطيب: التنافس الدولى فى الخـليج العربى 1622 - 1763 والمكتبة العربية. بيروت 1981.

15 - هيفـاء عبد العـزيز الربيعى (دكتورة): غـزاة فى الخليج. دار الكتب للطباعـة والنشر. جامعة الموصل 1989.

ثالثا - الدوريات العربية وبحوث الندوات:

1 - احمد بوشراب (دكتور) مجلة الخليج العربى العدد (1) لسنة 1984

2 - بكنجهام: بعض الملاحظات عن البرتغاليين فى عمان: ندوة الدراسات العمانية «حصاد» ج6. وزارة التراث القومى والثقافة. مسقط 1980.

3 - حسن إبراهيم (دكتور) ندوة تاريخ شرق الجزيرة العربية. لجنة التاريخ الدوحة 1976.

4 - س. بوكسر: ملاحظات جديدة عن الصلات بين العمانيين والبرتغال. ندوة الدراسات العمانية. حصاد ج6. وزارة التراث القومي والثقافة. مسقط 1980.

5 - سليمان محمد الغنام (دكتور): بحوث مقدمة إلى ندوة مصادر تاريخ الجزيرة العربية. الجزء الثانى. قسم التاريخ. جامعة الرياض 1979.

6 - عباس العصفور: بحوث المؤتمر الدولى للتاريخ 25/ 3/ 1973 منشورات وزارة الإعلام. العراق. بغداد 1979.

7 - عبد الأمير محمد أمين (دكتور) بحوث المؤتمر الدولى للتاريخ 25/ 3/ 1973 منشورات وزارة الإعلام. بغداد 1979.

رابعا - المراجع باللغة الإنجليزية.

1- Bcrnaharda Crun : The Timetablc of History,Atouchstone Book - New York1979.

2 - Charles Belgrave : The pirate Coast. Librairic De Liban, Beirut,1972

3 - Laurence Lockhart : Famous Cities of Iran , published Waliter pearce & Co. Brentford , Middlescx1939

الفصل الثاني



الحرب الأهلية العمانية في النصف الأول من القرن الثامن عشر

قدم هذا البحث إلى نـدوة الجمعية التـاريخية لدول مجلس التـعاون الخليجي - دبي - الإمارات العربية المتحدة 6 - 9 ابريل 1990.

مقدمة:

لعبت إمامة اليعاربة دورا رئيسيا فى التاريخ الحديث ليس فى منطقة الخليج العربى وجنوب الجزيرة العربية وشرقها فحسب، وإنما فى سواحل الهند الغربية وسواحل إيران الجنوبية على بحر العرب وكذلك فى شرق أفريقيا، ولكن الفترة الأخيرة من حكمها كانت مؤلمة والتى جاءت نتيجة للحرب الأهلية العمانية والتى أدت إلى نهايتها، ولذا فإننا نعالج إشكالية هذه الحرب وكيف تمت؟ ولماذا؟ وما هى الأطراف التى لعبت دورا فى هذه الحرب؟ وما هى دوافعها؟ ثم ما هى النتائج التى ترتبت على هذه الحرب.

هذا ما سوف نحاول دراسته بدءا من خلفية تاريخية لعمان قبل الحرب الأهلية، ثم النزاع الأسرى وبداية الحرب الأهلية، منذ انتخاب الإمام مهنا بن سلطان ثم الإمام يعرب بن بلعرب، والتحزب الهنائى والغافرى وبلعرب بن ناصر والانقسام إلى الهنائى والغافرى ثم العوامل التى أدت إليه مثل: العامل الجغرافى، والعامل الاقتصادى والعامل السياسى، ثم انتخاب الإمام محمد بن ناصر الغافرى، ثم مبايعة الإمام سيف بن سلطان وخلعه ومبايعة الإمام بلعرب بن حمير، ثم استعانة سيف بن سلطان بالفرس وانتخاب الإمام سلطان بن مرشد وبعدها مرحلة تحرير عمان من الغزو الفارسى، ثم نهاية اليعاربة بظهور أحمد بن سعيد والقضاء على آخر أئمة اليعاربة بلعرب بن حمير، ثم ننهى دراستنا بأهم النتائج عن الحرب الأهلية.

الخلفية التاريخية قبل الحرب الأهلية:

برزت عمان كدولة قوية في القرن السابع عشر بفضل الحكم الإسلامى المتمثل فى الإمامة الإباضية[1]، وقد حكم آل نبهان منذ منتصف القرن الثانى عشر[2]، حتى مجيء الاستعمار الإرهابى المسيحى البرتغالى واحتلاله لموانئ «قريات» و«مسقط» و«مطرح» و«خورفكان» عام 1507[3]، وبذلك ضعفت سيطرة بنى بنهان[4]، واتخذ الملك محمد بن سليمان النبهانى من «نزوى» عاصمة له بعد ما كانت «بهلى» العاصمة فى عهد بنى نبهان الأوائل[5]، واتفق علماء الدين الإباضية فى عمان لإيجاد حل للمشاكل القائمة من التفرقة والفتن[6]، والتخلص من الاستعمار الإرهابى المسيحى البرتغالى وذلك عن طريق انتخابه إماما له فوقع الاختيار على ناصر بن مرشد اليعربى عام 1624 الذى يرجع إلى أحد بطون النبهان من قبيلة الأزد اليمنية، فرضى به الجميع وعقدوا عليه الإمامة «بالرستاق»[7]، واستطاع هذا الإمام أن يستوعب كل أبعاد القضية وأن يدرك المتغيرات الجارية من حوله سواء على المستوى المحلى العمانى أو الخارجى الخليجى[8]، ولذا فقد أدرك ثقل المهمة وقدر كل أبعادها[9].

قام الإمام ناصر بن مرشد اليعربى بتوحيد عمان والقضاء على المعارضة ومنافسة القبائل لبعضها البعض[10]، ونجح فى تحرير رأس الخيمة وخورفكان[11]، واستولى على صحار من البرتغاليين عام 1643[12] وارغمهم على عقد معاهدة تعهدوا فيها بدفع الجزية السنوية والسماح بحرية التجارة[13]، حسب شروط الإمام[14]. وبعد وفاة الإمام ناصر بن مرشد نجح خليفته الإمام سلطان بن سيف 1649 - 1668، فى تحرير مسقط[15]، وتتبعهم نحو ممتلكاتهم فى الهند وشرق افريقيا[16]، وطرد البرتغاليين من «ممباسا»[17]، والجزيرة «الخضراء» و«كلوة»[18]، بويع بلعرب بن سلطان 1668 - 1688 بعد وفاة والده، وفى آخر حكمه ثار أخوه سيف بن سلطان واجتمع أعيان عمان وبايعوا سيف بالإكراه[19]، وبلغت أوج قوتها وازدهارها فى عهد الإمام سيف بن سلطان 1688 - 1711 الذى اهتم

بالزراعة وخاصة النخيل[20]، واهتم بزراعة جوز الهند[21]، وواصل سياسة والده فعمل على مد سيادته إلى الهند وشرق أفريقيا[22]، ومن خلال أسطوله البحرى القوى[23] أصبحت عمان أعظم قوة بحرية غير أوربية فى المياه الشرقية[24]، ويقول الكابتن «شارلز لوكير» Captain Charles الذى زار مسقط عام 1706 ولاحظ القوة البحرية بأن الأسطول العمانى يتكون من أربع عشرة سفينة حربية وعشرين سفينة تجارية وبعض هذه السفن يحتوى على سبعين مدفعا ولا توجد سفينة تحمل أقل من عشرين مدفعا[25]. وقد بنى العمانيون طرازاً جديداً من السفن والمدفعية على الطراز الأوروبى ذات الأشرعة المربعة[26]، وذلك بعدما تم تخصيص المبالغ الكبيرة من الموارد المالية من ميزانية الدولة لبناء وشراء السفن الحربية إضافة إلى السفن البرتغالية التى تم الاستيلاء عليها[27]، وبذلك أصبح العمانيون يملكون أكبر أسطول بحرى فى المنطقة[28] واستخدموها للجهاد ضد البرتغاليين[29].

أصبحت عمان قوة اقتصادية[30] ويشمل نشاطها التجارى الخليج العربى والهند وامتد إلى البحيرات الوسطى فى أفريقيا، وكانت مسقط مركزا لهذا النشاط التجارى وأهم موانئ المحيط الهندى[31]، وبويع سلطان بن سيف الثانى إماما على عمان بعد وفاة والده عام 1711[32] واستمر حكمه حتى وفاته عام 1718 وتابع سيرة آبائه وأجداده[33] بالجهاد والتوسع، وكانت القوة البحرية العمانية الأولى فى الجزء الغربى من المحيط الهندى[34]. وعن طريقها حارب الإيرانيين وانتزع منهم جزراً عديدة منها جزيرة «قشم» و«هرمز»[35]، و«لارك» و«هنجام»، كما استولى على جزيرة البحرين عام 1717[36]، وهاجم «ديو» فى الهند وكذلك ساحل «كجرات» وأخضع جزيرتى «سالست» «والدامان» واحتل «بارسلور» و«مانجلور» بالقرب من «بومباى» وضم جميع تلك الأجزاء إلى عمان[37].

النزاع الأسرى وبداية الحرب الأهلية:

حقق أئمة اليعاربة الإنجازات الكبيرة لعمان وجعلوها كيانا سياسيا قويا ليس فى المشرق العربى فقط وإنما فى المحيط الهندى أيضًا، وهى أقوى وأكبر دولة بحرية

عرفت فى تاريخ العرب الحديث، إلا أن هذا النجاح الذى حققه أئمة اليعاربة خارج بلادهم وقف عاجزا أمام الصراعات الداخلية[38] وخاصة الأسرية والقبلية وهو ما أضعف كيان عمان.

فاضت روح الإمام سلطان بن سيف الثانى فى أواخر العام 1718[39]، وهو راقد فى حصن «الحزم» الذى بناه كقاعدة عسكرية ودفن فيه[40] وبموت هذا الإمام بدأت عمان تتجه نحو حروب أهلية شاملة ومدمرة[41]، وعادت البلاد تواجه وضعا قريبا من أوضاعها قبيل قيام إمامة اليعاربة ممثلا فى ذلك الانقسام الذى أخذت تواجهه البلاد[42] وبوفاة الإمام سلطان بن سيف الثانى انتهت الوحدة التى عرفها العمانيون إذ أعقبت وفاته سنوات من الحروب الأهلية، استمرت.أكثر من ثمانية عشر عاما وقعت فى خلالها مجموعة كبيرة من الاضطرابات والثورات وأدت إلى انقسام العمانيين[43]، وبذلك ضاعت هذه الانتفاضة والنهضة العمانية كتعبير عن المقاومة المحلية العربية للنفوذ والوجود الاستعمارى الإرهابى المسيحى البرتغالى فى رمال الانقسامات والتحزبات القبلية والصراع على السلطة[44] من خلال الحرب الأهلية العمانية.

الإمام مهنا بن سلطان بن ماجد 1718 - 1720

ارتبطت حركة المقاومة المحلية الوطنية بالقضية المذهبية العصبية المغرقة فى القدم، وهذه السمة هى تغلب العصبية المذهبية على الدين فى الجزيرة العربية عامة واليمن وعمان خاصة، فالتحرك الأول يمثل القبائل القحطانية اليمنية[45]، التى اتخذت موقف المعارضة من القبائل العربية العدنانية الحجازية فى وقت مبكر ربما قبل الإسلام، ولذلك كان اعتناق بعضها للمذهب الزيدى فى اليمن يمثل امتدادا لهذا الموقف التاريخى وكذلك كان اعتناق المذهب الإباضى فى حضرموت، وأيضًا القبائل العمانية التى اعتنقت المذهب الإباضى كانت تنتمى إلى «الأزد» و «قضاعة» وهى قبائل يمنية تحالفت مع عناصر من قبائل «كنده» الحضرمية[46].

يرجع قيام دولة الإباضية فى عمان ـ حسب المصادر العمانية ـ إلى الجلندى

بن مسعود[47]، الذى كان فى جيش الإمام «طالب الحق» فى حضرموت[48]، ولما قتل الإمام الأخيـر جاء إلى عمان فبايعه أهل عـمان، وقد كان هذا مطلع النصف الثانى من القـرن الثامن الميلادى[49]. ولهذا نجـد اختلافا فى وجـهات النظر بين الفقهـاء من علماء الإباضية الذين كانـوا يميلون إلى الشريعة الإسلامـية ويصرون على تطبيـقها دون محـاباة والذى كان السبب فى مـعظم هذه الدولة التى حاربت الاستعمار الإرهابى المسيحى وحملت لواء المقاومة والجهاد ليس فى عمان وإنما فى الخليج العربى والجـزيرة العربيـة والمحيط الهندى[50]، وبين عامـة الشعب الذين يجرون وراء رغباتهم العاطفية دون فـهم الآثار المترتبة بالخروج على تطبيق الشريعة الإسلامية، إضافة إلى عامل التحيز الأسرى، وهو تحزب مجموعة من رجال أسرة اليعاربة دون وعى للخطر المحدق بأسرتـهم ودولتهم من خلال الوقوف إلى جانب الصبى الصغير سيف بن سلطان ضد الإمام الذى بايعه علماء الإباضية[51]، وبرغم أن البيعـة كانت محصـورة فى أسرة اليعاربة إلا أنهـا لم تأخذ بمبدأ اخـتيار الابن ليخلف الأب بل كانت تنصرف إلى أى فرد من أفراد الأسرة الكبيرة[52].

تعرضت أسرة اليعاربة إلى صراع أسرى خطير حول منصب الإمامة والسلطة وزاد الوضع سوءا بقيام فتنة كبرى فى عمان أدت إلى انقسام الشعب العمانى الذى اختلف على الإمـامة بعد وفاة الإمام سلطـان بن سيف عام 1718[53] نظراً لصغر سن ابنه سيف الذى كان صـبيا دون العاشرة من عمره وغـير قادر على إدارة أمور الشعب[54]، ولم يكن له أخوة أكبر منه سنا، فـفى الوقت الذى تمسكت فيه عامة الشعب بسيف[55] فإن خاصتهم لم يرضوا[56]، فاختلف القضاة والولاة والعلماء وشيوخ القبائل[57]، وقد اعتبر علمـاء المذهب الاباضى هذا الانتخاب لسيف بن سلطان بدعة تتـعارض مع شروط الإمـامة[58] التى تفـرض أن يكون بالغا عـاقلا سليم الجسم والحواس[59] إذ أنه لا يجوز فى الشريعة الإسلامـية إمامة الصبى فى الصلاة فكيف تجوز إمـامته فى الدولة[60]، وظهر فى الوقت نفسـه منافس للصبى وهو زوج عـمتـه مـهنا بن سلطان بن مـاجـد بن مبـارك[61] الذى يؤيده علمـاء

الاباضية، أما الأسـرة اليعربية فقد أرادت إبقـاء السلطة بيدها وليس فى يد علماء الإباضية ولهذا رفضت إمامة مهنا بن سلطان ودعت إلى إمامة الصبى الصغير[62]، واشتدت الخـصومة وتحزب كل طرف إلى جهة وإلى زعـيم وانصرف الطرفان إلى السلاح وأطلت الفتنة وبوادر الحرب الأهلية. وكان الشيخ عدى بن سلمان الذهلى قاضى القضاة، يراقب الموقف بحذر شديد فـلاحظ أن عامة الشعب العمانى تؤيد إمامة الصـبى الصغير وهذا مـا لم يكن يؤيده القاضى عدى نفـسه فأراد استـعمال الحكمة والدهاء فى مـعالجة الموقف فـسرعان مـا ظهر أمام الملأ ممسـكا بيد الطفل وبايعه أمام الشعب بطريقة لغوية[63] دبلوماسية تظهر حنكته وسياسته وحول ذلك يقول سرحان «الأزكوى» فى مخطوطه ما يلى:

«بعد وفـاة سلطان فإن رؤوس القبـائل الذين فى قلوبهم العصـبية والحمـية أرادوا أن يكون مكانه ولده سـيف وهو صـغـير لم يـراهق وأراد أهل العلم وبنت الإمام سيف أن تكون الإمامة لمهنا بن سـلطان بن ماجد بن مبارك وهو الذى تزوج بنت الإمام سيف (أى سيف بن سلطان الاول) أخت سلطان (أى الإمام سلطان بن سيف) بذلك تعتبر عمة الصبى الصـغير سيف بن سلطان، هذا إذ هو فيما عندهم أنه أهل لذلك وإنه ذو قوة عليها ولم يعرفـوا عنه ما يخرجه من الولاية وعرفوا أن إمامة الصـبى لا تجوز فى الصلاة فكيف يكون إمامـا يتولى الأحكام ويلى الأموال والدماء والفروج، ولا يجـوز أن يقبض مال الله ومال الأيتـام غياب من لا يملك أمره. فلما رأى الشيخ عدى بن سليمان الذهلى القاضى بين الناس إلى ولد الإمام ولـم يجد رخـصة ليتـبعهم على ذلك وخـاف أن تقع الفتنة لاجتـماع الناس على الباطل وربما أشهـروا السلاح ووقع بعض الجراح فأراد تسكينهم وتفرق إجـماعهم فقال لـهم أمامكم سيف بن سلطان بفتح الـهمزة والميم الثانيـة من أمامكم ويعنى قدامكم، ولـم يقل إمامكم بكسر الهـمزة وضم الميم الثانية الذى يكون بذلك الملك والسلطان القائم بالإمامة، قال ذلك على معنى المندوحة، فعند ذلك نادوا بالإمامة وضربوا المدافع إظهـارا واشتهـادا وانتشر الخبـر فى عمان أن الإمـام هو سيف بن

سلطان، فلما سكتت الحركة وهدأ الناس أدخلوا الشيخ مهنا حصن الرستاق خفية وعقدوا له الإمامة فى هذا الشهر الذى مات فيه سلطان من هذه السنة[64].

يدل ذلك أن عامة الناس يجهلون فى ذلك الوقت حتى مصالحهم أين تكمن فى حين نجد علماء الدين فيهم الزهد ومخافة الله مما يجعلهم لا ينحرفون وراء عواطفهم مثل عامة الناس وذلك لعدم وجود وعى سياسى أو دينى لدى العامة فى حين نجد العلماء يضعون مصلحة الإمامة والبلاد فوق المصالح الأخرى، وأن بيعة الشعب للصبى يمثل منتهى الديمقراطية وعملية انتخابية ولكن المرشح لا يتوفر فيه الشروط اللازمة لكى يحكم الأمة وهنا يكمن الخلل فى العملية الانتخابية أو البيعة، نظرا لأن العامة تريد الصبى لأن أسرته قدمت خدمات جليلة لعمان ابتداء من أبيه ثم جده وجد جده

يبدو هناك رأيان مخلتفان حول قرابة نسب الإمام مهنا إلى البيت أو الفرع الحاكم من الأسرة اليعربية، فقد جاء فى الرأى الأول لابن رزيق فى كتابه الفتح المبين[65]، بأن مهنا هو ابن سلطان بن سيف الإمام المتوفى وأخذ سيف بن سلطان الصغير المرشح للإمامة أو يقصد به الإمام سلطان بن سيف الأول المتوفى 1668 هذا أمر مستبعد وغير معقول والأقرب فى هذا الرأى هو سلطان بن سيف الثانى المتوفى عام 1718، أما الرأى الثانى الذى جاء فى كتاب تاريخ عمان المؤلف مجهول[66] وكذلك لسرحان الأركوى[67]، بأن مهنا هو ابن سلطان بن ماجد بن مبارك زوج أخت الإمام المتوفى سلطان بن سيف الثانى، ويبدو أن الرأى الثانى هو الأصح، فما الذى يدفع بالشعب العمانى وبالذات اليعاربة للنزاع فيمن يتولى الإمامة ما دام المرشحان هما أخوة وأبناء الإمام الراحل سلطان بن سيف الثانى وأن مهنا كما يبدو هو الابن الأكبر لأن سيف صغير السن لا تجوز له الإمامة لكن اليعاربة ثارت على مهنا، وفى ذلك دليل واضح من أن مهنا ليس أخا لسيف بن سلطان ولا ابنا للإمام المتوفى سلطان بن سيف الثانى[68].

تدارك قاضى القضاة وأهل الرأى الفتنة ببيعة الإمام مهنا بن سلطان[69]،

الذى لا يعتبر من الفخذ الحاكم فى الأسرة اليعربية بل نسيبا لها فهو زوج أخت الإمام الراحل وزوج عمة الصبى، فكان قدومه بداية تكتل معارض تزعمته الأسرة اليعربية التى أرادت إبقاء الإمامة بين الصبى الصغير دون إعطائها إلى آخر، مما أدى هذا الانتخاب إلى قيام صراع على الإمامة[70] ما بين اليعاربة من جهة[71] وشيوخ القبائل من جهة أخرى ولم يؤد ذلك إلى إضعاف الإمامة بل إلى مزيد من الفتن والحروب الأهلية[72] وإن كان الإمام مهنا بن سلطان حسن السيرة والسلوك ومحاولته التقرب من كافة فئات الشعب العمانى بما قدمه من إصلاحات سياسية واقتصادية وأنه كان إداريا ناجحا من الطراز الأول وعقلية تجارية نشطة وقام بإصلاح ميناء مسقط[73]، وشجع التجارة والاستيراد والتصدير وقام بتخفيض الضرائب على البضائع[74]. وحول هذا يقول سرحان الأزكوى: «فقام بالأمر واستراحت الرعية فى زمنه وحط الناس العادات فى بمسكد (أى بمعنى خفض رسوم الجمارك فى مسقط) ولم يجعل لها وكيلا وربحت الرعية فى متجرها ورخصت الأسعار وبورك فى الثمار ولم ينكر عليه أحد من العلماء وإن لم يكن هو كثير العلم، إلا أنه يتعلم ويسأل ولم يقم على أمر إلا بمشورة العلماء فلبث على ذلك سنة حتى قتل ظلما»[75].

يبدو أن الإمام مهنا بن سلطان اضطر إلى إجراء الانتقالات فى الأسرة الحاكمة السابقة، فحجز كبار رجالاتها ونفى بعضها وكان أشهر من سجنهم هو يعرب بن الإمام السابق بلعرب بن سلطان الذى حكم بين عامى 68 - 1688، وبهذا يكون يعرب ابن عم والد الصبى الصغير، ولكن يعرب بن بلعرب تمكن من الهرب من سجنه إلى حصن «يبرين»[76].

الإمام يعرب بن بلعرب 1720 - 1722

لم يرض الشعب العمانى مهنا بن سلطان[77]، وكذلك بقية أفراد الأسرة اليعربية[78]، فلجئوا إلى يعرب بن بلعرب بن سلطان بن سيف بن مالك[79]، وأوغروا صدره ضد الإمام مهنا والذى كان مناوئا[80] له لكى ينتزع منه

الإمامة[81]، ومن حصن «يبرين» أخذ يعرب بن بلعرب يباشر نشاطه السياسى ضد الإمام مهنا بن سلطان وصادفت نشاطاته وقعا حسنا فى نفوس اليعاربة، كما أعلنت مدينة «الرستاق» ولاءها للثائر يعرب الذى قرر أن يتحرك عسكريا فجند جيشا من أنصاره وتوجه به إلى مدينة مسقط ليتخذها قاعدة لتحركاته، وهناك استقبله وفد من سكان المدينة، وفوجئ الوالى مسعود بن محمد الصارمى بيعرب وجيشه يدخل القصر فاستسلم لهم، وفى صباح اليوم التالى أعلن يعرب الثورة رسميا متخذا من مسقط قاعدة له ومعلنا انفصاله عن مهنا بن سلطان، أما مهنا فكان فى تلك الفترة فى منطقة «البريمى» فتركها مسرعا واتجه نحو مدينة «الرستاق» ودخلها[82].

جمع يعرب بن بلعرب جيشا كبيرا توجه به نحو نفس المدينة، وهناك التحم الطرفان فى معركة انتهت بهزيمة الإمام مهنا بن سلطان الذى خذله أعوانه من القبائل والقوات الموالية له ورفضوا تقديم المساعدات له، فأصيب بيأس من الحرب واستسلم لخصومه فدخل الثائر يعرب بن بلعرب إلى المدينة فاتحا والقى القبض على الإمام مهنا بن سلطان وجميع أهله ومساعديه[83]، وبعدما أمنهم على حياتهم فإنه نكص وعده وأمر باعتقالهم[84] ثم أمر بربطهم بالأخشاب وتركهم على تلك الصورة مدة ثم أمر بإعدامهم جميعا[85]، وأقام يعرب فترة قصيرة بعد توليه الحكم فى «الرستاق»[86] ثم توجه إلى نزوى فدخلها عام 1721[87].

وحول ذلك يقول سرحان الأزكوى فى مخطوطه ما يلى:

«فلما عقد مهنا بن سلطان لم تزل اليعاربة داخل الرستاق مسرين العداوة له وللقاضى عدى بن سلمان الذهلى، ولم يزالوا بيعرب بن بلعرب بن سلطان بن سيف بن مالك يمقتونه على القيام بأمر سيف والخروج على مهنا حتى خرج على الإمام مهنا وسار مختفيا إلى «مسكد» (أى مسقط) فما كان إلا وقيل إن يعرب بن بلعرب فى الكوت الشرقى (أى الحصن الشرقى من قلعة مسقط) وكان الوالى فيها يومئذ الشيخ مسعود بن محمد بن مسعود الصارمى الريامى، وكان الإمام مهنا خارجا إلى فلج البزيلى من ناحية الجو (البريمى) فبلغه الخبر فرجع إلى «الرستاق»

فقام وشمر وجاهد وما قعد وطلب من أهل عمان النصر فخذلوه ولم ينصروه. ونصب له أهل الرستاق الحرب وحصروه فى قلعة الرستاق ثم طلع يعرب من مسكد (مسقط) إلى الرستاق وسأل المهنا النزول من القلعة وأعطوه الأمان على نفسه وماله ومن معه ففكر فى أمره فرأى أنه مخذول وليس له ناصر من أهل عمان وتبين له الخذلان فأجابهم إلى ما أعطوه من الأمان فنزل من القلعة فزالت بذلك إمامته، فأخذوه وقيدوه وخشبوه (أى صلبوه) هو وواحد من أصحابه من بعد ما أمنوه، واستقام الأمر ليعرب ولم يكن يدعى الإمامة بل جعل الإمامة لابن عمه سيف بن سلطان وهو القائم بالأمر إذ سيف صغير السن لا يقوم بأمر الدولة وسلمت لهما جميع حصون عمان وقبائلها»[88].

خلف الإمام مهنا بن سلطان، يعرب بن بلعرب الذى جاء به إلى الحكم جماعة من الذين كانوا قد شاركوا فى قتل الإمام مهنا[89]، واجه يعرب بن بلعرب معارضة شديدة من العلماء والفقهاء الإباضية الذين اعتبروا خروجه على مهنا اغتصابا للحكم، وقد اتسمت بداية وصايته بالكثير من الجفاء بينه وبين قاضى القضاة عدى الذهلى الذى طالبه بتعويض المتضررين من الحرب التى خاضها ضد مهنا من سكان الرستاق وغيرهم، فاستجاب يعرب لذلك وباشر بإعطاء التعويضات لمتضررى الحرب الأهلية، فاعتبر الفقهاء ذلك توبة منه وندما على ما بدر منه من تصرفات وتصالحوا معه[90]، وبذلك حصل على الشرعية بالوصاية على الصبى سيف بن سلطان[91]، بعدما كان يحكم من البداية باسم الصبى سيف الصغير ونيابة عنه[92].

فتح ذلك الصلح بين يعرب وقاضى عدى مجال الحديث فى إسقاط الإمامة عن الصبى الصغير ومبايعة الوصى، وقد أقر القضاة هذا الأمر فيما بعد بل إنهم أقروا إسقاط دفع التعويضات لمتضررى الحرب الأهلية. وهكذا تم إعلان البيعة فى مدينة نزوى[93]، وبذلك استحوذ يعرب بن بلعرب على جميع السلطات فى يديه[94]، وقد عارض ذلك أفراد اليعاربة فى الرستاق بل إن سكانها أعلنوا عدم

رضاهم وعندما قـام الإمام يعرب بن بلعرب واجـهه سكان الرستاق بالاحـتجاج، كما تمكن أعوان الصبى من خطفه ونقله إلى أحد ضواحى مدينة نزوى حيث يقيم خال الصبى يلعرب بن ناصر، وكانت وفود من أهالى نزوى قد توجهت إلى سكن بلعرب بن ناصر ومعه ابن أخته الصبى سـيف ليقدم له فروض الطاعة وطلبوا إليه قيادة الثورة ضـد الإمام الجديد يعرب بن بلعرب وإعادة ابن أخـته إلى الحكم كما وصلت إليه كتب ورسـائل من أنحاء مختلفة من عـمان تعلق الولاء وتحرض على الثورة[95]. واختمرت فى رأسـه هذه الفكرة وأراد أن ينفذها وكان لابد من إيجاد حزب سياسى قـوى يعتمد عليه سياسـيا وعسكريا، وكان هناك زعيمان سـياسيان بارزان فى المنطقة وهما خلف بن مبارك القصير الهنائى ومحمد بن ناصر الغافرى، ولكل منهما أتباعه وقبائله ومن هنا كانت بداية تحزب عمان إلى الهنائى والغافرى.

الحرب الأهلية والتحزب الهنائى والغافرى:

يبدو أن قبيلة بنى هناء كانت تشكل كتلة سياسية هامة تحت زعامة خلف بن مبارك القصير الهنائى، وكذلك الغافرية بزعامة محمد بن ناصر الغافرى، فقد كانت قبيلة بنى «هناء» وأحلافها على خصـام مع مؤسس الدولة اليعربية الإمام ناصر بن مرشد الذى كان قد حجز على بعض أملاكهم وحجزها مما أدى إلى نشوب خلاف سيـاسى بين الأسرة اليـعربية وبنى «هـناء» فقرر بلعـرب أن يستـغل ذلك الخلاف لصالحه وأن يكسب بنى «هناء» إلى جانبه فتـرك مدينة نزوى ومعه ابن أخته الصبى سيف وقصد منطقة «السيت» والتى يقيم بها الزعيم خلف بن مبارك القصير الهنائى واتفق الطرفان على التحالف شريطة أن تعاد أملاك بنى «هناء» التى حجزتها الدولة اليـعربية إلـيهم فى حـالة نجاح بلعـرب بن ناصر فى الاسـتيـلاء على السلطة فى عمان[96]. وهنا قرر بلعـرب بن ناصر الخروج على الإمام يعـرب بن بلعرب[97] وخلعه من الإمامة واستعادته لابن أخته الصبى[98]. والتوجه إلى الرستاق لإعلان إسقاط الإمـام يعرب بن بلعرب فاجتـمعت قبائل الهنائيين وحلفـاؤهما وسار إلى تلك القوات وتمكن من دخول الرستاق وخلع الوالى[99]. وقد فشل الإمام يعرب بن بلعرب فى استعادة الرستاق فعاد إلى نزوى[100].

باشـر بلعرب بن ناصـر بالكتـابة إلى ولاة «مسـقط» و«النخل» و«سمـائل» يطلب إليهم البيـعة فبايعوه فى حـين تراجع الإمام يعرب بن بلعرب بجيـشه نحو مدينة «أزكى» وقابله سكانهـا بالترحاب فاتخذ فيـها معسكرا وقاعدة لـه. فما كان من زعيم خلف الهنائى إلا أن أقـر قائده العنبورى بفـتح «أزكى» فلم ينجح الإمام يعرب فى الدفاع عنهـا فعاد إلى نزوى فى حين رجع قاضى القـضاة عدى الذهلى إلى «الرستاق» ومعه مجموعة من القضاة وهناك ألقى القبض عليه وجلب مخفورا إلى بلعرب ناصر الذى أمـر بإعدامه ومعه قـاضٍ آخر وربطت الحبال برقبتـه ورقبة زميله وسحلت جثتاهما فى شوارع الرستاق(101). وبذلك تم اغتيال قاضى القضاة الذى كان قد أضفى صبغة الشرعية على استلام يعرب بن بلعرب الحكم(102). أما القائد الهنائى «العنـبورى» فتوجـه بجيشه نـحو «نزوى» وأجبر قـوات الإمام على الاسـتسـلام(103)، فـما كـان من الإمـام إلا أن هرب واعـتصم فى قلعـة مـدينة «جبـرين»(104). التى بناها والده، ثم طلب كـبار القـوم من نزوى أن يتنازل عن الإمامـة(105) حـقنا لدماء المسـلمين وقطعـا للفـتنة والحرب الأهـلية فـوافق على ذلك(106) ومن هنا أعلن إمـامة الصبـى سيف تحت(107) وصاية خـاله بلعرب بن ناصر وكانت هذه المرة الثالثة التى أعيد فيها إلى الإمامة(108).

يقول سـرحان الأزكوى فـى مخطوطه عن ذلك ما يلى: ولـبث (يعرب بن بلعـرب) أياما قـلائل فى الرستـاق ثم جـاء إلى نزوى فدخلهـا، فلم يرض أهل «الرستـاق» أن يكون يعرب إمامـا فأظهروا العـصبية لسـيف بن سلطان فلم يزالوا يكاتبون بلعرب بن ناصر وهو خال سيف بن سلطان ويقيم بنزوى مع الإمام يعرب فلم يزالوا يحرضـونه حتى خرج من «نزوى» وقـصد بلاد سيف فحـالفه بنو هناء على القيـام معه على أن يطلق ما حجـره عليهم الإمام ناصر بن مـرشد من البناء والسلاح وغير ذلك وأعطاهم عطايا جزيلة فصحبوه إلى «الرستاق» فاستقام لحرب «الرستاق» حـتى أخرجوا الوالى مهنا وذلك بعـد أن أحرقوا باب الحصن فـاحترق مقدم الحصن جـميعا واحترق الناس كثيـرا من بنى هناة من رؤسائهم ورؤساء بنى

عدى، وفيما بلغنا أنه احترق مائة وخمسون رجلا واحترقت كتب قدر أربعين مجلدا واحترقت كتب كثيرة لم يكن لها نظير فى عمان وظهر من هذا الحرق كنز عظيم به أموال جزيلة فبلغ الخبر إلى الإمام يعرب بما صنع أهل الرستاق فبعث سرية وأمر الشيخ صالح بن محمد بن خلف السليمى الأزكوى من حجرة النزار وأمره بالمسير إلى الرستاق حتى وصل العوابى فلم يكن لهم قدرة على الحرب فرجعوا. ثم إن يعرب خرج بمن معه من نزوى ودخلوا على يعرب ناس من أهل نزوى وسألوه الخروج منها (أى التنازل عن الإمامة) لأجل حقن الدماء حتى وافق يعرب ونادى بالإمامة لسيف بن سلطان[109].

بلعرب بن ناصر والانقسام إلى الهنائي والغافرى 1722 - 1743

يرى بعض المؤرخين أن التحزب الهنائي والغافرى صورة من التعصب التقليدى بين عرب الحجازيين العدنانيين وبين اليمنيين القحطانيين[110] فالغافريون يمثلون عرب الحجاز والهنائيون يمثلون عرب اليمن[111]، وأن الصراع قديم[112] بينهما على حد قولهم، وكان عرب القحطانيين يرون أحقيتهم بالسلطة على اعتبارهم أنهم الأغلبية وكانوا أول القادمين إلى عمان من اليمن مباشرة وأقدمهم[113] فى حين أن الحجازيين جاءوا حديثا نسبيا إلى عمان، كما أن اليمنيين هم الذين قاموا بتحرير عمان من الاحتلال الفارسى المجوسى ثم شاركوا فى الفتوحات الإسلامية التى عبرت إلى فارس نفسها، ولكننا نلاحظ أن غالبية القبائل العمانية التى تنتمى إلى الحزب الغافرى أو الهنائي هى فى الأصل قبائل يمانية ترجع إلى «الأزد» «وقضاعة» بالتحالف مع عناصر[114] من «كندة» الحضرمية، فعلى سبيل المثال فإن الحزب الغافرى معظم قبائله من القبائل اليمانية مثل: 1 - بنى قتب 2 - بنى نقب 3 - بنى كعب 4 - بنى عمر 5 - بنى شكيل 6 - طنيج 7 - بنى بوعلى 8 - النعيم والشوامس 9 - المساكرة 10 - الجنبة 11 - بنو ريام 12 - سوالم 13 - اليعاربة 14 - بنى نبهان 15 - الكنود 16 - العبريون 17 - بنى خروصى 18 - الندابيون 19 - الرحبيون 20 - النوارى 21 - بنى عرابه 22 -

اليعاقيب 23 - بنى راسب 24 - السعديون 25 - المغيريون 26 - بنو راشد 27 - مواليك.

أما الحجاريون فهم 1 - غافر 2 - الجبور. فقط 3٪.

يضم حزب الهنائى غالبية قبائله أيضا من اليمنيين مثل:- 1 - البوسعيد 2 - الشحوح 3 - الشرقيون 4 - بنى على 5 - الحواسنة 6 - المعاول 7 - بنى بوحسن 8 - بنى هناة 9 - الشعبيون 10 - المناذرة 11 - بنى بطاش 12 - بنى حسن 13 - الحرث 14 - المشايخ 15 - الحجريون 16 - السليميون 17 - بنى ياس 18 - المناصير 19 - العوامر 20 - الكثير 21 - المناهيل 22 - عيال سعد 23 - الحبوس 24 - بنى وهيب 25 - الحراسيين 26 - الهدادبة.

أما الحجاريون فهم: 1 - بنى رماحة 2 - بنى وهيبة 3 - المشارقة. فقط 5٪
وبذلك لا نميل إلى هذا الرأى الذى يتعارض مع التركيبة السكانية القبلية ذات الأغلبية اليمنية على أرض الواقع فى عمان، فى حين كان هذا الانقسام الحجارى العدنانى واليمانى القحطانى فى الشام ومصر والمغرب العربى فى شمال أفريقيا والأندلس، وليس فى عمان.

يضيف البعض الآخر إلى هذا الصراع والتحزب، طابع مذهبى[115] إذ كان بنو غافر فى أغلبهم من الفئات السنية «المالكية» ولذا كانت تشايعهم معظم القبائل التى كانت تسكن منطقة الظاهرة، أما بنو هناء وأنصارهم فكان أغلبهم من أصحاب المذهب الإباضى[116] الذى عم الجزء الأكبر من سكان «الباطنة»[117]، وقد يبدو هذا الرأى حول بعض المناطق الجغرافية مقبولا إلى حد ما، فى حين إصباغ المذهب السنى على الحزب الغافرى والمذهب الإباضى على الحزب الهنائى لا يتفق مع الواقع، وأن المناطق الجغرافية لإقامة القبائل هى ذات طبيعة مذهبية متقاربة، إلا ان المذهب الإباضى هو الغالب على الحزبين، كما لا ننسى أن معظم المناطق «الغافرية» هى فى «عمان الداخل» وأنها معقل الإباضية وذات كثافة عالية حيث تتركز فيها معظم القبائل العمانية، كما أنها مقر الحكم والسلطات الدينية الإباضية

والسياسية، فى حين نجد مناطق ساحل عمان الشمالى «كراس الخيمة» والظاهرة برغم المساحة الصحراوية الكبيرة إلا أنها ذات كثافة سكانية قليلة. إضافة إلى ذلك فقد كان اعتماد اليعاربة ذات الأصول اليمانية الإباضية على قبيلة بنى غافر الحجازية السنية فى خلال حكمهم، فى حين كانت قبيلة «بنى هناة» اليمنية الإباضية فى جانب المعارضة ضد اليعاربة حتى جاء يلعرب بن ناصر وقرب الهنائية ورفع الحجر والحجز ضدها وبذلك أصبحت إلى جانب اليعاربة.

يبدو أن العمانيين مثلهم مثل إخوانهم اليمنيين لا يدخلون المذهب الدينى فى الصراع السياسى والقبلى، أى أن «الزيدية» الشيعية ذات الغالبية فى اليمن يتعاونون مع السنة الشافعية ذات الأقلية فى جميع المسائل والشئون، وخاصة فى المجال السياسى والصراع القبلى، ولم يكن قد حدث أى خلاف مذهبى بين الشيعة «الزيدية» والسنة الشافعية فى اليمن، وكذلك الحال بالنسبة للإباضية والسنة المالكية فى عمان، وبذلك يمكن إبعاد العامل المذهبى الدينى من التكتل أو التحزب الغافرى - الهنائى نظرا لوعى الشعب العمانى لهذا العامل وعدم إدخاله فى الصراع القبلى أو السياسى. لأن فكرة العصبيات المذهبية أو القبلية لا وجود لها فى عمان فى ظل تطور الوضع السياسى والاقتصادى.

تشابكت المصالح السياسية والاقتصادية وكان لها أثر كبير فى تحطيم الكثير من النزعات القبلية والمذهبية ولذا فإن ظهور الحزب الهنائى الغافرى بالانتماءات القبلية المختلطة يعد تطورا ضخما فى الحياة السياسية العمانية[118]، إذ أن هذين الحزبين أعادا تشكيل تحالفات القبائل وولاءها من العصبيات القبلية أو المذهبية إلى تحالف وولاء سياسى واقتصادى جديد[119]، انطلاقا من العامل الجغرافى فى المجتمع العمانى. ومما سبق ذكره فلا يمكننا أن نعتبر التحزب الهنائى والغافرى صورة من التعصب التقليدى بين القبائل الحجازية العدنانية واليمانية القحطانية أو نوعا من التعصب المذهبى بين الإباضية والسنة، وإنما هو نوع من المصلحة المشتركة التى جمعت القبائل العمانية فى حزب هنائى وغافرى.. وهناك عدة عوامل جمعت فيما بينهم ومنها ما يلى:

أولا: العامل الجغرافى:

يتضح ذلك من الوضع الجغرافى الذى كان له تأثير كبير من حيث تقارب منطقة استيطانهم وتطابق المصالح ـفتحزب القبائل الغافرية يسكنون فى منطقة «الظاهرة» و «البريمى» و «ضنك» المناطق الداخلية والغربية من عمان والمناطق الشمالية من ساحل عمان مثل رأس الخيمة والشارقة والفجيرة وأم القوين وعجمان، فى حين تقيم القبائل «الهنائية» فى ساحل الباطنة (عمان الساحل) وبعض المناطق الداخلية وأبو ظبى ودبى[120].

ثانيا – العامل الاقتصادى:

تركز الأفلاج فى مناطق جغرافية معينة وأساليب الرى المشترك شكلَ مصالح اقتصادية لمجموعة من القبائل التى اعتمدت حياتها على مياه الأفلاج[121] واسهم هذا العامل الاقتصادى فى الانتماءات القبلية لإحدى الحزبين، نظرا لأن نظام الأفلاج هو نظام جماعى مشترك، ابتداء من حفره وبنائه وانتهاء إلى توزيع المياه واقتسامها حسب الأسهم والحصص فيما بينهم[122]، وكأنه جمعية تعاونية مشتركة ذات نفع عام، أو شراكة تضامنية مساهمة عامة بين مجموعة معينة فى منطقة معينة يربطهم فيما بينهم المصالح المشتركة أو الشراكة المشتركة فى مشروع مشترك وهو الفلج أو الأفلاج، وبذلك ترتبط المصالح الاقتصادية فى تكتل سياسى ويجب الحفاظ على تلك المصالح الاقتصادية بغض النظر عن الانتماءات العصبية سواء كانت حجارية أو يمانية، أو مذهبية إباضية أو سنية، أو غيرها من الاختلافات الأخرى، ومن هنا فإن المصالح الاقتصادية أقوى من التنافس العصبى القبلى أو المذهبى الدينى، لأن اى اختلاف فيما بينهم يؤثر على مصالح الأفلاج مما يعنى تضرر نظام الرى الذى يؤثر على الزراعة العمود الفقرى للحياة اليومية والمستقبلية. وللحفاظ على تلك المصالح الاقتصادية عن طريق توحيد التوجهات السياسية يجب الاعتماد على القوة العسكرية ومنها كان قيام التحالف أو التحزب الهنائى والغافرى.

ثالثا: العامل السياسى:

تطابق العامل الجغرافى مع المصلحة الاقتصادية أدى إلى تشكيل وحدة سياسية إقليمية لمجموعة من القبائل، وهذه بدورها شكلت اتجاهات معينة من حيث المصلحة العليا لهذه المجموعات القبلية من حيث ولائها السياسى لإحدى الحزبين وللدفاع عن المصالح الاقتصادية لهذه المجموعة الاجتماعية فى بيئة جغرافية معينة أدى إلى توحيد الآراء السياسية، وبالتالى تشكيل الحزب الذى كان يعبر عن مجموعة قبلية تتوافر فيها تلك العوامل التى ذكرنا، ولذا كان الانقسام بين القبائل الغافرية فى عمان الداخل والظاهرة، وتحزب القبائل الهنائية فى عمان الساحل فى الباطنة، وشمل هذا الانقسام أيضا ساحل عمان عندما تحزبت قبائل ساحل عمان الشمالية (أى الإمارات الشمالية الخمسة حاليا وهى الشارقة - عجمان - أم القوين - رأس الخيمة - الفجيرة) فى حين تحزبت قبائل ساحل عمان الجنوبية (ابو ظبى ودبى) مع الحزب الهنائى واستمر التحزب الهنائى والغافرى سواء فى عمان أو ساحل عمان حتى الانسحاب البريطانى عام 1971 وقيام دولة الإمارات العربية المتحدة مما يعنى أن جذورها كانت عميقة إلى درجة قوية[123].

اعتمدت المجموعة القبلية الهنائية فى «ساحل الباطنة» على المجموعة الهنائية فى أبوظبى ودبى، وجمعتهم مصلحة سياسية مشتركة تجاه المجموعتين الأخريين وهما مجموعة القبائل الغافرية فى عمان الداخل والظاهرة والبريمى مع المجموعة الغافرية فى ساحل عمان الشمالى، وإن كانت هذه الظاهرة السياسية لتلك المجموعات القبلية لم تتطور إلى الاستقلالية والتجزئة إلا بعد وصول البوسعيد إلى السلطة وجعلها تبرز منذ تلك الفترة فى صورة صراعات سياسية أكثر وضوحا تبعًا للأحداث التى أعقبت نهاية دولة اليعاربة مرورا بالتدخل الاستعمارى البريطانى فى شئون عمان واحتلالها لساحل عمان واستمر الانقسام الهنائى والغافرى إلى قيام دولة الإمارات العربية المتحدة وقيام سلطنة عمان فى السبعينيات من هذا القرن[124].

جاءت تسمية التحزب الهنائى الغافرى نسبة إلى الزعامة حيث أطلقت الهنائية نسبة إلى زعيمها خلف بن مبارك القصير الهنائى، فى حين أطلقت الغافرية على أتباع محمد بن ناصر الغافرى[125]. واتخذ الهنائية العلم الأحمر والغافرية العلم الأبيض[126].

بدأت عمان تواجه فترة من أصعب فترات تاريخها شهدت خلالها من الانقسام ما يمكن أن تعتبره حقيقة بداية النهاية لدولة اليعاربة[127]، وبدأ الانقسام خلال الاحتفالات بتولية الإمام الجديد إذ وصلت إلى «الرستاق» كثير من الوفود لتقديم التهانى للإمام سيف بن سلطان ووصيه بلعرب بن ناصر الذى كان يمثل القوة الفعلية للدولة[128]، كان بين القادمين وفود من قبائل بنى غافر وأهالى «بهلى» على رأسها محمد بن ناصر الغافرى[129]، الذى عاد إلى عمان بعد أن ترك ولاية البحرين التى خضعت لليعاربة[130]، وليس من الواضح تماما ماذا حدث فى ذلك اللقاء الشهير بين الوصى بلعرب بن ناصر وبين محمد بن ناصر الغافرى وتهديد الأول له وتوعده[131]، وقد يكون سبب تحذير الغافرى للوصى من تقديم الهنائيين فى مسؤوليات الحكم أو الاعتماد عليهم أو لربما طلب الغافرى من الوصى ضرورة زيادة الاعتماد عليه فى أمور الحكم[132]، أو كانت الغيرة الشخصية من الغافرى تجاه بلعرب الذى قرب الهنائيين، أم لأن الوصى لم يحسن استقبال الغافرى[133]، مما انتهى الأمر إلى جفوة شديدة بين الرجلين سواء أكان الأمر هذا أو ذاك فإن الاحتفالات بتولية الإمام الجديد بدلا من أن تكون مناسبة لتأكد ولاء مختلف القبائل له إذ بها تصبح بداية لحرب أهلية عمانية واجهتها البلاد[134].

استطاع محمد بن ناصر إقناع يعرب بالخروج على الوصى بلعرب بن ناصر[135] ورفع راية المعارضة[136]، وإعادة الإمامة له، ووعده بتأييد قبائل أبو ظبى والظاهرة والبريمى وغيرها[137]، فقام يعرب فهاجم «اركى» إلا أنه قد هزم[138] على يد قوات بلعرب بن ناصر ورجع إلى نزوى[139]، وعندئذ تقدمت

القوة التى جمعها محمد بن ناصر نحو نزوى[140] فدارت الدائرة على بلعرب بن ناصر[141].

الإمام محمد بن ناصر الغافرى 1722 - 1727

شجعت انتصارات محمد بن ناصر الغافرى ويعرب بن بلعرب ليشكلا أكبر تحالف قبلى ضد الصبى ووصيه، واستمر حلف محمد بن ناصر ويعرب بن بلعرب وقواتهم التى تمكنت من الاستيلاء على «الرستاق» وأسر بلعرب بن ناصر الذى أودع فى السجن بدلا من أن يلغى محمد بن ناصر إمامة الصبى كما كان متوقعا فإذا به يثبت هذا الفتى فى منصب الإمامة مكتفيا بالوصاية عليه[142]، ولعله رأى فى ذلك فرضا لممارسة سلطته على عمان تسترا وراء اسم الإمام الصغير فى الوقت الذى كان حليفه يعرب بن بلعرب قد توفى ولم يبق سوى مسقط وبركة فى يد الهنائيين[143] وكان إعلان الغافرى الوصاية عام 1722 إيذانا بانقسام عمان بين زعيمين لا ينتميان إلى الأسرة اليعربية بصلة القربى، ولكن كلاهما يدعى الحفاظ على إمامة الصبى الذى كان برعاية الغافرى[144].

بدأت المعارك بين الغافرية والهنائية تأخذ حدتها بعد وصاية محمد بن ناصر، وفى منطقة «الغافات» دارت رحى معركة ضارية انتهت بهزيمة الجيش الهنائى وتفرقه، وقد أوشك الزعيم خلف مبارك الهنائى على أن يقع فى أسر القوات الغافرية فى معركة بلده «المضيبى» ولكنه هرب إلى قبائل «الحبوس» وتوجه محمد بن ناصر الغافرى إلى نزوى ومعه الصبى الصغير واجتمع مع علماء الدين ورجال القضاء والفقه ورؤساء القبائل وطلب إعفاءه من منصبه كوصى وقيم على الصبى الصغير مدعيا بأنه لم تعد لديه طاقة لمواجهة القتال وطلب إليهم انتخاب وصى آخر بدلا منه، وقوبل طلبه برفض الجميع وطلبوا منه أن يبقى على رأس السلطة لأن تركه معناه أن الهنائى سيظهر من جديد وستقوى شوكته، وكان اجتماعا عاصفا استمر يوما وليلة، فكان من أبرز المتحدثين حاكم نزوى الشيخ عبدالله بن محمد ومعه قاضى القضاة ناصر بن سلمان بن مداد، واقترحوا عقد

اجتماع مغلق لمناقشة الطلب، وفى الاجتماع قرروا إبقاء السلطة بيد محمد ناصر الغافرى وأن يعلن له الإمامة رسميا أى أن يستلم الحكم بنفسه بدلا من أن يكون وصيا وبذلك تم إسقاط الإمامة للمرة الثالثة عن الصبى سيف بن سلطان[145].

وافق على تلك الفكرة علماء الدين والقضاة ورجال العشائر وفاتحوا الزعيم الغافرى بالأمر فرفض يوما وليلة ثم قبل بعد ذلك، وفى يوم 7/ 10/ 1724 أعلن قاضى القضاة عن سقوط إمامة الصبى وإعطاء البيعة للإمام الجديد محمد بن ناصر ابن عامر بن رمثة بن خميس الغافرى إماما جديداً لعمان، ولم تنه هذه البيعة والإمامة الحرب الأهلية العمانية، إذ أن الحزب الهنائى اتخذ من تلك البيعة ذريعة تقوى بها مركزها فانتقد بعضهم ما فعله قضاة عمان واعتبروها بدعة مخالفة للعرف بينما اعتبرها بعضهم اجتهادا من قضاة وفقهاء عمان لرأب الصدع وجمع الصفوف، أما مؤرخو عمان فقد رأوا أنها حدثت جبرا من محمد بن ناصر الغافرى، أقرها القضاة وقبلها الشعب العمانى تقية وخوفا، كما أن ردود الفعل على الإمامة الجديدة لم تظهر بعد بين أوساط الأسرة اليعربية[146].

اتخذ الإمام محمد بن ناصر الغافرى من مدينة «جبرين» قاعدة لقيادته وحكم عمان حكما قويا[147] وأنه كان أكثر الأئمة فى عمان بعد مهنا بن سلطان تمت بيعتهم على الدفاع[148]، وأن انتخاب الغافرى للإمامة فتح الطريق أمام منافس آخر، ذلك هو خلف بن مبارك القصير الهنائى الذى عمل على إسقاط الإمام محمد بن ناصر[149]، الذى لم يجلب له مسمى الإمامة سوى مزيد من الخصومات والأعداء[150]، وتشكلت جبهة عريضة ضده خاصة الهنائيين[151]، وانقسام عمان مرة أخرى إلى الغافرية والهنائية[152]، مما اضطر الإمام محمد بن ناصر الغافرى مرة أخرى إلى مواجهتهم، ولكن بينما كان يغير على قلعة «صحار» الذى كان خصمه خلف بن مبارك الهنائى وأتباعه يتحصنون فيها أصيب برصاصة طائشة أودت بحياته وبعد مرور وقت قصير من ذلك علم المتمردون من الهنائية بأن قائدهم خلف بن مبارك لقى مصرعه[153] هو أيضا أثناء المعركة خارج حصن صحار عام 1728[154].

الإمام سيف بن سلطان الثانى 1728 - 1732

بويع سيف بن سلطان بالإمامة فى نزوى[155] عام 1728[156]، نظرا لأنه كان قريبا من الإمام السابق محمد بن ناصر وملازما له فى سلمه وحربه، وقد تولى سيف بن سلطان الإمامة وهو صغير السن، فواجهته المشاكل الخارجية قبل الداخلية، ففى عام 1731 بدأت البرتغال فى استفزاز العمانيين فأرسل الإمام سيف ابن سلطان حملة من ثلاث سفن حربية من الأسطول العمانى الذى انتصر بعد مواجهة صعبة[157]، أما المشاكل الداخلية فقد بدأت بامتناع مدينة «نخل» عليه[158]، وبرغم نجاح الإمام فى الخارج أثبت فشله فى الداخل وعدم كفاءته[159]، كإمام للمسلمين وانصرف عن شئون الرعية وشئون الحكم إلى أمور الترف والملذات، ويبدو أن قبائل عمان لم تكن راضية عن سيرته.

انتهى الصراع الحربى الغافرى والهنائى لفترة لأن غالبية الشعب العمانى أيدوا اختيار الإمام سيف بن سلطان، ولكن عدم تمكن الإمام الجديد من إدارة أمور البلاد يرجع لاختفاء شخصيتين متنافسين على السلطة فى عمان مما ترك فراغا سياسيا وليس لجهود ذاتية بذلها الإمام سيف بن سلطان والذى كان يمثل باستمرار الشخصية الضعيفة والمغلوبة فى حكم البلاد[160]، وعلى ذلك عادت المشاكل والحروب الأهلية من جديد بسبب تصرفات الإمام سيف بن سلطان الشخصية الخاصة والتى تتعارض مع الشريعة الإسلامية وخاصة أنه كان يشرب الخمر، علما بأن الحكم فى عمان كان إسلاميا وكان علماء الدين يمثلون الجهاز الرقابى على تصرفات الحاكم[161].

اختلفت الحرب الأهلية فى هذه المرحلة عن سابقتها والمتمثلة فى طبيعة المتصارعين الذين كانوا من أسرة اليعاربة أنفسهم هذه المرة، كما اتسعت الحرب الأهلية نتيجة الاستعانة بالقوى الخارجية سواء البلوش أو الفرس، وبذلك أخذت الدولة اليعربية تتجه نحو السقوط النهائى بسبب تنازع الأسرة اليعربية والتدخل الفارسى[162].

تقدم سيف بن سلطان بعد تولى الإمامة بطلب إلى قاضى القضاة يسأله فيه زيادة مخصصاته المالية من خزينة الدولة ولكن قاضى القضاة الشيخ سعيد بن بشير الصبحى جمد ذلك الطلب فى نفس العام أى عام 1728 وارجاه إلى أجل آخر للنظر فيه بموافقة آراء بقية العلماء(163)، كما أن إعادة الفتى للإمامة إضافة إلى سلوكه الشخصى غير السوى(164) جعل قبائل الظاهرة تعلن انتخاب إمام آخر وهو بلعرب بن حمير عام 1732(165)، الذى استولى على «سمائل» «واركى» «وبهلا» «والشرقية» «وحصون الظاهرة»(166)، أما الإمام سيف بن سلطان فإن نفوذه استمر فى حصون الباطنة ومسقط(167).

الإمام بلعرب بن حمير 1732 - 1738

اشتدت الأزمة بين الإمام سيف بن سلطان وبين القضاة وجملة فقهاء عمان، إضافة إلى مطالبته المستمرة بزيادة المخصصات المالية المقررة له فإنه انصرف إلى اللهو والمجون فقد عرف عنه معاقرته للخمر ومعاشرته للنساء لذلك كرهه رجال الدين، وفى اجتماع صاخب بينه وبين الشيخ سعيد بن بشير الصبحى الذى كان يشغل منصب القيم على مال الدولة كوزير المالية، رفض زيادة المتخصصات المالية قائلا للإمام سيف بن سلطان:

«ولا أعلم أن جدك الإمام سيف ولا عمك بلعرب ولا أباك سلطان طلبوا، ولا أخذ أحد منهم زيادة على ما مضى عليه إمامهم ناصر بن مرشد، وتلك فريضة كافية، ومات عليها الأسلاف. ولا أريدك خلاف ما عليه السلف، فهذا اختيارى والجهدة منى ولا خفت فى أمرك لومة لائم بل اخترت لك ما اختاره الله لمثلك من الأئمة، واختار المسلمون لهم ذلك نظرا ومعونة وموافقة لكتاب ربهم»(168).

جاء علماء الدين إلى نزوى فأسقطوا الإمامة عن سيف بن سلطان للمرة الرابعة وبايعوا بلعرب بن حمير بن سلطان بن سيف بن مالك بن بلعرب اليعربى

إماما علـى عمان[169]، ومع ذلك فإن الحـرب الأهلية لم تنته بهـا بل ازداد الأمر تعقيدا وضراوة فقد أصبح لعـمان إمامان كل واحد يدعى مسألة ولاء وطاعة أولاد العم المتـقـاتلين على الحكم قطيـعـة الحـرب الأهليـة فى هذه المرحلة، وأدى هذا الانقسام بينهـما إلى شلل الإدارة السياسـية وتوقف النشاط التجارى والاقـتصادى إضافة إلى تدهور مكانة عمان الخارجيـة ولم يعد أسطولهم مثار اهتمام وتقدير من القوى الإقليـميـة والدولية[170]. وكان من البـديهى أن يقع الصدام بين الـطرفين وخاصة وأنهـما استعـدا له. وكان الإمام بلعرب بن حمـير قد عقـد النية لمحاربة الإمام المخلوع سيف بن سـلطان بعد أن انضم تحت لوائه معظم قبـائل عمان[171]، والتـقى الجيـشـان وانهزمت قـوات سـيف التى كـانت بقيـادة أخـيه بلعـرب بن سلطان[172]، وأصبح الإمام بلعرب بن حمير سيد الموقف وبدأ يوحد عمان، ولم تنته الحـرب الأهلية بعد الهـزيمة التى حلت بالإمام المخـلوع الذى بدأ يبحث عن حلفـاء فى كل مكان ليتـمكن من التغلب على هذا المنافـس الجديد[173] من نفس الأسرة وابن العم.

تقـدم الإمـام المخلوع بعـد الهـزائم المتكررة[174] التى لحـقت بجنوده إلى الاستعانة بجنود مرتزقـة من ساحل مكران فى بلوشستان[175]، وقد وفدت أعداد كبـيرة من هؤلاء الجنود إلى مـسقط وأصبـحوا يشكلون قـوة خطيرة[176]، واتجه الإمام المخلوع بهؤلاء «البلوش» إلى الظاهرة[177]، ويقول مـؤلف مجهول تحـقيق د. عبـد الفتـاح عاشـور «استنهض سـلاطين مكران لمؤزرته ضد بـلعرب»[178]، وانتهى القتال بانتـصار الإمام بلعرب بن حمير وقتل عـدد كبير من البلوش[179]، ويعلق لوريمر بـأن جلب الإمام المخلوع سيف بن سلطان لـقوات من البلوش هذه يعتـبر بداية اعتمـاد حكام عمان على جنود مـرتزقة من مكران[180]، وأن جميع البلوش اسـتـقروا فى عـمـان ولم يعـودوا إلى «بلوشـسـتـان»[181]، وأنشأوا لهم مستـوطنات فى منطقة «الظاهرة» وأصبحـوا يعرفون نسبة إلى هـذه المنطقة، وبعد الهزيمة بدأ يفكر الإمام المخلوع بعيدا عن شعبه[182].

يبدو أن الشعب العماني انصرف عن مساندة الإمام المخلوع بسبب خروجه على التقاليد الإباضيه بالاستعانة الخارجية[183]، ولجأ إلى طلب معونة الأجنبي[184]، ونظرا لعدم فعالية الجنود المرتزقة من البلوش[185]، فإن الإمام المخلوع سيف بن سلطان ارتكب أكبر خطأ قومي[186]، في حق الشعب العماني وأقدم على حماقة كبيرة[187]، وكان نادر شاه قد بدأ في تكوين قوة بحرية كبيرة في الخليج العربي[188]، لاتباعه سياسة التوسع والسيطرة على عمان، وهنا جاءته هذه الفرصة لتحقيق مطامعه[189] عندما طلب الإمام المخلوع سيف بن سلطان الثاني مساعدته[190]، وبذلك أسهمت الحروب الأهلية في إضعاف القوى العمانية وتصدع وحدتها الوطنية بإجبار أحد الأطراف المتنازعة على الاستعانة بالقوى الأجنبية نفسها كالفرس[191]. وسرعان ما وافق شاه فارس لبسط سيطرته على عمان[192] ليصبح هو المسيطر على الخليج العربي[193]. وسارع بإرسال جيش كبير إلى هناك[194].

وصلت القوات الفارسية إلى خورفكان في عام 1737[195]، واتجهت إلى رأس الخيمة[196]، واجتمع بهم الإمام المخلوع سيف بن سلطان الذى خرج لمقابلتهم من مسقط[197]، وتقابل الجيشان في منطقة «السيمنى» وانتصر بلعرب بن حمير[198] ثم طلب الإمام المخلوع مزيدا من القوات الفارسية التي جاءت من شيراز تحمل الأعلام الفارسية[199]، واتجهت إلى شمال رأس «مسندم» ومنها إلى رأس الخيمة[200] حيث انضمت إلى القوات الفارسية المرابطة هناك ومنها تحرك الجيش الفارسي والجيش العماني التابع للإمام المخلوع والذى يشكل معظمه من الغافرية تحت زعيمهم مبارك بن مسعود[201]، ونجح الجيشان العماني المتحالف مع الفارسي في الاستيلاء على مواقع كانت خاضعة للإمام بلعرب بن حمير[202]، واستولى على بهلا[203]، كما استولى على «أركي» صلحا و«الباطنة» و«مسقط» و«نزوى»[204] التي ارتكبت فيها فظائع شديدة[205]، وتعرضوا للنساء والأطفال وأذاقوا العمانيين مر العذاب والهوان[206] وهاجموا مدينة «عبرى» واستباحها

الجيش الفارسى استباحة كاملة وقام بقتل الأهالى من سكان المدينة وخطف النساء وأرسلهم إلى أسواق شيراز ليبيعهن فى أسواق الرقيق[207].

أظهر الفرس نيتهم المبيتة ضد الإمام المخلوع وتحولوا لمحاربته ومحاصرته ولكن تمكن من الهرب بحرا إلى «بركا» ومنها إلى «نخل» ثم إلى «الظاهرة»[208] ولكن هذه الخيانة الفارسية كان لها على الأقل نتيجة إيجابية واحدة وهى وقف الحرب الأهلية واتحاد كل الشعب العمانى فى وجه الغزو الفارسى[209] بعدما التقى سيف بن سلطان مع الإمام بلعرب بن حمير وعلماء عمان ومشايخها[210] وتقرر أن يتنازل الأخير للأول عن الإمامة حتى يتحد العمانيون ضد الفرس[211].

الإمام سيف بن سلطان 1738 ثم خلعه فى نفس العام.

أعلن الإمام سيف بن سلطان حرب التحرير ضد الغزاة الفرس[212] الذين جلبهم هو نفسه والذين تحولوا ضده بغية الاحتلال والسيطرة الكاملة لهم، وانتهت عملية التحرير بانسحاب الفرس من «مسقط» إلى «بركا» ومنها إلى رأس الخيمة[213] غير أن الإمام سيف بن سلطان عاد لنفس سلوكه الشخصى السابق وببعض الأفعال التى لم يرض بها الشعب العمانى[214] مما دفع الفقهاء وعلماء الدين والقضاة من «نزوى» و «الرستاق» وغيرهم إلى الاجتماع والاتفاق بخلع سيف بن سلطان ومبايعة سلطان بن مرشد بن عدى اليعربى[215].

الإمام سلطان بن مرشد 1738 - 1743

تختلف المصادر فى تحديد تاريخ مبايعة سلطان بن مرشد[216]، «فابن رزيق» يحدد توليه الإمامة بعام 1151هـ الموافق 1738[217]، بينما يحددها كتاب تاريخ أهل عمان لمؤلف مجهول[218] وسرحان «الأزكوى» عام 1154هـ الموافق 1742[219] وهو نفس التاريخ الذى يحدده «مايلز» فى كتابه[220] ونميل إلى الرأى الأول والذى قد يكون أقرب إلى الصواب نظرا لتصرفات سيف بن سلطان الطائشة[221].

قامت المواجهة بين الإمام الجديد سلطان بن مرشد وبين الإمام المخلوع سيف ابن سلطان وانتهت بهزيمة الأخير[222] ومع أن الفرس خانوا الإمام المخلوع سيف ابن سلطان الثانى فى المرة الأولى فقد عاد يطلب عونهم ليعودوا إلى خداعه مرة أخرى وبصورة واضحة أيضا مما جعله يواجه فشلا كاملا لأهدافه[223] فى الوصول إلى السلطة بمساعدة القوى الأجنبية، فقد أرسل شاه فارس[224] جيشا ضخما بلغ تعداده حوالى الستين ألفا، وبذلك استولى الفرس على معظم المدن العمانية[225]، وكان الفرس قد بدأوا عملياتهم الواسعة أملا فى استعادة مكانتهم بهجومهم الذى بدأ فى مارس 1743[226].

فى حين كان الإمام المخلوع يريد استعادة الإمامة المفقودة[227] وقدم تعهدا بالتنازل لهم عن مدينة «صحار» التى حاصرها الجيش الفارسى تسعة أشهر دون أن يتمكن من اقتحامها، وفى هذه الأثناء دب الخلاف بين القائدين الفارسيين محمد تقى خان ولطيف خان[228]، اللذين كانا يقودان الحملة الفارسية الثانية باستقلالية تامة فى جميع التصرفات[229]، وهب الإمام سلطان بن مرشد لمحاربة الفرس[230] الذين اجتاحوا عمان وغزوها، وارتكبوا مذابح للمرة الثانية[231]، واستولوا على مسقط ومطرح[232] وبذلك فقد الإمام المخلوع سيف بن سلطان سلطته كلها تقريبا[233].

نشب قتال عنيف بين الطرفين الفارسى والعمانى[234] قاوم خلالها والى صحار واستطاع بمساعدة الإمام سلطان بن مرشد أن يوقف تقدم الفرس ويمنعهم من احتلال صحار[235]، وفى أثنائها توفى الإمام سلطان بن مرشد متأثرا بجراحه من جراء رصاصات أصابت جسده أثناء اقتحامه صفوف الجيش الفارسى عام 1743 وبعد أيام لحق به سيف بن سلطان الثانى الذى توفى كمدا وحزنا[236] وانتهت هذه المرحلة على أثر النجاح الذى حققه أحمد بن سعيد والى صحار على الفرس مستخدما أشد الخدع مكرا وكل الوسائل كمخطط للوصول إلى الحكم من خلال التخلص من الفرس[237] وتضييق الخناق على قواتهم فى ميناء «بركا» حيث قضى عليهم من قبل الشعب العمانى بشكل إبادة جماعية[238].

الإمام بلعرب حمير 1743 - 1753

بايع الشعب العمانى بلعرب بن حمير إماما على الدفاع للمرة الثانية فى عام 1743 وفى آخر عهده خرج عليه أحمد بن سعيد حاكم صحار وأخذ منه نزوى عام 1753[239]، بعدما قتل فى معركة «فارق» فى وادى كلبا، وكان موت بلعرب ابن حمير ضربة قاضية لليعاربة فقد بقى ماجد بن سلطان شقيق سيف بن سلطان الثانى فى عزلة إذ لم تكن لديه قوة تقف معه ولم يبق من اليعاربة من يعارض أحمد بن سعيد سوى سليمان بن محمد بن عدى اليعربى وكان واليا للإمام سلطان بن مرشد على «سمد الشأن» فلما وجد سليمان بن محمد بن اليعربى أن المدن الداخلية أعلنت خضوعها لأحمد بن سعيد قدم إليه وأعلن عن تنازله عن «سمد الشأن» فجازاه أحمد بن سعيد على ذلك[240] بولاية «النخل» وبذلك انتهى حكم اليعاربة فى عمان وانتهت الحروب الأهلية وظهرت دولة البوسعيد الجديدة ولكن الانقسام استمر حتى انفصل ساحل عمان عن عمان وكذلك عمان الداخل نظرا لانقسام الهنائى والغافرى الذى سوف يستمر حتى عام 1971 باستقلال دولة الإمارات العربية بعد الانسحاب البريطانى وإعلان سلطنة عمان.

نتائج الدراسة

أولا: قدمت إمامة اليعربه الكثير من التضحيات لتطور عمان وكان أهم أعمالها ما يلى:

1 - تحرير سواحل عمان والخليج العربى وشرق أفريقيا من الاستعمار الإرهابى المسيحى البرتغالى.

2 - إنشاء قوة عربية كبيرة ليس فى الخليج العربى فحسب وإنما فى المحيط الهندى أيضًا.

3 - أقام اليعاربة تنظيما سياسيا وإداريا لدولة كبيرة يشمل القسم الآسيوى من عمان والبحرين وبعض الجزر فى مدخل الخليج العربى، أما القسم الأفريقى فيشمل من مقديشيو فى الصومال مرورا بساحل شرق أفريقيا مثل «لامو» «مالندى»

«كلوة» «ممباسة» «الجزيرة الخضرا» و«زنجبار» حتى حدود «موزمبيق»، مما ساد الاستقرار والأمن فى تلك المناطق التى كان اليعاربة يملكونها، وهذا بالتالى ساعد على تطور الحركة الفكرية والنشاط الاقتصادى الذى أدى إلى ازدهار التجارة والصناعة، وخاصة صناعة السفن الحربية والتجارية الضخمة إضافة إلى صناعة السلاح الثقيل فى ذلك الوقت.

4 - أعاد اليعاربة العلاقات بين عرب الجزيرة العربية وشرق أفريقيا بعدما قطعها الاستعمار المسيحى البرتغالى.

ثانيا:ـ اتخذت «الإمامة» فى عهد اليعاربة صفة أخرى إضافة إلى تطبيق الشريعة والحكم الإسلامى، فقد امتزج الدين بالسياسة وأدى إلى وحدة عمان الطبيعية الكبرى بعدما كانت مجزأة وممزقة، وشكلا نظاما سياسيا جديدا لم تعرفه الإمامة من قبل، ولعب أئمة اليعاربة دوراً مهما فى السياسة والإدارة وخاصة الإمام ناصر بن مرشد الذى بدأ فى بناء الدولة المنظمة العصرية وتوحيد الجبهة الداخلية العمانية، ثم اتجه إلى محاربة الاستعمار المسيحى البرتغالى وبذلك بنيت الإمامة على ركنين: التوجه فى الداخل بالتوحيد والوحدة وفى الخارج بالتحرير والجهاد ضد المسيحيين البرتغاليين وبناء القدرة العسكرية البحرية، فى حين كان الأئمة المتأخرون على درجة كبيرة من الضعف فلم يستطيعوا توحيد الجبهة الداخلية وتحقيق الوحدة العمانية مما زاد فى الحروب الأهلية.

ثالثا:ـ تضافرت مجموعة من الأسباب للإجهاز على إمامة اليعاربة فى كل من عمان وشرق أفريقيا خلال أربعينيات القرن الثامن عشر، وقد تمثلت أهم تلك الأسباب فى الصراعات الداخلية التى واجهتها عمان وما تعرضت له من تدخل فارسى فى الشئون الداخلية العمانية، وقد أثر هذا فى سير تلك الأحداث التى انقسمت فيها عمان وظهرت الاضطرابات والفتن الداخلية بين التجمعات القبلية السائدة.

رابعا:ـ لعب الدين دورا بارزا عندما امتزج بالمفهوم السياسى الوحدوى

ليطرح شعارين: بناء الجبهة الداخلية وتوحيدها ثم تحرير عمان من الاستعمار المسيحى البرتغالى، وقام علماء الدين من المذهب الإباضى والفقهاء بدور أساسى بجانب الحكم السياسى المتمثل فى الإمام إضافة إلى دورهم فى اختيار الأئمة وكانوا هم المحرك الأساسى للأمور الهامة، وكانوا يتوخون العدل والمصلحة العامة، وبذلك شكل رجال الدين الجهاز الرقابى على تصرفات الأئمة وهو أقرب إلى الجهاز التشريعى أو البرلمان المنتخب فى حين كانت البيعة أو انتخاب الإمام أى الحاكم يتم مباشرة من الشعب، كما يحدث اليوم فى معظم الدول الديمقراطية الغربية، وإن كان الرأى الأول لعلماء الدين، وخاصة قاضى القضاة الذى يرشح الأشخاص الذين يجد فيهم الكفاءة وتنطبق عليهم شروط الإمامة فى حين يكون القرار النهائى للشعب بغض النظر عن كفاءة المرشح أم لا، وهذا ما أدى إلى الحرب الأهلية فى عمان نظرا لعدم وجود الوعى السياسى الكامل لدى العامة وتفضيلهم العامل الوراثى على مبدأ حرية الترشيح.

خامسا:ـ تعتبر الإمامة فى العهد اليعربى امتدادا للفكر السياسى الأساسى الإباضى وهى إبعاد السلطة عن التوارث، ومع ذلك وجدنا تثبيت فكرة السلطة فى أسرة واحدة وبالذات العامل الوراثى من الخاصة والعامة وبالذات علماء الدين. وقد يكون الضغط الشعبى او مطالب العامة له دور فى هذا التوجه من خلال ما وجدنا بعد موت الإمام سلطان بن سيف حيث يصر الشعب على تنصيب إمام لا تنطبق عليه شروط الإمامة، فى حين يقف رجال الدين ضد إرادة الشعب ويختارون مهنا بن سلطان.

سادسا:ـ انتهى حكم النبهانيين عندما اتصل أحد حكامها وطلب مساعدة البرتغاليين فى تثبيت حكمه وهو «ابن حمير» وكان آخر سلالة النبهانية فى حين كان «ابن حمير» أى «بلعرب بن حمير» آخر سلالة اليعاربة أى تشابه الاسمان فى حين كان الأول طلب مساعدة الأجنبى البرتغالى، أما الثانى فقد قاوم التدخل الأجنبى الفارسى. وكما انتهى النبهانيون عندما طلبوا مساعدة البرتغال فإن اليعاربة

أيضا انتهوا عندما طلبوا مساعدة فارس من قبل سيف بن سلطان الثانى، كما مهدت نهاية النبهانيين لقيام اليعاربة فإن نهايتهم كانت بقيام البوسعيد.

سابعا:- أثر سقوط دولة اليعاربة ليس على الاستقرار الداخلى أو الازدهار الفكرى والاقتصادى فى عمان فقط وإنما أدى إلى اختفاء الأسطول اليعربى القوى الذى كان عامل أمن واستقرار وحفاظ من أطماع الاستعمار المسيحى الإرهابى الأوروبى إلى تكالب تلك الدول، وخاصة بريطانيا التى قامت بملء الفراغ العسكرى الذى خلفه اليعاربة نتيجة للحروب الأهلية، وذلك برغم عودة العمانيين إلى البحار الشرقية بعد سقوط اليعاربة وعودة العلاقات مع شرق أفريقيا ولكنها كانت تحت المظلة الاستعمارية المسيحية البريطانية وحمايتها وبذلك فقدت المنطقة استقلالها وقسمتها بريطانيا إلى كيانات سياسية صغيرة أقرب إلى مشيخات المدن المبعثرة.

ثامنا:- انقسام عمان نتيجة للحروب الأهلية إلى عدة أجزاء سياسية صغيرة وضعيفة، الأول - «عمان الساحل» - وحكمها البوسعيد فى ساحل الباطنة ذات التوجه الحزبى الهنائى، والثانى - «عمان الداخل» - حيث الإمامة الاباضية ذات التوجه الغافرى، والثالث «ساحل عمان الشمالى» فى رأس الخيمة ذات التوجه الحزبى الغافرى والتى انقسمت أيضا فيما بينها إلى عدة أقسام غافرية صغيرة عندما انفصلت الشارقة عن رأس الخيمة التى تزعمت غافرية «ساحل عمان الشمالى» كما انفصلت أقسام أخرى وهى عجمان - أم القوين -الفجيرة. والرابع المتمثل فى الحزب الهنائى فى «ساحل عمان الجنوبى» - أبو ظبى - والتى انفصلت عنها «دبى» كما حاولت «خور العديد» الانفصال ولكن الظروف الإقليمية منعتها إضافة إلى أن حكام أبو ظبى تمكنوا من استرجاعها وبذلك يمكن القول إن النتيجة النهائية للحرب الأهلية العمانية لم تتوقف بانتهاء اليعاربة عام 1752 وباستيلاء البوسعيد على السلطة وإنما استمر الانقسام الغافرى والهنائى والتى مزقت عمان إلى مشيخات سياسية صغيرة حتى عام 1971 أى الانسحاب المسيحى البريطانى وقيام دولتىن وهما «سلطنة عمان» ودولة الإمارات العربية المتحدة.

الهوامش

1 ـ Kell John - Britain and The Persian Galf 1795 - 1880 London,1968 - P.4.

2 ـ The Geographical Section of The Naval Intelligence Divison , AHand Book of Arabia . Vol . I . p.237.

3 ـ Miles , Samuel . B - The Countries and Tribes of The Persian Gulf , 2 Vols , London 1919 and 2nd Ed in one . inone Volume 1966 . p.4

4 ـ Hamilton , Alexander . ANew Account of The East Indies AGeneral Collection of The Best And Most Intersting Voyages And Travels In All Parts of The World Digested By John Pinkerton . Vol . VIII . London 1811 . P.288

5 ـ د. محمد علي الدؤاد - ملامح التاريخ السياسي لمنطقة الخليج العربي - مجلة الخليج العربي - جامعة البصرة - العدد - 8 - لعام 1977 ص 11

6 ـ Badger , Gearge Percy - History of The Imams And Seyyids of Oman - By Salil - Ibn - Razik - Introduction and Analysic - London 1871 . P . xxx.

7 ـ نور الدين عبد الله بن حميد السالمي - تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان - القاهرة - ١٩٦١ . جـ2. ص3.

8 - د. محمد صابر إبراهيم عرب - دولة اليعاربة بين الوحدة الوطنية والإنتصارات الخارجية - مجلة الجمعية التاريخية المصرية - العدد (37) 1980. ص 191

9 - د. محمد صابر إبراهيم عرب - نفس المرجع ص 191

10 ـ Strandes , Justus - The Portuguese Period In East Africa - Translated From The German . By Tean,F . - Wallwork - Nairobi 1968 . P.197

11 ـ Lorimer , J . G - Gazetteer of The Persian Gulf - Oman and Central Arabia - Vol . 2 - Irish University Press - 1970 . P.161

12 - د. جمال زكريا قاسم - دولة بوسعيد في عمان وشرق أفريقيا 1841 - 1861 - القاهرة 1968. ص20

13 - د. بدر الدين عباس الخصوصي - العامل الإقتصادي واثره على إنسان الخليج العربي في العصر الحديث - محاضرات الموسم السابع 1974 - الخليج العربي في مواجهة التحديات - رابطة الإجتماعيين - مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع - الكويت - 1977. ص405.

14 - Hopwood , Derek - The Arabian Peininsula - Society and Politics - London 1972 . P.97

15 - نور الدين بن عبد الله بن حميد السالمي - المرجع السابق جـ2 ص45.

16 - Badger George Percy - Op . Gt . P . xxvII

17 - Skeet , Ian - Mascat and Oman The End of An era - London 1974 . P.38

18 - حميد بن محمد بن رزيق - الشعاع الشائع - تحقيق عبد المنعم عامر - وزارة التراث القومي والثقافة - مسقط 1978. ص217

19 - محمد بن عبد الله السالمي وناجي عساف - عمان - تاريخ يتكلم - دمشق 1963. ص158

20 - Ingrams , W , H . Zanzibar , Its History and Its P eople - Landon - 1931 - P.119

21 - دونالد هولي - عمان ونهضتها الحديثة - لندن - ص38.

22 - د. جمال زكريا قاسم - الأصول التاريخية للعلاقات العربية - الأفريقية - معهد البحوث والدراسات العربية - القاهرة 1975 - ص108

23 - Badger , Gearge Percy - OP . Cit . P23

24 - Laurence Lockhart - Nadir Shah,s Campaigns in Oman 1737 - 1744 - Bulletin of The School of Oriental and African Studies , Vol . VIII. 1936. Pt. 1. PP.157-171

25 - Charles Lockyer An account of The the trade in India London - 1911 . P.207

26 - Robert Geran Landen - Oman Since 1856. Landon P.56

Bathurst , R . D - Maritimetrade and Imamate Government two _ 27
Principal themes in the history of Oman tp 1728 in the Arabian Peninsula
Iondon 1972 P.99

Robert Geran Landen - OP . Cit . P.57 _ 28

Ingram , W . H - OP . Cit . P.120 _ 29

SReet , I an - OP. Cit. P.39 _ 30

Bathurst , R , D. - OP. Cit. P.99 _ 31

32 ـ د. خلدون حسن النقيب ـ المجتمع والدولة فى الخليج والجزيرة العربية - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت 1987. صـ76.

33 ـ د. خلدون حسن النقيب - نفس المرجع صـ79

Coupland , R. East Africa and its invaders - Lundon 1939 - P.69 _ 34

Laurence Lockhart - The fall of the Safari dynasty - Cam bridge _ 35
1958. P.115

Miles , S. B. - OP. Cit. P.237 _ 36

Hopwood, Derek - OP. Cit. P.98 _ 37

38 ـ د. جمال زكريا قاسم ـ المرجع السابق ص37.

Kell , J. B. - OP. Cit. P.8 _ 39

40 ـ نور الدين بن عبد الله بن حميد السالمى - المرجع السابق جـ2 ص110

41 ـ محمد بن عبد الله السالمى وناجى عساف - المرجع السابق ص160

42 ـ عائشة السيار ـ دولة اليعاربة فى عمان وشرق أفريقيا - وزارة الإعلام بدولة الإمارات العربية المتحدة - أبو ظبى 1975 - ص182

43 - د. جمال زكريا قاسم - الخليج العربى - دراسة لتاريخ الإمارات العربية فى عصر التوسع الأوروبى الأول - دار الفكر العربى - القاهرة - 195 ص132

44 - د. خلدون حسن النقيب - المرجع السابق ص 79

45 - د. خلدون حسن النقيب - نفس المرجع ص 75

46 - د. خلدون حسن النقيب - نفس المرجع ص 75

47 - سرحان بن سعيد الأزكوى العمانى - تاريخ عـمان - «المقتبس من كتاب كشف الغمة لتاريخ الأمـة». تحقيق عبد المجـيد القيس - وزارة التراث الـقومى والثقافـة مسقط - 1980 - ص345

48 - د. خالد ناصر الوسيمى - عمان بين الاستقلال والإحتلال - مؤسسة الشراع العربى - الكويت 1993 ص70

49 - د. خالد ناصر الوسيمى - نفس المرجع ص70

50 - د. صلاح العـقاد - التيـارات السيـاسية فى الخليج العـربى - مكتبـة الأنجلو المصرية القاهرة - 1991 ص 46

51 - محمد عبد الله السالمى وناجى عساف - المرجع السابق ص160

52 _ Kelly , I. B - OP. Cit. OP

53 _ Badger , George Percy - OP. Cit - P. xxx

54 _ Ross , E. G. - Annals of Oman From Early times to the year 1728 A. _ P. - Beng. AS. Soc. Journal of the Asiatic Society of Bengal. Vol. XFIII , Calcutta - 1874 - P.166

55 _ Miles , S. B - OP. Cit. P.288

56 - د. جمال زكريا قاسم - الأصول التاريخية للعلاقات العربية - الأفريقية ص30.

57 _ Kelly, J. B - OP. Cit. p.8

58 _ Donald Hawley - The Trucial Stucial States - Londan 1970 - P.80

59 _ Bertram Thomas - Arab rule under the Al - Bu Said Dynasty in Oman and East Africa - London1938. P.10

60 _ Badger , G. P. - OP. Cit. P. xxx99

61 _ Hopwood, Derek - OP. Cit. P.104

62 - نور الدين بن عبد الله بن حميد السالمى - المرجع السابق جـ2 ص116

63 - فالـح حنظل - المفصل فى تاريخ الإمـارات العربيـة المتحـدة - لجنة التراث والتـاريخ ابوظبى - 1983 ص 130.

64 - سرحان الأزكوى - المرجع السابق ص115

65 - حميد بن محمد بن رزيق - المرجع السابق ص30

66 - د. سعيد عبد الفتاح عاشور - تحقيق مخطوطة لمؤلف مجهول - كتاب تاريخ عمان وزارة التراث القومى والثقافة - مسقط 1980 ص116

67 - سرحان الأزكوى - المرجع السابق ص 114

68 - د. مديحة أحمد درويش - سلطنة عمان فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر - دار الشروق - جدة 1982 - ص 39

69 - Donald Hawley - op. Cit . p80

70 - Hopwood , Derek - OP. Cit. p.104

71 - د. صالح محمد العابد - دور القواسم فى الخليج العربى 1747 - 1820 - بغداد 1976 ص42

72 - Miles , S. B - OP. Cit. P.238

73 - د. خالد ناصر الوسمى - المرجع السابق ص40

74 - د. خالد ناصر الوسمى - نفس المرجع ص40

75 - سرحان الأزكوى - المرجع السابق ص115

76 - فالح حنظل - المرجع السابق جا ص130.

77 - Badger , G. P. - OP. Cit. P. xxxF,170

78 - نور الدين عبد الله بن حميد السالمى - المرجع السابق جـ2 ص116

79 - حميد بن محمد بن رزيق - الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيديين - وزارة التراث القومى والثقافة - مسقط 1977 ص 326

80 - Donald Hawley - OP. Cit. P.80

81 - Miles, S. B. - OP. Cit. P.239

82 - فالح حنظل - المرجع السابق جا ص130

83 - فالح حنظل - نفس المرجع ص 131

84 - Miles, S. B - op. Cit. p.239

85 - Ross, E. G. - OP. Cit. p.166

86 - Badger, G.P. - OP. Cit PP. xxx99

87 - نور الدين عبد الله حميد السالمى - المرجع السابق جـ2 ص117

88 - سرحان الأزكوى - المرجع السابق ص118

89 - د. خالد ناصر الوسمى - المرجع السابق ص40

90 - فالح حنظل - المرجع السابق جـ1 ص132

91 - Badger, G. P. - OP. Cit. P. xxxi,101

92 - Miles , S. B - OP Cit. P.239

93 - د. جمال زكريا قاسم - المرجع السابق ص38

94 - نور الدين بن حميد السالمى - المرجع السابق جـ2 ص123

95 - فالح حنظل - المرجع السابق ص132

96 - فالح حنظل - نفس المرجع ص133

97 - Hopwood, Derek - OP. Cit. P.104

98 - Hawley, Donald - OP. Cit. P.81

99 - Miles, S. B - OP. Cit. P.240

100 - Bod, er, G.P. - OP. - Cit. P. xxx103

101 - فالح حنظل - المرجع السابق جـ1 ص134

102 - د. خالد ناصر الوسمى - المرجع السابق ص40

103 - نور الدين بن عبد الله بن حميد السالمى - المرجع السابق جـ2 ص120

104 - د. خالد ناصر الوسمى - المرجع السابق ص40

105 - Miles, S. B - OP. Cit. P.242

106 - Badger, G. p - OP. Cit. P. xxxi,101

107 - د. جمال زكريا قاسم - المرجع السابق ص133

108 - سرحان الأزكوى - المرجع السابق ص119

109 - Miles, S. B - OP. Cit. P.240

110 - Kelly, J. B. - OP. Cit. P.4

111 - Lorimer, J. G. - OP. Cit Pvol. 2. P.162

112 - د. صلاح العقاد - المرجع السابق ص46

113 - Bertram thomas - OP. Cit. P.155

114 - د. خلدون حسن نقيب - المرجع السابق ص75

115 - د. محمد مرسى عبد الله - إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى 1739 - 1818 - المكتب المصرى - القاهرة 1978 ص64.

116 - د. صلاح العقاد - المرجع السابق ص46.

117 د. جمال زكريا قاسم - المرجع السابق ص133.

118 - Wilkinson, J. C - the Organizaiton of the Falaj irrigation in Oman- Oxford. 1971. P.25.

119 - د. جمال زكريا قاسم - المرجع السابق جـ133

120 - د. محمد حسن العيدروس - تاريخ الخليج العربى الحديث والمعاصر - عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية - القاهرة 1996 صـ100

121 - Wilkinson, J. C. - OP . Cit. P.25.

122 - للمزيد من المعلومات يرجى الاطلاع د. محمد العيدروس - الأفلاج فى مدينة العين - دار المتنبى - أبو ظبى 1991

123 - د. محمد حسن العيدروس - المرجع السابق ص100.

124 - د. محمد حسن العيدروس - نفس المرجع ص100.

125 - Bertram, thomas, - OP. Cit. P.155.

126 - د. صلاح العقاد - المرجع السابق ص 46.

127 - عائشة السيار - المرجع السابق ص183.

128 - عائشة السيار - نفس المرجع ص183.

129 - د. جمال زكريا قاسم - الخليج العربى - دراسة لتاريخ الإمارات العربية فى عصر التوسع الأوروبى الأول 1507 - 1840 - دار الفكر العربى - القاهرة 1985 ص136.

130 - د. جمال زكريا قاسم - المرجع السابق ص136

131 - نور الدين عبد الله بن حميد السالمى - المرجع السابق جـ2 ص117

132 - فالح حنظل - المرجع السابق جـ1 ص135

133 - نور الدين عبد الله بن حميد السالمى - المرجع السابق جـ2 ص117

134 - عائشة السيار - المرجع السابق ص183

135 - Ross, E. G - OP. Cit P.172

136 - Kelly, J. B - OP. Cit. P.16

137 - Ross, E. G - OP. Git. P.172

138 - Bertram, thomas - OP. Cit. P.104

139 - Kelly, J. B. - OP. Cit. P.16

140 - Ross, E G - OP. Cit. P.172

141 - Bertram, thomas - OP. Cit. P.104

142 - عائشة السيار - المرجع السابق ص184

143 - عائشة السيار - نفس المرجع ص184

144 - Ross, E. G - OP. Cit. P.172

145 - فالح حنظل - المرجع السابق جـ1 ص145

146 - فالح حنظل - نفس المرجع جـ1 ص147

147 - Lorimer, J. G - vol. 2. OP. CIT. P.162

148 - نور الدين عبد الله السالمى - المرجع السابق جـ2 ص134

149 - Niebuhr, N - Travleis through Arabia - Edinburag1972. Vol. II. P.118

150 - د. خالد ناصر الوسمى - المرجع السابق ص40

151 - د. عبد العزيز عوض - دراسات فى تاريخ الخليج العربى الحديث - مكتبة الرائد العلمية - عمان - 1991 ص68

152 - شركة زيت العربية - الأمريكية - عمان والساحل الجنوبى للخليج - القاهرة 1952 ص16

153 - د. خالد ناصر الوسمى - المرجع السابق ص40

154 - Ross, E. G - OP. Cit. P.144

155 - د. بدر الدين عباس الخصوصي - المرجع السابق ص406

156 - Kelly, J. B - OP. Cit. P.17

157 - Miles, S. B. - OP. Cit. P.256

158 - Badger, G. P. - OP. Cit. P.53

159 - Niebuhr, N. - OP. Cit. Vol. II, P.118

160 - Ross, E. G - OP. Cit. P.195

161 - عائشة السيار - المرجع السابق ص190

162 - عائشة السيار - نفس المرجع ص190

163 - فالح حنظل - المرجع السابق جـ1 ص154

164 - Badger, G. P. - OP. Cit. P.53

165 - نور الدين عبد الله حميد السالمي - المرجع السابق جـ2 ص144

166 - حميد بن محمد بن رزيق - المرجع السابق ص327

167 - د. سعيد عبد الفتاح عاشور - المرجع السابق ص177

168 - فالح حنظل - المرجع السابق جـ1 ص159

169 - فالح حنظل - نفس المرجع جـ1 ص160

170 - Miles, S. B. - OP. Cit. P.251

171 - سرحان الأزكوي - المرجع السابق ص139

172 - حميد محمد رزيق - المرجع السابق ص327

173 - د. خالد ناصر الوسمي - المرجع السابق ص41

174 - حميد محمد رزيق - المرجع السابق ص177

175 - د. سعيد عبد الفتاح عاشور - المرجع السابق ص177

176 - حميد محمد رزيق - المرجع السابق ص327

177 - Miles, S. B - OP. Cit. P270

178 - 178 - Laurence Lock hart - OP. Cit. P.123

179 - د. خالد ناصر الوسمي - المرجع السابق جـ41

180 - Lorimer, J. G. - OP. Cit. Vol. 2. P.161

181 - Miles, S. B - OP. Cit. P.753

182 - حميد بن محمد بن رزيق - المرجع السابق ص328

183 - د. مصطفى عقل الخطيب - التنافس الدولى فى الخليج العربى - المكتبة العصرية صيدا - 1981 ص276

184 - Lau rence Lockhart - OP. Cit. P.123

185 - د. مصطفى عقل الخطيب - المرجع السابق ص276

186 - Calivinll, Allen. Jr. - Sayyids Sd and Svlld Sulltans Politics and tradid Marget Un den the Al Ba Said 1785 - 1914 - Univensity Micro films Internai onal - Ann Arber - Michigan 1984. P.25

187 - د. خالد ناصر الوسمى - المرجع السابق ص41

188 - د. عبد الأمير محمد أمين - القوى البحرية فى الخليج العربى فى القرن الثامن عشر - بغداد - 1966 ص20

189 - Miles, S. B - UP. Cit. P.254

190 - Calivin II, Allen. Jr. OP. Cit. P25

191 - د. خلدون حسن نقيب - المرجع السابق ص77

192 - Lorimer, J. G. - Cit. Val. 2. P.164

193 - Robert, Geran Landen - OP. Cit. P.57

194 - Saldanha, Selections from State PaPers. P.25

195 - Saldanha - OP. Cit. P.52

196 - Lor imer, J. G. - OP. Cit. Vol. 2. P.164

197 - د. سعيد عبد الفتاح عاشور - المرجع السابق ص178

198 - سرحان الأذكوى - المرجع السابق ص142

199 - Badger, G. P - OP. Cit. P.141

200 - د. صادق حسن عيدوانى - ندوة الحصاد - الجزء الثانى - وزارة التراث القومى والثقافة - مسقط 1980 ص56

201 - د. عبد الأمير محمد أمين - المرجع السابق ص16

202 - د. مصطفى عقيل الخطيب - المرجع السابق ص271

203 - د. عبد الأمير محمد أمين - المرجع السابق ص16.

204 سرحان الأزكوى - المرجع السابق ص142.

205 - د. صلاح العقاد - المرجع السابق ص48.

206 د. سعيد عبد الفتاح عاشور - المرجع السابق ص187.

207 - محمد عدنان مراد - صراع القوى فى المحيط الهندى والخليج العربى - دمشق 1994 ص234.

208 - سرحان الأزكوى - المرجع السابق ص142.

209 - د. خالد ناصر الوسمى - المرجع السابق ص41.

210 - حميد بن محمد رزيق - المرجع السابق ص337.

211 - د. سعيد عبد الفتاح عاشور - المرجع السابق ص181.

212 - نور الدين بن حميد السالمى - المرجع السابق جـ2 ص148.

213 - سرحان الأزكوى - المرجع السابق ص142.

214 - د. عبد الأمير محمد أمين - المرجع السابق ص16.

215 - Wendell, Philips - Omnn AHistory - 1967 . P.63.

216 - د. عبد الأمير أمين - المرجع السابق ص16.

217 - حميد بن محمد رزيق - المرجع السابق ص337.

218 - د. سعيد عبد الفتاح عاشور - المرجع السابق ص182.

219 - سرحان الأزكوى - المرجع السابق ص143.

220 - Miks, S. B. P.260.

221 - لمزيد من المعرفة يرجى الاطلاع على بحثنا عن التدخل الفارسى فى الشئون العمانية 1737 - 1744 مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية يوليو 1988.

222 - Laurence, Lockhart - OP. Cit. P.166

223 - د. خالد ناصر الوسمى - المرجع السابق ص41

224 - Laurence Lockhart - the Navy of Nadir Shah - Proceedings of the Iran Society Vol. I. Part - London. 1936. P.184

225 - Lorimer, J. G. - OP. Lit. Vol. 2. P.164

226 - Slot, B. J. - the Arabs of the Gulf 160 2- 1784 - 226 -Leidschen dam 1993 P.221

227 - د. جمال زكريا قاسم - دولة بوسعيد فى عمان وشرق أفريقيا - 1741 - 1861 - القاهرة - 1967 ص40

228 - د. مصطفى عقيل الخطيب - المرجع السابق ص278

229 - د. صادق حسن عيد وانى - المرجع السابق ص57

230 - د. جمال زكريا قاسم - المرجع السابق ص40

231 - Wendell, Philips - UP. Cit. P.63

232 - د. جمال زكريا قاسم - المرجع السابق ص40

233 - Slot, B. J. - OP. Cit. P.221

234 - Lauremce Lockhart - OP. Cit. P.184

235 - محمد عدنان مراد - المرجع السابق ص234

236 - سرحان الأذكوى - المرجع السابق ص142

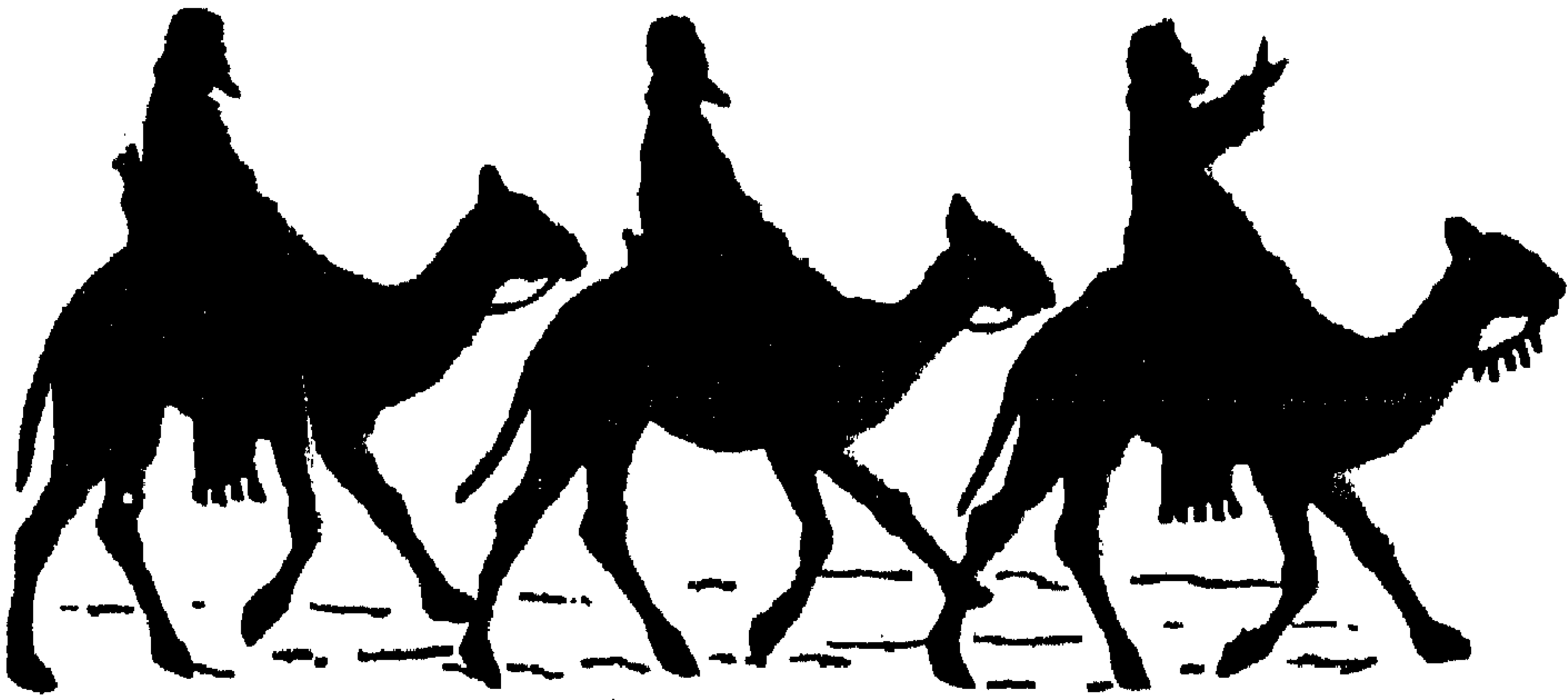
237 - د. خالد ناصر الوسمى - المرجع السابق ص41

238 - رياض نجيب الريس - ظفار - قصة الصراع السياسى والعسكرى فى الخليج العربى - لندن 1977 ص63

239 - د. عبد العزيز عوض - المرجع السابق ص100

240 - عائشة السيار - المرجع السابق ص205

الفصل الثالث



العلاقات العمانية - الظبيانية في إطار التحالف الهنائي في النصف الأول من القرن التاسع عشر

نشر هذا البحث فى حولية الدراسات الآسيوية العدد الأول ـ 1997.

تقديم

تتناول هذه الدراسة العلاقات العمانية - الظبيانية التى تعود جذورها إلى ظهور القوى السياسية فى عمان على أنقاض إمامة اليعاربة، وخاصة البوسعيد والبوفلاح والقواسم، فى كل من مسقط وأبوظبى ورأس الخيمة، أما أسس التحالف العمانى الظبيانى فيعود إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر، وخاصة فى عهد سعيد بن سلطان الذى عاصر عددا من حكام أبوظبى، وذلك لطول فترة حكمه الذى بلغ حوالى نصف قرن أى من عام 1806 إلى عام 1856.

تتركز الدراسة على قيام التحالف الهنائى العمانى - الظبيانى، العلاقة بين سعيد بن سلطان وحكام أبوظبى، التعاون العمانى - الظبيانى المشترك فى القضايا الداخلية، التعاون العمانى - الظبيانى المشترك فى القضايا الخارجية، التصدى العمانى - الظبيانى المشترك للغزو النجدى فى البريمى، نتائج التعاون العمانى - الظبيانى المشترك، كما تحتوى هذه الدراسة على الوثائق البريطانية الجديدة وغير المنشورة.

قيام التحالف الهنائى العمانى - الظبيانى:

تنقسم قبائل عمان الطبيعية منذ بداية القرن الثامن عشر إلى حلفين هما: الهنائى والغافرى[1] وتؤيد القبيلة الهنائية أو الغافرية مثيلاتها من القبائل فى الحروب الداخلية والقضايا العامة فى عمان وخارجها ولكلا التحالفين زعامات خاصة بكل منهما فى مختلف أرجاء عمان، يرجع قيام هذين الحلفين إلى أواخر

الدولة اليعربية 1624 ـ 1741، فبعد وفاة الإمام سلطان بن سيف اليعربى عام 1718[2]، اجتاحت عمان مشكلة سياسية ودينية بسبب المتنازعين[3] حول تولى الإمامة، إذ كان ابنه سيف بن سلطان الثانى صغير السن لم يبلغ الحلم فأيده عامة الشعب وعارضه رجال الدين[4]، وظهر فى الميدان السياسى شخصيتان كبيرتان قادتا الحرب الأهلية، الشخصية الأولى خلف بن مبارك الهنائى[5]، وينتسب لقبيلة بنى «هناءة»، والشخصية الثانية محمد بن ناصر الغافرى[6]، وينتسب لقبيلة بنى غافر.

انقسمت قبائل عمان كافة فى تأييد هذين الزعيمين، وعلى الرغم من أنهما قتلا أثناء الصراع فيما بينهما خارج حصن صحار عام 1728، إلا أن طول فترة الانقسام والصراع التى عاشتها عمان ترك فجوة عميقة بين تحالف القبائل الهنائية والغافرية، وأدى هذا الصراع والانقسام بدولة اليعاربة عام 1741[7] إلى ظهور التحالف الهنائى والغافرى، الذى نتج عنه تطور كبير لمفهوم السياسة فى الحياة العمانية، إذ أعاد هذا التحالف تشكيل تحالفات القبائل وولاءها من العصبية القبلية إلى تحالف وولاء سياسى جديد يختلف عما كان عليه من قبل وهو أقرب إلى الحزب السياسى[8].

يقول بعض المؤرخين البريطانيين إنها صورة من صور التعصب التقليدى بين عرب الشمال الحجازيين وعرب الجنوب اليمنيين[9]، وهذا غير صحيح لأن معظم القبائل العمانية تنتمى إلى العصبية اليمنية سواء التى هاجرت من اليمن مباشرة بعد انهيار سد مارب «كالأزد» أو القبائل اليمنية والحضرمية التى جاءت فى الفترة اللاحقة مثل «العوامر» و «الكثير» و«الجنابة» و«النعيم» «البوشامس» و«الحبوس» و«المناصير» و«المزاريع» وغيرهم.

شكل نظام الأفلاج والرى مصلحة اقتصادية[10]، لمجموعة القبائل التى ترتبط مصالحها وحياتها عليه، ومن ثم تشكلت وحدة سياسية إقليمية من مجموعة هذه القبائل، وقد قام هذا العامل الاقتصادى بدور كبير فى تشكيل اتجاهات القبائل

نحو التحالف الهنائى أو الغافرى، فالصـراع هو صراع اقتصادى تحول إلى سياسى وأدى فى النهـاية إلى تشكيل الحـزب أو تحالف مـن القبـائل العـمانيـة «الأزدية» و«الحضرمية» لأجل المحافظة على مصالحـها الاقتصادية عن طريق تكتل سياسى - عسكرى لحماية أمنها السياسى فى الإقليم الجغرافى. ويمكن اعتبار تحزب أى قبيلة للتحـالف الهنائى أو الغافرى فى تلك الفـترة من أكبر الأدلـة على عمانية القـبيلة ودخولها فى حدود الكيان السياسى لعمان الطبيعية برغم انفصال الكيان الموحد بعد نهاية الإمامة اليعربية، إلا أن الوحدة العمـانية استمرت عن طريق هذين التحالفين حتى الانسحاب البريطانى من عـمان وساحل عمان عام 1971، كما لا نجد لهذه العصبية الهنائية والغافرية فى قطر[11] أو الإحساء أو الكويت أو البحرين أو نجد أو الحجاز، وإنما توجد مـثيلتها كتحالف قبـائل «حاشد» و «بكيل» فى اليمن الأوسط وقبائل «الكثير» و «اليافع» فى جنوب شرق اليـمن «حضرموت» كما يوجد تحالف قبائل «يام» فى «عسير» فى شمال اليـمن. ويمكن أن نطلق عليها «ظاهرة العصبية اليمنيـة» التى تختلف عن تعصب «عـرب الشمال الحجـازيون» أو «عرب الجنوب اليمنيون».

ظهور البوسعيد والبوفلاح والقواسم:

سميت أسرة البوسعيد نسبة إلى مؤسسها أحمد بن سعيد البوسعيدى الذى كان يشتغل بالتجارة[12]، وترجع أصول البوسعيد إلى قبيلة «الأزد» التى جاءت من اليمن، وكان الإمام سيف بن سلطان الثانى اليعربى والذى ينتسب أيضا للأزد، قد عين أحمد بن سـعيد واليـا على صحار[13]. بعد وفاة الإمـام سلطان بن مرشد 1743[14]، استطـاع أحـمد بن سعـيـد أن يحـصل على تأييـد كبـير من زعـماء القبائل الهنائية لحكم عمان[15]، إلا أن القبائل الغافرية عارضته وجرت معركة فى قرية «فرق» مع الإمام بلعـرب بن حمير[16] الذى قتل فى تلك المعركة[17]. وثبت هذا النصر حكم البـوسعيـد، ويختلف المؤرخون فى تحـديد تاريخ بيعة أحـمد بن سعيد فالسـالمى يذكر أنها كانت فى عام 1167هـ أى 1753[18]، و«نيبور» يذكر أنه

فى عام 1765[19]، وكان قد مضى على حكم أحمد بن سعيد ستة عشر عاما بمعنى أن بيعته كانت عام 1749، ويتفق معه كل من «مايلز»[20]، وكيلى[21]، أما «لوكهارت» فيذكر أنها كانت عام 1744[22]، فى حين أن «بادجر» يحددها بعام 1741[23] ويسايره فى ذلك كيرزون[24] ولكننا نجد أن الأقرب والأصح هو عام 1753، أى بعد وفاة الإمام بلعرب بن حمير، آخر أئمة الدولة اليعربية والذى كان قد بايعه الشعب العمانى رسميا عام 1743.

استمرت معارضة قبائل الغافرية ضد أحمد بن سعيد الذى تحالفت معه قبائل الهنائية، ولهذا كان لابد أن يلجأ إلى الحصول على دعم ومساندة عسكرية بعدما حاصرت قبائل الغافرية فى عمان الداخل والظاهرة والبريمى من جهة الغرب وقبائل ساحل عمان الشمالى بقيادة قبائل رأس الخيمة فى الشمال، وحتى يخرج من هذا الحصار كان لابد أن يجد له حلفاء حيث كانت قبائل أبوظبى الهنائية أيضا محصورة بين الغافرية فى شمال عمان أى فى الشارقة، وكذلك فى الشرق فى البريمى عن طريق قبائل البوشامس وهى قبائل عمانية غافرية، ومن هذا المنطلق التقت مصالح البوسعيد والبوفلاح وشكلا زعامة التحالف الهنائى فى مواجهة التحالف الغافرى بزعامة رأس الخيمة وقبائل عمان الداخل.

استنجد الشيخ ناصر بن محمد الغافرى حين ثار على الإمام أحمد بن سعيد بالشيخ راشد بن مطر حاكم رأس الخيمة الذى جاء بقواته ودخلا معا قلعة «العينين»، وواجه أحمد بن سعيد فى هذه المعركة حلفا كبيرا من القبائل والتقى الفريقان فى «سيح الطيب» «بجبال الحجر» ولكن أحمد بن سعيد هزم ووصل هو وابنه إلى مدينة «نزوى» بصعوبة بعد المعركة، ثم جرت الاتصالات بين الفريقين واتفقا على الصلح بينهما[25]، وهكذا ظهرت «رأس الخيمة» بقيادة القواسم وتزعمت حلف قبائل ساحل عمان الشمالى وعدد من قبائل «الظاهرة» العمانية فى الداخل و«الشوامس» فى «البريمى»، فى حين كان تحالف قبائل «أبوظبى» مع البوسعيد سببا فى ظهور «البوفلاح» الذين تزعموا الهنائية فى ساحل عمان

الجنوبى[26]. ومع ظهور دولة البوسعيد فى عمان، ظهرت قوتان سياسيتان جديدتان على ساحل عمان الشمالى استقلتا عن دولة البوسعيد، القوة الأولى قوة بحرية تتألف من حلف قبائل ساحل عمان الشمالية يتزعمهم القواسم، وكان مقرهم رأس الخيمة، ويمتد نفوذهم على ساحل «الشميلية» على خليج عمان وعلى ساحل الخليج العربى حتى الشارقة وهذه منطقة القبائل الغافرية فى ساحل عمان، والقوة الثانية قوة برية تتألف من حلف قبائل الهنائية فى جنوب ساحل عمان ويتزعمهم «البوفلاح»[27] ومقرهم «الظفرة» ومدينة «أبوظبى» ويمتد نفوذهم على ساحل عمان من «دبى» حتى قطر[28]، ويمتدوا فى داخل الربع الخالى.

العوامل المساعدة لقيام التحالف الهنائى العمانى - الظبيانى:

تولى سعيد بن أحمد[29]، الحكم بعد وفاة والده[30]، إلا أن الصراع استمر فى عمان[31]، ونجح أخوه سلطان بن أحمد فى الانفراد بالسلطة[32] وحكم عمان ما بين 1792 - 1804، وهى مرحلة هامة فى تقوية العلاقات العمانية - الظبيانية، إذ أنه فى هذه الفترة ظهرت أحداث تاريخية ربطت بين الحلفين الهنائيين. وهناك عدة عوامل ساعدت على قيام هذا التحالف منها:

1 - تأثرت قبائل أبوظبى بالأحداث الجارية فى داخل عمان وتحزبها للقبائل الهنائية واعتبار حكامها قادة التحالف الهنائى فى ساحل عمان وميل البوسعيد للبوفلاح قد خلق جوا من الود بينهما.

2 - عداء القواسم الغافرية لكل من عمان وأبوظبى، وهذا ما نلاحظه فى الأحداث والصراعات التاريخية فى عمان وخاصة ضد البوسعيد.

3 - عدم وجود تنافس عمانى - ظبيانى من الناحية التجارية أو السياسية، ساعد نشاط قبائل أبوظبى الهنائية فى مراعى «الظفرة» وفى «ليوا» ثم نشاط الغوص فى الا يكون بينهم وبين حكام عمان أى تنافس مثلما حدث مع القواسم فى رأس الخيمة الذين كان نشاطهم قائما على التجارة ورحلاتهم

البحرية، فكان من الطبيعى أن تحدث المنافسة التجارية بينهما إضافة إلى المنافسة السياسية سواء فى مدخل الخليج العربى أو ساحل «الشميلية».

4 - الهجمات الخارجية لقائمقامية نجد العثمانية على كل من أبوظبى وعمان، وكان الحدث الهام الذى ربط وعزز التحالف العمانى - الظبيانى قدوم القائد سالم بن بلال الحرق من قبل عبد العزيز بن محمد حاكم نجد إلى واحة البريمى عام 1800 مما جمع المقاومة العمانية - الظبيانية المشتركة ضد الغزو النجدى، هذا بينما أيد القواسم الغزو النجدى وعاونوهم. نظراً لأن القبائل الهنائية كانت عضد حكم البوسعيد منذ قيامها، وكذلك قبائل أبوظبى فكان التحالف الهنائى نواة مقاومة التدخل النجدى فى الشؤون العمانية. ونجد أثر العصبية الهنائية واضحا فى تأييد قبيلة «الشحوح» الهنائية لعمان وأبوظبى، رغم أن هذه القبيلة كانت تعتبر فى تلك الأيام تابعة للقواسم إذ تسكن منطقة رؤوس الجبال فى رأس الخيمة، وكذلك قبيلة الشرقيين فى الفجيرة وقد قاوموا الغزوات والحملات النجدية(33).

5 - العلاقة الحسنة بين بريطانيا وكل من عمان وأبوظبى. فقد ساعدت القوات النجدية بعد احتلالها للبريمى القبائل الغافرية فى عمان الداخل فى الظاهرة ورأس الخيمة فى شمال ساحل عمان وهم المعادون للهنائية البوسعيد والبوفلاح، ومن هنا دخلت المنطقة فى صراع مرير دون أن يحرز أى طرف انتصاراً ساحقا على الطرف الآخر، وبدخول القوات النجدية فى الصراع الهنائى الغافرى فى عمان رجحت كفة القبائل الغافرية وعلى رأسها قبائل رأس الخيمة الذين كانوا فى عداء مستمر ضد البوسعيد مما دفع الأخير فى البحث عن حليف قوى يساعد على إعادة التوازن فلم يجد حكام البوسعيد أفضل من بريطانيا التى أقصت فرنسا من نفوذها فى عمان فى تلك الفترة، ولكن بريطانيا لم تكن جادة فى دعم البوسعيد أو تقديم مساعدة فعالة كما تفعل الولايات المتحدة مع بعض الكيانات العربية حاليا، وإنما كانت تريد أن

تكون هذه الأسرة بحاجة إلى مساعداتها بشكل دائم ومعتمدة عليها فى نظامها، ومن هذا المنطلق كانت لبريطانيا علاقات جيدة مع حكام نجد الذين كانوا يهددون عمان وأبوظبي في الداخل ولم يحاولوا تهديد المصالح البريطانية فى الساحل.

العلاقة بين سعيد بن سلطان وحكام أبوظبي:

نجح سلطان بن أحمد فى السيطرة على «شهبار» فى إقليم «بلوشستان» على ساحل «مكران» و«بندر عباس»[34] واستولى على جزر «قشم» و «هرمز»[35]، وأثناء عودته من البصرة وقعت معركة بحرية مع قبائل رأس الخيمة بالقرب من بندر عباس انتهت بمقتله في نوفمبر 1804، بعدما وضع أساس المقاومة العمانية للغزو النجدى، تلك المقاومة التى سيقودها من بعده ابنه سعيد بن سلطان. ولما كان حاكم أبوظبى مقاوما أيضا لهذه الغزوات النجدية فقد تم تآلف وترابط العلاقة المشتركة بين كل من سعيد بن سلطان وشخبوط بن دياب[36] وأولاده وأحفاده، وقد وصف الملازم «ولسن» فى كتابه «رحلات فى جزيرة العرب» سعيد بن سلطان حينما التقى به في نوفمبر 1835 فى «مسقط» أن لسعيد بن سلطان قامة طويلة وشخصية مهيبة، وحديثه وأخلاقه تبعث على الحب والتقدير وأنه بسيط فى ملابسه ولا يحيط نفسه بالفخامة وتقوم حكومته على المودة لا القهر وهو فى نفس الوقت شديد فى رعاية الصالح العام، وقد أكسبته ولاشك سماحته وأفقه الواسع فى معاملة الأجانب الاحترام والتقدير كما أصبح لمواقفه الشجاعة قريبا من قلوب رعاياه[37].

(أ) **شخبوط بن دياب 1793 - 1816:** - تولى شخبوط بن دياب حكم أبوظبى عام 1793 وقد عاصر حكم سلطان بن أحمد ثم ابنه سعيد عام 1806، وتعتبر هذه الفترة من أقسى فترات النشاط النجدى فى عمان 1807 - 1812، وفى هذه الفترة كانت الحملة البريطانية ضد «شناص» ورأس الخيمة عام 1810، كما كان نزول القوات المصرية فى الحجاز عام 1811 حيث تمكن من الهرب سلطان بن صقر

القاسمى الذى كان معتقلا فى الدرعية منذ عام 1808 ووصل لاجئا عند سعيد بن سلطان عام 1812 ثم كان تقدم القوات المصرية نحو نجد وسقوط الدرعية عام 1818 ثم قيام الحملة البريطانية ضد رأس الخيمة فى نهاية عام 1819 وكلها أحداث بارزة وهامة فى تاريخ المنطقة.

(2) **محمد بن شخبوط 1816 - 1818:** - ترك الحكم شخبوط بن دياب لابنه محمد، إلا أنه ظل الشخصية الهامة فى السياسة الخارجية وكان اسمه يتردد فى الوساطة وإجراءات السلام والهدنة فى عهد أبنائه وكذلك فى العلاقات مع الحكومة البريطانية.

(3) **طحنون بن شخبوط 1818 - 1833:** - وهى فترة مليئة بمظاهر التعاون الوثيق بين ابوظبى وعمان وخاصة فى أحداث أبراج «البريمى» وقلعة «ديرة» بين عامى 1822 - 1827، وكذلك مشاركته فى الحملة العمانية ضد البحرين عام 1828.

(4) **خليفة بن شخبوط 1837 - 1845:** - كان عهده حروبًا وغارات مستمرة، وواجه فى أوائل حكمه انفصال جماعة البوفلاسة إلى دبى عام 1833، وكذلك محاولة سلطان بن صقر مهاجمة أبوظبى عام 1833، وكذلك إرسال القائد المصرى خورشيد باشا بعض قواته إلى البريمى، وقد وصفه المقيم السياسى البريطانى كابتن «هنيل» إلى حاكم بومباى فى رسالته 21/ 8/ 1841 فقال:

«إن هذا الشيخ يظهر شجاعة وطاقة ومهارة فى كل ما يقوم به، وأنه إذا لم يقتل مثل أخيه طحنون وهو فى سن مبكرة على يد بعض أقاربه الطامحين فأنا لا استغرب أنه خلال سنوات قليلة سوف يفرض هيمنته على كل قبائل الداخل فى الصير «رأس الخيمة والشارقة» ويترك فقط المدن المحصنة على الساحل فى يد سلطان بن صقر»[38].

(5) **سعيد بن طحنون 1845 - 1855:** - عاصر هذا الحاكم قوة الحملات والغزوات النجدية على عمان وأثبت قدرته العسكرية فى معركة «العانكة» عام

1848 وتابع مقاومته للقوات النجـدية حتى رجعت من الشارقة عام 1850، وكان النجديون يخشـون بأسه ويعاملونه معـاملة خاصة ومميزة فقـد وصف الحاج قاسم الوكيل البريطاني في البـحرين في رسالته إلى المقيم السـياسي البريطاني في الخليج العربي «هنيل» في 2/ 7/ 1815 بقوله: «القـد عامل حاكم نجد فـيصل بن تركي، الشيخ سعيد بن طحنون معاملة متميزة»[39].

(٦) **زايد بن خليفة 1855 - 1856:** - لم يعاصر هذا الحاكم سـعيد بن سلطان سوى فترة قصيرة حيث إنه توفي عام 1856 وبذلك فإن سعيـد بن سلطان عاصر شخـبوط بن دياب وأولاده وأحفـاده، وبذلك أرسى دعائم العـلاقات العمـانية - الظبيانية طيلة حكمه الذي امتد نصف قرن.

التعاون العماني الظبياني المشترك في القضايا الداخلية:

أثمرت العلاقات العمانية - الظبيانية وانعكس ذلك على التعاون المشترك في العديد من القضايا الداخلية في ساحل عمان ومنها ما يلي:

1 - إعادة سلطان بن صقر القاسمي إلى الحكم في الشارقة:

حكم سلطان بن صقر ما بين عامي 1803 - 1866 وأنه كان غير راض عن امتداد نفوذ النجديين[40] وسيطرتهم على مشيخته، ولـهذا حينما شعر بأن القائد مطلق المطيري قد تدخل في شؤون مـشيخته الداخلية حاول التعـاون مع سعيد ابن سلطان[41] وأدى ذلك إلى القـبض عليه عـام 1808[42] وإرسـاله معـتقـلا إلى الدرعـية[43]. مما أدى إلى غـضب قبـائل رأس الخيـمة من تدخل النجـديين في شؤونهم وبدأوا يتذرعـون بالزعامة القاسـمية الجديدة الموالية لـهم، وهذا ما جعل سلطان بن صقر يحاول استرداد حكمـه عندما تمكن من الهروب من الدرعية[44]. والتقى «بطوسـون» باشا الذي زوده برسـائل من محمـد على باشا إلى سعـيد بن سلطان، ويبدو أنهما كان يرغـبان في عودة سلطان بن صقر إلى الحكم[45]. ولذا أمر سعـيد بن سلطان في عام 1813 بتجهـيز حملة عسكرية لضرب رأس الخـيمة

وأجرى اتصالا سريعا بشخبوط بين دياب الذى وافق على مساعدته بألفى مقاتل بهدف إعادة سلطان بن صقر إلى الحكم ولكن سعيد بن سلطان أمر قواته البحرية بالتحرك نحو رأس الخيمة بدون أن ينتظر وصول قوات أبوظبى إليه ليهاجم من البر ولذلك فإن قوات رأس الخيمة تمكنت من صد الهجوم العمانى البحرى وأجبرت سفنها على العودة إلى مسقط. ويرجع هذا الفشل بسبب تسرع سعيد بن سلطان وعدم الانتظار لحين ورود قوات مساندة برية من أبوظبى(46). ولقد وجد حاكم عمان الذريعة المناسبة لمهاجمة رأس الخيمة عندما هاجمت سفن رأس الخيمة سفينة تجارية عمانية فى جزيرة «قيس» وشاركت قوات أبوظبى مرة أخرى فى نفس المحاولة التى نجحت عام 1814(47). وأصبح سلطان بن صقر حاكما على الشارقة(48). ومن ثم لم يشكل الخطر الكبير الذى يهدد أراضى عمان كما كان فى السابق. ولكن مع ذلك ظل سلطان بن صقر معاديا كما كان أجداده لعمان وأن يفرض نفوذه فى البريمى كما تحالف مع حكام البحرين ضد عمان ولكل هذا كان من الطبيعى أن يحدث صدام مستمر بين الشارقة وحكام أبوظبى الحلفاء التقليديين لعمان(49).

2 - دعم سلطان عمان لطحنون بن شخبوط فى حكم أبوظبى:

تنازل شخبوط بن دياب عن الحكم لولده محمد عام 1816 ومن المحتمل أنه قد أجبر أباه على التنازل، وأن ما حدث فى أبوظبى قد أقلق سعيد بن سلطان لأن محمد بن شخبوط كان يؤثر الوقوف على الحياد وعدم التدخل فى الصراع القائم فى المنطقة مما أقلق سلطان عمان الذى كان يهمه أن يضمن حدوده الشمالية بحاكم حليف له(50) مثل شخبوط بن دياب الذى لعب دورا كبيرا فى العلاقات العمانية - الظبيانية ومن هذا المنطلق فإن سلطان عمان يقوم بدور هام فى خلع محمد من السلطة عن طريق دعم أخيه طحنون بن شخبوط الذى كان يمثل حزبا معارضا لسياسة أخيه محمد، وأنه كان يرى ضرورة الانضمام والتعاون مع سلطان عمان، ولهذا فإن طحنون قام بإسقاط أخيه الحاكم محمد عن سدة الحكم وتولى بدلا عنه

وذلك بموافقة الوالد وبتمويل من سعيد بن سلطان، وقام طحنون بإجبار أخيه على ترك البلاد، حيث هرب محمد بحرا إلى قطر ونزل فى «البدع» وطلب اللجوء عند آل خليفة حكام البحرين فأجابوه إلى ذلك[51].

توثقت علاقات المودة والتعاون بين عمان وأبوظبى فى عهد طحنون بصورة واضحة وأثمرت فى عدة مجالات كقضية أبراج البريمى والحملة المشتركة على البحرين وبندر عباس وقضية حمود بن عزان، ونظرا لثقة سلطان عمان فى صداقة وتعاون طحنون كان هذا من العوامل التى ساعدته أن يترك عمان خلال هذه الفترة مرتين لتحقيق طموحات توسعية فى شرق أفريقيا.

3 - قضيةأبراج «البريمى» وقلعة «ديرة» 1823 - 1837:

عرف كل من سلطان عمان وحاكم الشارقة أهمية البريمى العسكرية لكل منهما، وما أن رحلت القوة البريطانية من رأس الخيمة 1820[52] حتى استعاد سلطان بن صقر نفوذه فى إمارته وبدأ ينازع عمان على «البريمى» ويحاول استرداد مكانة «رأس الخيمة» لدى القبائل الغافرية فى عمان الداخل مستغلا الانسحاب البريطانى بعد اتفاقية السلام وغياب النفوذ النجدى فى البريمى بعد سقوط الدرعية لسد الفراغ الناجم عنها حتى لا يختل التوازن الغافرى لصالح التحالف الهنائى بالإضافة إلى شعور حاكم الشارقة بالصداقة والتعاون الذى بدأ يتطور بين عمان و«أبوظبى» ورأى فى ذلك التحالف الهنائى خطرا عليه علما بأن سلطان بن صقر قد ورث عداء قديما بين قبائل رأس الخيمة الغافرية وبين البوسعيد زعيم الهنائية. ولتحقيق ذلك بدأ حاكم رأس الخيمة منذ أوائل عام 1823 يعمل فى عدة اتجاهات منها:

(أ) بناء عدد من الأبراج قرب البريمى ويهدف من ذلك مد نفوذ «رأس الخيمة» على القبائل الغافرية فى منطقة «محضة» التابعة لبنى كعب، والبوشامس والنعيم فى البريمى وهى القبائل الغافرية الحليفة لرأس الخيمة وأعداء البوسعيد والبوفلاح الهنائى.

(ب) تشجيع محمد بن شخبوط الذى طرد من حكم أبوظبى عام 1818 لاسترداد حكمه وفعلا هاجم محمد مع بعض أنصاره العاصمة أبوظبى أوائل عام 1823 بمساعدة سلطان بن صقر ولكنه لم ينجح سوى فى نهب المدينة وتمكن أخوه طحنون بن شخبوط من طرده منها وهنا لجأ محمد بن شخبوط إلى الشارقة ثم آخر الأمر إلى «حويلة» فى قطر[53].

(جـ) أثار سلطان بن صقر سكان واحة البريمى من قبائل «البوشامس» و«النعيم» العمانية فى البريمى لتسوية الخلاف، وانتهى الأمر فيما بعد بإعلان واحة البريمى أرضا محايدة[54]. وهذا ما كان يريده فعلا حاكم راس الخيمة ونجح فى تحقيقه كخطوة أولى ومن ثم الاستيلاء على البريمى وضمها لسيادته كخطوة تالية نهائية.

استولى سلطان بن صقر فى أوائل عام 1824 على أبراج واحة البريمى مما جعل طحنون بن شخبوط حاكم أبوظبى وحليف عمان يتحرك لوقف النفوذ الغافرى القاسمى فى أملاك حليفه سلطان عمان والدفاع عن سيادته وذلك عن طريق تحريك قواته من قبيلة السودان المقيمين فى «قلعة ديرة» فى دبى قبل انفصالها عن أبوظبى، بمهاجمة سكان الشارقة وكانت قبيلة السودان قد بنت القلعة على الشط الآخر لخور دبى وأصبحت قلعة «ديرة» تهدد ميناء وسكان الشارقة بناء على أوامر حاكم أبوظبى[55]، وعندئذ وجد المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى أن مسألة أبراج البريمى وقلعة «ديرة» قد طورت النزاع الداخلى بين الغافرية والهنائية فى ساحل عمان وانعكس ذلك فى النزاع البحرى بين الحلف العمانى - الظبيانى من جهة و«رأس الخيمة» و«عمان الداخل» من جهة ثانية، ولهذا قام المقيم السياسى البريطانى الكابتن ماكلويد فى «بوشهر» بالتدخل لتسوية هذا النزاع وأجرى فى أواخر عام 1824 اتصالات بين حاكمى عمان والشارقة واتفقا أن يهدم الثانى الأبراج فى البريمى نظير قيام حاكم أبوظبى حليف عمان بهدم قلعة «ديرة» على خور دبى وترحيل قبيلة السودان إلى منطقة أخرى من أراضى ابوظبى[56].

لم يهدم حاكم الشارقة أبراج البريمي بل هاجم قبيلة السودان في «ديرة» في 26/ 12/ 1824 وبعد التحقق من الأمر أنذر المقيم السياسي البريطاني في فبراير 1825 حاكم الشارقة بضرورة هدم أبراج البريمي تنفيذا للاتفاقية، كما زار المقيم السياسي البريطاني مسقط في شهر مايو وأرسل وكيله من هناك إلى واحة البريمي لهدم الأبراج كما طلب من حاكم عمان التدخل شخصيا لحسم النزاع بين الشارقة وأبوظبي وذلك بهدم قلعة «ديرة». ولكن هدم قلعة «ديرة» ورحيل قبيلة السودان لم يكن بالأمر السهل على حاكم أبوظبي إذ اعتبر ذلك مسألة دفاع عن إمارته ضد هجمات الشارقة، كما كان موقف حاكم أبوظبي صعبا بعد أن شجع قبيلة السودان على القدوم إلى «ديرة» فكيف به يطلب منهم اليوم الرحيل، وقد استغرق هذا الأمر عامين من الضغط والإلحاح على حاكم أبوظبي، وفي شهر يوليو عام 1825 أرسل حاكم عمان المساعدات لطحنون بن شخبوط كما زار بنفسه على رأس قوة بحرية «خور دبي» ولكن قلعة «ديرة» لم تهدم وترك حاكم عمان هناك قوة من ألف رجل لمتابعة خطة هدم القلعة، وأن تدخل سعيد بن سلطان شخصيا في أكتوبر من هذا العام أدى إلى هدم بعض الأبراج بعد موافقة حاكم أبوظبي، ولكنه لم يوافق على ترحيل قبيلة السودان ومن ثم فإنه كتب عددا من الرسائل بهذا الخصوص في ديسمبر 1825 إلى حاكم عمان تعبر كلها عن حبه له وصداقته وولاءه ولكنه يشرح له فيها الظروف الصعبة التي سيكون فيها إذا وافق على ترحيل قبيلة السودان من منطقة «ديرة» في دبي. ولكن المقيم السياسي البريطاني كان مصرا على موقفه وأنه كان يعلم مدى التعاون العماني - الظبياني ومتانة العلاقات بينهما وأنه ليس بالسهل على حاكم عمان إقناع حاكم أبوظبي بضرورة تنفيذ رغبات بريطانيا لحل المشكلة، فقد كتب المقيم السياسي البريطاني في 13/ 12/ 1826 بهذا الخصوص إلى حاكم عمان ما يلي:

«إن ترتيباتك بشأن «ديرة» حكيمة وودية. ولاشك أن طحنون بن شخبوط حينما يدرك أنك جاد فسوف يعاوننا في إخراج «السودان» في هدوء وباختيارهم

ولكن إذا حدث غير ذلك فأنا أحس بالأسى لأننى كنت سببا فى تعكر العلاقة بين صديقين. ومهما كان إقناعى قويا بضرورة تدمير مساكن «ديرة» فإننى أدرك أيضا الأضرار التى ستحدث بالتنافر بينك وبين البوفلاح. لذلك من الحكمة الموازنة بين قطع العلاقات الودية مع طحنون ومسألة استمرار سالمين بن ناصر شيخ السودان فى دبى. وإننى أترك لك الرأى وإننى سوف أكون مقتنعا بما ستتخذه من قرار للصالح العام»[57].

واصلت بريطانيا ضغوطها الشديدة على حاكم عمان الذى اقتنع ووافق على ضرورة خروج قبيلة السودان من «ديرة» فى دبى نتيجة للإلحاح البريطانى من جانب وتربص القواسم من جانب آخر كما استجاب حاكم عمان لبنود اتفاقية ديسمبر 1824[58].

استمرت المراسلات خلال عام 1826 بين حاكمى عمان وأبوظبى حول ضرورة رحيل قبيلة السودان، وجاءت رسالة واضحة من المقيم السياسى البريطانى ستانوس لحاكم عمان تبين أن رحيل السودان من «ديرة» أصبح أمرا مهما لاستمرار السلام بين الشارقة وأبوظبى. ومن ثم كتب المقيم السياسى البريطانى رسالة أخرى ردا على جواب حاكم عمان بنيته لهدم قلعة «ديرة» ويؤكد المقيم السياسى البريطانى ضرورة حل هذه القضية، وخاصة ترحيل السودان من دبى حيث جاء فيها :-

من المقيم السياسى البريطانى «ستانوس» فى بوشهر إلى سلطان عمان فى 15/1/1827 :- «لى شرف معرفة أخبار هدم حصن «ديرة» فى رسالتكم لى. لقد أثبتم بذلك عدم التحيز والعدل، وسوف أخطر حكومة بومباى أنك خاطرت بإمكانية ابتعاد حلفائك عنك من قبائل أبوظبى والتزمت الوفاء الخالص بالمعاهدات. وأود أن أعرض على سموك رأيا وهو أن بقاءهم هنا سيكون سببا فى غضب سلطان بن صقر وتحريضا للاحتكاك بهم. لن يتحقق سلام حتى يبعد سالمين بن ناصر إلى مكان بعيد. وليس صعبا على طحنون بن شخبوط منحهم

مكانا للاستقرار فى أراضيه. إن هذا خير عام ولابد لكم من متابعة تحقيق ذلك»[59].

جاء حاكم عمان فى مارس 1827 وباشر هدم قلعة «ديرة» وتم صلح بين حاكمى عمان وأبوظبى مع حاكم الشارقة. فى حين قدم سعيد بن سلطان لطحنون المال والسلاح وتم تعزيز سيطرة حاكم أبوظبى على «دبى» وقلد طحنون أحد أفراد السودان سلطان بن ماجد عام 1829 أمر مدينة دبى[60] وجعله نائبا عنه، أما معظم السودان فقد رحلوا إلى قطر. ويتضح من تلك الأحداث حول قلعة «ديرة» والسودان مدى قوة العلاقات الوطيدة والتحالف الهنائى العمانى - الظبيانى. وبذلك ضحى طحنون برعاياه مقابل توطيد العلاقة القوية مع عمان وعدم إعطاء فرصة لبريطانيا لتدمير هذه العلاقة.

4 - قضية حمود بن عزان فى صحار 1830 - 1832

حكم قيس «صحار» فى عهد ابيه أحمد بن سعيد، وقد وقف قيس إلى جانب أخيه سلطان ضد القوات النجدية فى بداية غزوها لعمان كما أيد ابن أخيه سعيد بن سلطان فى تولى الحكم بعد مقتل بدر بن سيف عام 1806، وقتل قيس عام 1807 فى محاولة فاشلة لإخراج القواسم من «خورفكان» وأسند حكم صحار بعد وفاته إلى ابنه عزان، ولكن بعد وفاته 1814 عين سليمان بن صالح واليا على صحار، وكان هذا الأخير سيئ الخلق ومكروها من سكان «صحار» التى يكن أهلها كل حب وتقدير لقيس ثم ابنه عزان والآن لحفيده حمود بن عزان، فاجتمع أعيان المدينة وكتبوا إلى حمود بن عزان يشرحون له ظروفهم وظروف والى المدينة المكروه ويطلبون القدوم إلى المدينة فوافق حمود ووصل إلى المدينة وتمكن بمعاونة الأهالى من اجتياز سور المدينة، ثم دخل إلى قلعة «صحار» وقام بطرد الوالى المكروه[61]، وذلك أثناء غياب سعيد بن سلطان خارج عمان إلى زنجبار، وكان آل قيس فى صحار سدا قويا أمام نشاط القواسم فى الشمال وجاءت عودة حمود بن عزان فى وقت كان العداء بين أبوظبى والشارقة قد بلغ ذروته بعد نجاح

سلطان بن صقر فى هدم قلعة «ديرة» وترحيل السودان من دبى وهزيمة سياسية لطحنون وهنا نشأ تحالف بين حمود وطحنون ضد القواسم الغافرية.

أعلنت مدينة «شناص» الولاء لحمود وتبعها مجموعة أخرى من المدن والقرى وساد الاضطراب أرجاء عمان وانقسمت على نفسها ولاحت فى الأفق بوادر حرب أهلية جديدة تهدد عمان وتهيأ الحزبان المتنافران الغافرى والهنائى لقتال بعضهم بعضا مما دفع بالرجل المسن طالب بن أحمد بن سعيد إلى أن يذهب إلى أخته موزة وطلب إليها عقد مجلس لعائلة البوسعيد لحل مشكلة قتال أولادهم وأحفادهم فوافقت العمة موزة التى عانت من قتال أولاد إخوتها من قبل وهاهم أولادهم باشروا بالقتال فى سبيل السلطة والكرسى، واجتمع مجلس العائلة البوسعيدية ودار النقاش عن إمكانية التعاون مع أحد الحزبين الغافرى أو الهنائى، فأعلن نائب حاكم عمان أنه لا يثق بالحزب الهنائى وأنه يرغب فى التعاون مع الحزب الغافرى فى القضاء على ثورة حمود بن عزان فوافق مجلس العائلة على ذلك وكتبوا إلى محمد بن ناصر الجبرى يطلبون منه النجدة والإسراع إلى مسقط ولما علمت قبيلة النعيم بأن الزعيم الجبرى قام ضد حمود بن عزان بغارات على «الشقيرى» وهو حصن يقع فى «وادى الجزى» فاستولى عليه[62].

تدخل المقيم السياسى البريطانى بصورة عاجلة لمنع حاكم الشارقة من استغلال هذه الظروف للتعدى على أراضى عمان فى إقليم «الشميلية» ومحاولة الاستيلاء على «خورفكان» و «كلبا» وأرسل تحذيراً بهذا الخصوص كما أمرت حكومة بومباى توجيه تحذير إلى حمود الا يعمل على إثارة الاضطرابات فى عمان، كما بعث «هنيل» المقيم السياسى البريطانى رسالة إلى حكومة بومباى فى 31 مايو 1831 جاء فيها:

ارسل لكم رسالة سلطان بن صقر التى يقول فيها إنه بناء على هجمات طحنون على أراضيه فقد اضطر أن يرفع السلاح دفاعا عن نفسه وأنه يريد أن يستفيد من تفوقه فى البحر ويستخدم السفن ضده. ووصلتنى رسالة مشابهة من

راشد بن حميد حاكم عجمان، وحسب تقرير الوكيل بالشارقة أن سبب هذا التصدع هو انضمام راشد بن حميد لحاكم عمان فى هجمته ضد «صحار» وما عرضه سلطان بن صقر من حملة كبيرة بشروطه[63]، وحسب الاتفاق بين حمود ابن عزان لحاكم عمان، وما أن سمع طحنون أن حاكم عجمان قد تحرك بقوة كبيرة إلى «شناص» حتى أرسل حملتين سريتين إلى أراضيه، الأولى فاجأت ونهبت مدينة عجمان والأخرى طافت ساحل عمان الشمالى حتى منطقة «النخيل» فى رأس الخيمة. وأرسل حاكم أبوظبى عددا من السفن تحوم عند مدخل الخليج العربى على طريق التجارة ينتظرون سفن القواسم العائدة من ساحل الباطنة ومسقط»[64].

جاء حاكم عمان مسرعا من زنجبار لمواجهة هذا الموقف ورأى حلا سياسيا لهذه المعادلة الصعبة، حيث كسب صداقة حاكم الشارقة وطلب مساعدته للقضاء على ثورة حمود بن عزان فى صحار وهنا اختلف معه فى هذا الرأى حاكم أبوظبى ولكن سلطان عمان هاجم صحار بالتنسيق مع حاكم الشارقة ولكن الحملة فشلت واضطر سلطان عمان إلى الصلح مع حمود بن عزان واعترف فيه بولايته على «صحار»، وقد ثبتت وجهة نظر حاكم أبوظبى بأن التحالف مع القواسم لم يكن فى الاتجاه الصحيح وأنه خطأ كبير، إذ أنه بدلا من مهاجمة القواسم لصحار مع سلطان عمان فإن حاكم الشارقة استفاد من الموقف وسيطر على منطقة «كلبا» و«خورفكان» و «ساحل الشميلية» ولولا مهاجمة حاكم أبوظبى لأراضى القواسم فى الداخل لتمكن القواسم من السيطرة على أراضى أكثر فى ساحل الباطنة. وقد جاء فى تقرير من مساعد المقيم السياسى البريطانى «بلان» مع وكيل حاكم الشارقة فى 13 سبتمبر 1832 قوله:

أن «خورفكان» و «دبا» كانت تابعة للقواسم وأن كل ما فعله سلطان بن صقر أنه استرد ميراثه، وأن سلطان عمان لابد وأن يثير حربا ضده أو تحريض حاكم أبوظبى الذى يمده سلطان عمان بالمعدات الحربية لمهاجمته»[65].

جاء عمل مساعد المقيم السياسى البريطانى فى هذا الوقت العصيب الذى اختلفت فيه وجهة نظر حاكمى أبوظبى وعمان حول مسألة «صحار» كان يرى طحنون تسوية الأمر وديا بين الأسرة البوسعيدية أفضل من التدخل الخارجى، كما أن وجود أسرة آل قيس بزعامة حمود بن عزان فى صحار يشكل قوة وسداً منيعًا أمام تقدم القواسم وتعديهم على «ساحل الباطنة» كما أنهم قوة يحسب لها حساب فى الصراع القادم مع النجديين الذين استعادوا نفوذهم من جديد وأصبحت مسألة ظهورهم فى عمان وتهديدهم لها قريبا، وكان حاكم أبوظبى يتوجس شرا من التعاون بين سلطان عمان والشارقة، ولكن مساعد المقيم السياسى البريطانى الحديث العهد بالمنطقة أخذ يفسر ذلك الخلاف كما جاء فى مذكراته فى مختصرات حكومة بومباى، أن هذا الاختلاف جاء نتيجة لتنافر بينهما أثناء حملة البحرين[66] وهذا ليس صحيحًا وإنما كان الاختلاف فى وجهات النظر فقط ولم يتعدَّ ذلك، وجاء نتيجة للحسابات الخاطئة لدى سلطان عمان وتقديره غير الموفق فى مساعدة القواسم له ضد حمود بن عزان فى «صحار». ولهذا فإن سلطان عمان بعد أن استقرت الأمور والأوضاع قدم مساعدات مالية عسكرية وعزز التعاون والعلاقات العمانية - الظبيانية المشتركة ليأمن على سلامة أراضى السلطنة فى إقليم الظاهرة الغافرى بمساعدة حكام أبوظبى الهنائيين، كما نجد اعتراف سلطان عمان فى مراسلاته بأن حاكم الشارقة دخل خورفكان بالخيانة إذ أنه بدلا من معاونته ضد «صحار» شغل نفسه بالاستيلاء على إقليم «الشميلية»[67]. فقد جاء فى رسالة سعيد بن سلطان إلى المقيم السياسى البريطانى هنيل فى 21 سبتمبر 1831 قوله:

«وصلت مسقط منذ عشرة أيام وبخصوص احتلال سلطان بن صقر «لخورفكان» و «دبا» أنك تعلم أنه حقق ذلك بالخيانة وليس بالحرب وفى مسألة قول راشد بن حميد (حاكم عجمان) أننى حرضت طحنون بمهاجمة أراضيه فإن هذا لم يصدر منى»[68] وتبين هذه الرسالة حسن تقدير طحنون للموقف السياسى وأنه أكثر إدراكا لقضية حمود بن عزان. وبعد أن اطمأن سعيد بن سلطان على

أحوال عمان وقام بتعزيز علاقاته مع أبوظبى خرج فى ديسمبر 1831 إلى زنجبار ولم يعد منها إلا فى سبتمبر 1832[69] فى حين كتب سلطان بن صقر حاكم الشارقة إلى المقيم السياسى البريطانى فى 2 اغسطس 1832 عن تلك القضية بقوله:

«لقد سيطرت على منطقة خورفكان ودبا وعرضت على حمود بن عزان الصلح ولكنه رفض. وهناك استعدادات للحرب عند طحنون بن شخبوط وتأتيه إمدادات السلاح والذخائر وقد فهمت من ذلك أن لديه نية الحرب. وفشلت كل محاولات الصلح بينى وبين حاكم أبوظبى بسبب حسن وقوة علاقاته مع سلطان عمان»[70].

5 - ظهور إمارة دبى 1837:

هاجرت أسرة البوفلاسة المتفرعة من قبيلة الرواشد بقيادة بطى بن مكتوم إلى دبى وذلك بعد مقتل طحنون بن شخبوط عام 1833، ولم يكن انفصال دبى وظهورها كإمارة مستقلة بالأمر الهين على الحاكم الجديد فى أبوظبى خليفة بن شخبوط ومع أن والده عقد صلحا فى يونيو 1834 مع بطى بن مكتوم اعترف فيه باستقلال دبى عن إمارة أبوظبى إلا أن المعارك بينهما استمرت عدة سنوات، وفى فبراير 1843 عقد سلام بين حاكم أبوظبى وبطى بن مكتوم ودخل خليفة بن شخبوط دبى ضيفا حيث أكرموه، وذلك بعد وساطة سلطان عمان بينهما، وقد جاء نص فى هذه الاتفاقية لم يرض عنه حاكم الشارقة وهذا النص يقول:

«إن أراضى دبى وأبوظبى وإقليم الظاهرة التابع لسلطان عمان ومنطقة حمود ابن عزان كلها تحت حماية خليفة بن شخبوط»[71]. وكان هذا الاتفاق بين دبى وأبوظبى مقدمة لوقف العداوة والقتال بين البوفلاسة من الرواشد و«البوفلاح الهنائية».

6 - تطور الصراع بين أبوظبى الهنائى والشارقة الغافرى:

بدأ العداء والصراع بين أبوظبى والشارقة فى قضية قلعة «ديرة» 1823 -

1829 واستحكم العداء على إثر رحيل قبيلة السودان من دبى إلى قطر فى عام 1830 فى عهد طحنون وورث هذا العداء خليفة بن شخبوط وتطور هذا الصراع على إثر الأحداث الداخلية فى أبوظبى بين أبريل وسبتمبر 1833 وذلك بعد انفصال دبى عن أبوظبى فى سبتمبر 1837 ثم تبعه هجمة بحرية مشتركة بين الشارقة ودبى ضد أبوظبى، ثم تلتها حملة بحرية أخرى فى نوفمبر 1833 وتمكن حاكم لنجة من صلح بين الشارقة وأبوظبى فى يناير 1834، وقد امتد هذا الصراع بين الشارقة وأبوظبى من البر إلى البحر حتى تدخلت بريطانيا وعقدت أول هدنة بحرية فى موسم الغوص فى مايو 1835، وقد تطور هذا الصراع إلى تقارب وتعاون أقوى بين عمان وأبوظبى نظرا لاستمرار خطر القواسم الدائم علي أراضى عمان كلما واتتهم الفرصة، وقد كان هذا التعاون والتحالف المشترك فى شكل المساعدات المادية والمعنوية والعسكرية التى كانت تقدمها عمان دائما لأبوظبى(72) فى صراعها مع القواسم أو فى كثرة الزيارات التى قام بها رجال الحكم فى أبوظبى إلى مسقط التى أرسلت كثيرا من الأموال والمؤن والأسلحة والذخائر إلى أبوظبى فى يناير 1834، كما زار خليفة بن شخبوط حاكم أبوظبى ووالده العاصمة العمانية فى مارس 1834 كما زار فى شهر يونيو 1834 شخبوط بن دياب مسقط مرة أخرى وفى يناير 1835 زار سلطان بن شخبوط أخو الحاكم العاصمة العمانية. وحول تلك العلاقة الحميمة والقوية كتب «ماكنزى» القائم بأعمال المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى إلى حاكم بومباى فى 15/ 3/ 1838 يقول:

«مسألة مساعدة سلطان عمان لحاكم أبوظبى بالسلع والسفن هو إلى حد ما حقيقى - ولكن ليس معنى ذلك أنها للاستخدام السيئ أو ضد المعاهدة، الحقيقة أن حكام أبوظبى حلفاء سلطان عمان الذى يحرص أن يظل بينه وبينهم تفاهم لردع تعديات القواسم. هذا مع العلم أن العلاقة بين أبوظبى وعمان ليست بنت اليوم أو أنها أمر خاف إذ أن علاقته بهم كانت فى الماضى أكثر مما هى الآن فى الأيام الأخيرة وأن حسد وحقد حاكم الشارقة الآن إنما يعود إلى التطورات البناءة

وبنجاح الخطط التى رسمها سلطان عمان منذ مدة. إن محمد على باشا وسلطان عمان وحاكم أبوظبى يشكلون جبهة، وحاكم نجد وحاكم البحرين وأولاد عزان وحاكم الشارقة جبهة ثانية»[73].

كتب «هنيل» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى فى 21/8/1841 إلى حاكم بومباى أنه لو أعطى العمر لخليفة بن شخبوط فإنه سوف يملك البادية كلها تماما ثم يصف شخصيته والنتيجة المتوقعة من القتال الدائم مع القواسم وتحالف عمان وأبوظبى فيقول:

«أرفق لكم رسالة ملا حسين 12 أغسطس 1841 وفيها وصف نهب بلدة دبى وإحراق منزل مكتوم، تعجب لماذا لم يحتل خليفة البلدة التى طالما تمناها إلا إذا كان يخشى الحصار (أى الحصار البريطانى لأبوظبى). إن هذا الحاكم يظهر شجاعة وطاقة ومهارة فى كل ما يقوم به، وأنه لم يقتل مثل أخيه طحنون قبل نضجه على يد بعض أقاربه الطامحين فأنا لا أستغرب أنه خلال سنوات قليلة سوف يفرض هيمنة على كل قبائل الداخل فى الصير (شمال ساحل عمان أى من الشارقة إلى رأس الخيمة) ويترك فقط المدن المحصنة على الساحل فى يد سلطان بن صقر وأتباعه». ومن الأمثلة الواضحة على الصداقة بين سلطان عمان وأبوظبى فشل إجراء صلح بين أبوظبى والشارقة فى أكتوبر 1842 لأن سلطان بن صقر رفض النص الذى يقضى بعدم التعرض لأراضى سلطان عمان وخاصة فى «صحار» والبريمى وهو نص اشترطه حاكم أبوظبى فى ذلك الوقت ولكن فى النهاية وافق القواسم فى يونيو 1843 على الدخول فى حلف مع أبوظبى[74] وشهد الوكيل الوطنى البريطانى فى الشارقة «ملا حسين» هذا الاتفاق. أما ذلك النص فيقول:

«إن أهل الباطنة ممن هم تحت حمود بن عزان وقبائل الظاهرة التابعة لسلطان عمان وقبائل أبوظبى جميعا تحت حماية خليفة بن شخبوط»[75]. وبذلك يمكن القول بأن الصراع الطويل بين أبوظبى والشارقة انتهى وبدأ التحالف بينهما. وقد

استخدم خليفة بن شخبوط هذا النفوذ لا لحماية أراضى وقبائل أبوظبى فقط بل أيضًا لحماية أراضى سلطان عمان فى البريمى والظاهرة والباطنة فى أراضى حمود بن عزان حول صحار. ويصف «ملا حسين» الوكيل البريطانى فى الشارقة فى رسالته للمقيم السياسى البريطانى فى 8 أكتوبر 1844 قوة خليفة بن شخبوط حليف سلطان عمان بهذه الكلمات:

«خرج خليفة بن شخبوط ورجله على الجمال والخيل عند بداية موسم الغوص إلى البريمى وقد علمت أن كل قبائل البدو من منطقة الظاهرة والنعيم وكعب وبنى قتب وغفلة قد دخلوا حلفا معه واتحدوا معه ويبدو لى أنه لا يوجد قبيلة بدوية فى الداخل لم تخضع له»(76).

التعاون العمانى - الظبيانى المشترك فى القضايا الخارجية:

(أ) بريطانيا والعلاقات العمانية - الظبيانية.

يرجع اهتمام بريطانيا بعمان عند نزول الحملة الفرنسية إلى مصر فاتخذت إجراءات وقائية منها التفاوض مع عمان وقد نتج عنه المعاهدة البريطانية - العمانية فى 12/ 10/ 1798 وبذلك خرجت عمان عن حيادها التقليدى وأصبحت حليفة لبريطانيا ووقفت مع عمان ضد رأس الخيمة فى البحر كما شاركت فى حملة بدر ابن سيف ضد أسطول رأس الخيمة فى جزيرة قشم 1805 وضد «شناص»، وعرفت بريطانيا مدى حرص عمان على انتشار الأمن فى البحر بسبب نشاطها التجارى كما وجدتها قوة بحرية تحافظ على سلامة السفن التجارية الأخرى ولهذا كانت راغبة فى استمرار تحالفها مع عمان برغم أنها لم تكن راضية عن سياسة الأخيرة تجاه السيطرة على البحرين(77) إضافة إلى أن ثقة سعيد بن سلطان فى نمو المصالح البريطانية وقوتها ومساعدته جعله لا يأبه بأخطار أعدائه فى الخارج أو تقلبات الأوضاع فى الداخل.

ساعد على نمو العلاقات العمانية - الظبيانية، وجود العلاقة الودية البريطانية

مع أبوظبى لم يعرف عنها فى ذلك الوقت أى مشاركة فى أعمال الهجوم البحرى على السفن البريطانية كما يرجع سبب هذا السلام بين بريطانيا وأبوظبى إلى نشأة الإمارة البرى وامتداد نشاطها فى الداخل وانصراف جهودها فى البحر إلى الغوص وراء اللؤلؤ أكثر منه إلى التجارة الخارجية مع الهند لهذا لم تحدث منافسة وصدام بينهما ولم تتعرض الحملة البريطانية عام 1819 لموانئ أبوظبى التى سلمت سفنها من الحرق والتدمير البريطانى. وقد اعتبر المساحون البريطانيون الذين قاموا بمسح ساحل عمان عام 1822 أن أبوظبى لا تدخل فى ساحل القرصنة وهى التسمية التى كانوا يسمون بها وقتذاك ساحل القواسم كما ذكر هؤلاء المساحون أن الأهالى من دبى إلى خور العديد وهى أراضى إمارة ليسوا ميالين للمغامرة فى البحر لأعمال القرصنة والنهب[78].

(2) الحملة العمانية - الظبيانية المشتركة ضد البحرين 1838:

ترجع علاقة عمان بالبحرين إلى عام 1718 عندما استولى الإمام سلطان بن سيف عليها فى تلك السنة[79] واستمر حكم اليعاربة حتى قيام الحرب الأهلية وعندما خلفهم البوسعيد فى الحكم قام سلطان بن أحمد فى عام 1799 بحملة ضد البحرين، ولكنها لم تنجح وكررها بحملة أخرى نجحت فى عام 1800 وترك ابنه سالم يحكم البحرين ثم انشغل البوسعيد فى حروبهم ضد الغافرية والقواسم حتى جاء سعيد بن سلطان للحكم وبدأ يفكر فى تحقيق ما بدأه والده من السيطرة على البحرين فقام بهجوم فاشل عليها عام 1816 وعندما علم سكان البحرين بأن سعيد بن سلطان يعد حملة كبيرة عليهم[80] أرسلوا وفدا إلى العاصمة العمانية يعلنون عن خضوعهم له ودفعوا 30 الف روبية بموجب الاتفاق الذى تم بينهما عام 1820[81]، إلا أن البحرينيين أنقصوا المبلغ إلى 18,000 روبية[82]، ثم امتنعوا عن دفعها فيما بعد مما دفع بحاكم عمان أن يعد حملة ضد البحرين عام 1822 فتدخلت بريطانيا وطلبت من حكام البحرين دفع الضرائب فى حين وجهت رسالة إلى حاكم عمان تشير فيها إلى عدم ممانعة بريطانيا فى استخدام القوة ضد

البحرين[83]، وفى عام 1823 حاول حاكم عمان توجيه حملة مشتركة مع ساحل عمان ومع الفرس إلا أن بريطانيا اعترضت على اشتراك الفرس[84]، وعندما توفى حاكم البحرين عام 1825 حاول سعيد بن سلطان التدخل فى البحرين إلا أن بريطانيا حذرته[85]. وأن هذا الرفض البريطانى ومشاغل حاكم عمان أجل الاستيلاء على البحرين. وما إن انتهت قضية «ديرة» وأبراج البريمى حتى تم الاتفاق بين حاكم عمان وصديقه طحنون بن شخبوط على حملة ضد البحرين.

أعلن حاكم عمان الحرب ضد البحرين فى أغسطس 1828 وفى أوائل سبتمبر أبحر بأسطوله إلى أبوظبى وهناك انضم حاكم أبوظبى بأسطوله إلا أنه فى 27 أكتوبر هبت عاصفة شديدة فرقت الأسطول العمانى لكنه أعاد تجميعه ثانية واستطاع فى 31 أكتوبر أن يرسو حول جزيرة «سترة»[86]. فى حين يقول ابن رزيق أن حاكم عمان صحب معه محمد بن ناصر الجبرى وأن سبب تأخر الأسطول لم يكن بسبب عاصفة، وإنما اجتياح مرض الطاعون لهذه الحملة وقد حاول محمد بن ناصر أحد قادة الحملة إقناع سعيد بن سلطان بتأجيل الحملة إلا أنه رفض وصمم على مواصلة الحملة: - «أصاب القوم الطاعون الحادث فأشار محمد بن ناصر عليه بالرجوع وقال له إذا انقطع هذا الطاعون ليعود إلى حرب البحرين فقال لابد لنا من حربها وهيهات أن ترجع عن حرب البحرين»[87]، وفى نهاية أكتوبر التقى الأسطول العمانى - الظبيانى المشترك فى المنامة وأقيم حصار بحرى حولها وفى بداية شهر نوفمبر هاجم حاكم عمان المنامة برا كما هاجم حاكم أبوظبى منطقة الجفير، ولكن الحملة فشلت فى تحقيق أهدافها واضطرت القوات المشتركة إلى فك الحصار فى 20/11/1828 والعودة إلى بلادهم[88]. وقد استاء المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى من مشاركة «أبوظبى» فى الحملة العمانية[89]، وكتب فى سبتمبر 1828 ينصح حاكم ابوظبى بعدم المشاركة فى حملة البحرين حتى لا تترسع، ولكن الأخير رفض الانصياع وخرج بأسطوله[90]، كما حاول أيضا عبد الله بن أحمد حاكم البحرين أن يكسب حاكم أبوظبى بالرشوة[91] عن طريق تقديم

هدية إلى طحنون بن شخبوط وإقناعه بعدم المشاركة فى الحملة العمانية ولكنه فشل مما يدل على قوة الصداقة والعلاقة التى تربط أبوظبى بعمان[92]. كما حاول فى نفس الوقت حاكم الشارقة إثارة عداء حاكم البحرين ضد أبوظبى فى حين كتب سلطان عمان رسالة إلى مساعد المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى فى 13 نوفمبر 1828 يقول:

«أشكركم على رسالة 8/ 9/ 1828 ولكنها لم تصلنى إلا فى 12/ 10/ 1828، بخصوص خلافى مع عبد الله بن أحمد فإنه يعرف الدانى والقاصى، وأنا لم أعتد عليهم لأن هذا خلاف طبيعى، ويعلم الله أنهم إذا تصرفوا بالحسنى معنا كان يمكن تسوية المسألة معهم. أما بخصوص مشاركة طحنون أرجو ألا يكون لديكم معارضة وأنتم تعلمون صداقتنا وهو يعتبر نفسه حليفا لى. وكان حاضرا معى وكذلك أبوه شخبوط بن دياب فى جزيرة «قيس» حينما عقدت صلحا مع العتوب، وذلك حينما كان البريطانيون فى رأس الخيمة بعد سقوطها. كان د.ثما طحنون معى حينما أحارب البحرين، وأهل البحرين يعلمون ذلك. وإذا كان لكم رأى معارض أرجو أن تكتبوا لى وكذلك إلى طحنون بن شخبوط»[93].

أبلغ سعيد بن سلطان «ويلسون» مساعد المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى فى 15/ 11/ 1828 عن سبب إخفاق الحملة هو إرادة الله وتفشى وباء الطاعون بين رجاله حيث كتب ذلك أثناء عودته إلى مسقط ويقول فيها:

«وصلتنى رسالتكم التى عرفت منها علمكم بحملتى على البحرين ولقد قررت ذلك بعد رحيلك عنى فى مسقط، وبعد وصول الشاطئ فى جزيرة قيس أصاب قواتى مرض الطاعون ومات كثيرون ولكننى خجلت أن أعود دون أن أرى العدو، وعندما وصلت البحرين فى 30 أكتوبر توجهت إلى «سترا» التى أخليت قلعتها ولم أر أى عتوبى، جلست أسبوعا ثم قررت التقدم للمنامة ولكن القوات نزلت بطريقة عشوائية ولم أكن موجودا معهم وقد أراد الله هزيمة رجالى دون قتال وليس سبب هذا العدد أو الشجاعة ولكنها إرادة الله، فقد قتل من رجالى اثنا

عشر وغرق خمسون، وكان يمكن عمل هجوم آخر على الجزيرة ولكن حينما أحسست أنها إرادة الله توقفت ومن الصعب على الإنسان أن يتحدى إرادة الله. وأنا الآن فى طريقى إلى مسقط وآمل أن تصلنى رسالتكم»[94]. فى حين بعث الوكيل البريطانى فى البحرين برسالة إلى المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى بتاريخ 16 نوفمبر 1828 يقول فيها:- «بعض التقارير تقول إن طحنون بن شخبوط قد قتل فى المعركة والبعض الآخر يقول إنه حي» مما يعنى أن أنباء المعركة قد تضاربت ولم تكن واضحة برغم فشل الحملة[95].

بعث حاكم البحرين رسالة إلى «ويلسون» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى بعد رحيل القوات العمانية - الظبيانية المشتركة يشكو فيها اشتراك حاكم أبوظبى فى الحملة ضد البحرين[96] استنادا إلى البند الرابع من اتفاقية السلام العامة الموقعة فى 1820 والتى تنص: ... «على ألا تتقاتل القبائل المتصالحة بعضها مع بعض» حيث يقول عبد الله بن أحمد حاكم البحرين فى رسالته إلى ويلسون فى 17/ 12/ 1828:

«بخصوص سعيد بن سلطان حاكم عمان تعرف عداوته وتعرضه لتجارتنا ورجالنا فى المفاوضات ولسوف نرد عليه عداوته. وتقول اتفاقية السلام فى البند الرابع إن العرب المسالمين لا يحارب بعضهم بعضا، ولما طلب سعيد بن سلطان عون طحنون بن شخبوط هب هذا لمساعدته والله يعلم أننا سوف نرد على عداوته»[97] فرد عليه المقيم السياسى البريطاني:- «إن المقصود بها حرب القرصنة وليس الحرب المعلنة السافرة»[98] مما يدل على أن بريطانيا تحتفظ لنفسها فقط فى تفسير بنود الاتفاقيات حسب ما تقتضيه مصلحتها وليس مصلحة الموقعين الآخرين معها.

يبدو أن مضاعفات تلك الحملة لم تنته فقد كان هناك تخوف من أن تشن البحرين حملة مضادة على أبوظبى فقد بعث «ملا حسين» الوكيل الوطنى

البريطانى فى الشارقة إلى «ويلسون» المقيم السياسى البريطانى فى 24/ 12/ 1828 يقول فيها:

«وصلنى رد طحنون بن شخبوط لكم فى 10 ديسمبر 1828 عن طريق خليفة الرميثى، وجمع طحنون كل قواته بحرا وأرسل سفينة سرا تستعلم أخبار البحرين وهو يخشى أن يستغلوا الحرب ضده بمحاصرة أبوظبى. كما جمع طحنون كبار أعيان أبوظبى ومعهم أبوه شخبوط بن دياب للتداول فى الظروف الحالية وذهبوا إلى ساحل الباطنة، وكان هناك اتفاق بين حاكم عمان وطحنون قبل العودة من حملة البحرين بأن يرسل سعيد بن سلطان مركبين وثلاث بغلات إلى أبوظبى للمساعدة فى الدفاع ضد أعدائه. وينوى طحنون السفر إلى مسقط حسب ترتيبات مع سلطان عمان، وذلك لمعرفة آخر التطورات بين عمان والبحرين حيث إن كل حاجيات أبوظبى ترد من البحرين وفى خلال الثلاثة أيام القادمة سوف يصل طحنون إلى دبى، كما زار سالمين بن ناصر شيخ قبيلة السودان أبوظبى حيث بقى أربعة أيام مع حاكم أبوظبى، وفى يوم 9 ديسمبر عاد إلى مقره كنائب حاكم أبوظبى فى دبى، وقد سمح له طحنون ببناء القلعة عند وصوله. أما سلطان بن صقر حاكم الشارقة فقد أرسل رسالة لعبد الله بن أحمد وهدفه زيادة العداوة بين البحرين وأبوظبى وحدوث حرب تضعف طحنون بن شخبوط»(99) كما أرسل سلطان بن صقر حاكم الشارقة برسالة إلى «ويلسون» المقيم السياسى البريطانى فى 27/ 4/ 1829 يقول فيها:

«أنا أريد أن أعلن الحرب الشرعية خاصة ضد سعيد بن سلطان حاكم عمان الذى يؤذى البشرية، وكما سمعت يساعد هذا الرجل وجماعته طحنون بن شخبوط ليعارضونى وإعطائهم الرجال والمال والمؤن، إنك تعلم أن طحنون يطيع سعيد بن سلطان فى حرب البحرين وفى ميناء «ديرة» وكل سفنه من «بغلات» و«بتيل» من عند حاكم عمان، لقد ذهب طحنون الآن إلى أراض فى البريمى ويهدف إلى تدميرها»(100).

(3) الاستياء البريطانى من الأعمال البحرية الظبيانية 34 - 1835:

تحرك حمود بن عزان والى صحار فى 25/ 11/ 1834 وهاجم منطقة «السويق» بعدما ترك حاكم عمان ابنه هلال وابن أخيه محمد بن سالم لإدارة البلاد فى غيابه وهما صغيرا السن فطلبا فى تصرف غير ناضج من حاكمى الشارقة وأبوظبى فى نفس الوقت مهاجمة صحار برا وبحرا دون النظر لعواقب ذلك، وفيما انشغل حاكم الشارقة بإعادة الاستيلاء على خورفكان خرجت سفن أبوظبى لتهاجم صحار وسفنها فى البحر فى فبراير 1835 كما هاجمت جميع السفن التجارية التى التقت فى طريقها عند مدخل الخليج العربى وأسرت حوالى ست عشرة سفينة بين شهرى فبراير وأبريل 1835 وأرسلتهم إلى ميناء أبوظبى وكان من بينهم سفينتان تحملان العلم البريطانى مما اضطر المقيم السياسى البريطانى أن يأمر أسطوله بترصد سفن أبوظبى حيث جرت معركة قرب جزيرة «صرى» فى 16/ 4/ 1835 دمر فيها الكثير من سفن أسطول أبوظبى ثم توجه «هنيل» إلى «أبوظبى» وبعد مفاوضات صعبة وافق خليفة بن شخبوط على استدعاء جميع سفنه الحربية من البحر كما سلم السفن المحتجزة لديه وما عليها من بضائع وفرضت غرامة كبيرة وتعويضات[101] وعندما وصل شخبوط بن دياب نيابة عن ابنه خليفة إلى «باسيدو» فى جزيرة «القشم» للقاء «هنيل» المقيم السياسى البريطانى، فكان حاكم الشارقة هناك، فتوسط المقيم السياسى البريطانى «هنيل» بينهما لوقف عملياتهم البحرية أثناء موسم الغوص القادم وعقدت فى 21/ 5/ 1835 أول هدنة بحرية فى ساحل عمان[102].

عاد سلطان عمان من زنجبار فى مايو 1835 وسمع بالغرامة التى فرضتها بريطانيا على أبوظبى والتى أثقلت كاهل حاكمها والتجار والسكان وقسوة الضباط البريطانيين فى تحصيل أقساط هذه الغرامة الكبيرة سببت فى كراهية عرب أبوظبى لبريطانيا وهنا قدم سلطان عمان مبالغ كبيرة من المال سرا إلى خليفة بن شخبوط لسداد هذه الغرامة حتى لا يزيد الاستياء وغضب بريطانيا عليه بعد عراكهم فى البحر مع أسطول أبوظبى.

(4) الحملة العمانية - الظبيانية المشتركة ضد بندر عباس 1854:

تمثل هذه الحملة إحدى أبعاد التعاون الثنائى العمانى - الظبيانى المشترك على صعيد العلاقات الخارجية إزاء الموقف المتدهور فى ميناء بندر عباس وهروب الحاكم العمانى أمام الهجوم الإيرانى المباغت الذى احتل الميناء المذكور فإن سعيد بن سلطان طلب من نائبه وولده ثوينى أن يجهز حملة بحرية للقيام بهجوم مضاد على الميناء المذكور لاستيعابه فقام ثوينى بتشكيل جيش معظم وحداته من كتائب من قبائل «الجعلان» و«العوامر» وكتب إلى صديقه وحليفه سعيد بن طحنون حاكم أبوظبى يطلب منه المشاركة بالهجوم على الميناء المذكور. وافق حاكم أبوظبى على المشاركة فى القتال وأصدر أوامره إلى مقاتليه بالتهيؤ للمعركة فتجمعت سفن الأسطول بالرجال والمعدات العسكرية فى أبوظبى واستلم سعيد بن طحنون القيادة بنفسه وتحرك فى أواخر فبراير متجها إلى «بندر عباس» فوصل إلى الشارقة 8/ 3/ 1854 وقبل أن يتمكن من ملاقاة الأسطول العمانى كان «يعقوب» الوكيل البريطانى فى الشارقة قد أرسل إلى «كامبل» المقيم السياسى البريطانى الذى كان موجودا فى جزيرة «القشم» يخبره فيه بأمر حركة أسطول أبوظبى للمشاركة فى القتال بجانب الأسطول العمانى ضد بندر عباس(103).

حينما علم «كامبل» بتحرك حاكم أبوظبى أرسل له تحذيرا عن طريق قائد الأسطول البريطانى أن يقف على الحياد فى هذا النزاع العمانى - الإيرانى وكان التحذير البريطانى لم يصل إلى حاكم أبوظبى قبل رحيله فهرع الكابتن «كامبل» بنفسه ومعه عدد من المعدات البحرية وتمكن من إيقاف أسطول أبوظبى فى عرض البحر، وعلى مشارف بندر عباس اجتمع بحاكم أبوظبى وأقنعه بعدم المشاركة فى القتال خوفا على السلم والأمن البحرى فى ميناء الخليج العربى وهدده بأنه قد يعرض إمارته للخطر من جانب الأسطول البريطانى إن هو أصر على القتال فى بندر عباس، وقد تسبب ذلك فى توتر العلاقات بين أبوظبى وبريطانيا فى المنطقة(104). ومن الغريب حقا أن يمنع المقيم السياسى البريطانى أسطول أبوظبى

من القتال بحجة خوفه على الملاحة بينما يسمح للأسطول العمانى ومع ذلك فإن القوات العمانية تمكنت من طرد القوات الإيرانية من بندر عباس فى شهر يونيو 1854[105].

التصدى العمانى - الظبيانى المشترك للغزو النجدى فى البريمى 1800 - 1855

ظهر القواسم كقوة بحرية مناوئة لعمان[106] من الحدود الشمالية فى اتجاه عمان الساحل والباطنة فى الوقت الذى نجح فيه النجديون كقوة برية فى استقطاب بعض القبائل العمانية الغافرية المعارضة لبوسعيد إلى جانبهم ويشنون هجومهم من الحدود القريبة باتجاه عمان الداخل[107] والظاهرة بعد السيطرة على واحة البريمى[108] غير أن سلطان بن أحمد تصدى لتلك المحاولات النجدية وعمل على جمع كلمة العمانيين[109]، وبذلك عاصر سعيد بن سلطان فى بدايته عنف الهجمات النجدية على عمان[110] وتحالفهم مع القواسم والقبائل الغافرية المعارضة لبوسعيد بين 1800 - 1815. وقام مطلق المطيرى بعدة هجمات على عمان ثم عاد إلى نجد عام 1810[111] وقد قتلت قوات «أبوظبى» القائد النجدى الذى جاء بعده عبد العزيز بن عرفة[112] فى أرض «الظفرة» عام 1812 ثم قتل مطلق المطيرى على أيدى قبيلة «الحجريين» بالشرقية من عمان عام 1813. وانتهت الهجمات النجدية عندما أقدم بتال المطيرى فى مايو 1818 إلى مسقط وسلم لسلطان عمان حصون البريمى. وحينما جاءت قوات نجدية مع القائد عمر بن عفيصان فى فبراير 1833 إلى البريمى لم تستطع أن تأتى عن طريق البر خوفا من قبائل أبوظبى فى أرض الظفرة، بل جاءت بحرا عن طريق الشارقة.

أقلقت السلطات البريطانية السياسية المصرية بالتوسع فى ساحل عمان والعراق وعدن عام 1839[113] وارسل القائد المصرى خورشيد باشا القائد سعد بن مطلق المطيرى فى مارس 1839 إلى البريمى والشارقة[114] ولكن البريطانيين مارسوا ضغطا شديدا على حكام ساحل عمان لإخراجه برغم تعاطف ومساندة حاكم «أبوظبى» للحكم المصرى الذى يمثل مخرجا من الاستعمار المسيحى البريطانى فقد

كتب القائم بأعمال المقيم السياسى البريطانى فى رسالته إلى حاكم بومباى فى 15 مارس يقول:

«إن محمد على باشا وسلطان عمان وحاكم أبوظبى يمثلون جبهة مشتركة، فى حين فيصل بن تركى حاكم نجد المخلوع وحاكم البحرين وأولاد عزان وحاكم الشارقة يمثلون جبهة ثانية معادية للحكم المصرى»[115].

زار «هنيل» المقيم السياسى البريطانى أبوظبى وأخذ تعهداً من حاكمها فى يوليو 1839 الا يتصل بالمصريين وكانت الاتهامات وخاصة من حاكم الشارقة تصل إلى السلطات البريطانية فى الخليج العربى بأن خليفة بن شخبوط حاكم «أبوظبى» (والد جد زيد بن سلطان بن زايد بن خليفة بن شخبوط رئيس دولة الإمارات) يتعاون مع المصريين، ولهذا كان من الطبيعى أن يكون هذا الموضوع مقلقا للبريطانيين الذين أمدوا قبيلة البوشامس الغافرية العمانية بالمال والسلاح وأرسلوا إليهم الضابط برتبة نقيب «همرتون» ليدرس الدفاع عن البريمى ضد خطط توسع المصريين فى هذه المنطقة وقد أدت تلك المساعدات البريطانية للنعيم والبوشامس إلى تعديها على «الظواهر» الهنائية التابعة لأبوظبى، وهنا هاجم خليفة بن شخبوط البوشامس فى البريمى وأزعج هذا البريطانيين.

وقد رد حاكم أبوظبى على «هنيل» على تصرفاته فى رسالة فى سبتمبر 1839 بقوله: -

«لابد أن أبلغك بصدد سير الأمور مع البوشامس والنعيم الذين كنت قد اتفقت معهم على مقاومة سعد بن مطلق، ولكن ما كاد سعد بن مطلق يغادر البلاد حتى بادروا إلى إظهار عدائهم لى، ولقد نسوا جميع المنافع التى حصلوا عليها منى. ثم راحوا على بلاد جماعتى من قبيلة الظواهر مخربين بساتين النخيل وقاطعين الماء عنها وأنت تعرف بالطبع أن بلاد الظواهر تتبع أبى شخبوط بن دياب وأننا نشترك معهم فى ملكية بساتين النخيل»[116]، وكان حاكم أبوظبى قد وقع اتفاقا مع المقيم السياسى البريطانى فى أغسطس 1841 ويبين لنا فى هذا الاتفاق ما

مدى تحالفه وشعوره بالمسؤولية فى رعاية وحماية أراضى وسيادة عمان فى تلك النواحى حيث جاء فى هذا الاتفاق:

«عدم التعدى على قبيلة الظواهر والعوامر والمناصير، وكذلك ساحل الباطنة مثل «شناص» وبقية أراضى سلطان عمان»[117].

جاء سعد بن مطلق المطيرى فى يناير 1845 كقائد لقائمقام نجد العثمانى وذلك بعد انسحاب المصريين من الجزيرة العربية، إلى البريمى والى «ضنك» فقاومته النعيم وحمود بن عزان والى صحار، وكان سعيد بن طحنون حاكم أبوظبى يراقب هذه الأحداث[118]. وعندما فشل سعد بن مطلق استدعاه قائمقام نجد العثمانى فيصل بن تركى وحاول إرسال قوة جديدة فى عام 1848 إلى البريمى ولكنه عندما علم بترصد حاكم أبوظبى لها فى صحراء «الظفرة» اضطر إلى إلغاء إرسالها فى حين نجحت القوات الظبيانية - العمانية فى تحرير البريمى من النجديين وطرد قائدها محمد بن سيف العجاجى بقيادة كل من سعيد بن طحنون وسيف بن حمود بن عزان، وعندما أبدى ثوينى بن سعيد نائب سلطان عمان عدم رضاه من وجود قوات سيف بن حمود ابن والى صحار فى قلعة البريمى فقام حاكم أبوظبى بإخلاء قلعة البريمى من قوات سيف بن حمود. فقد جاء فى رسالة الوكيل البريطانى فى الشارقة ملا حسين إلى المقيم السياسى البريطانى «هنيل» فى 24/ 9/ 1848 عن تلك القضية بقوله:

«بالإشارة إلى الخلافات التى قامت بين حاكم أبوظبى وسيف بن حمود فإننى أخبركم أن السبب الرئيسى هو المؤامرات وتدخل حاكم الشارقة مع الشوامس والبوخريبان والتى كان من نتائجها إبعاد البوشامس والنعيم عن السيادة العمانية، كما يعلم حاكم أبوظبى أن سيف بن حمود قد انضم إلى البوشامس والنعيم، وقد كتب ثوينى إلى حاكم أبوظبى أنه قد علم أن القابضين على قلاع البريمى من البوشامس والنعيم وسيف بن حمود جميعا قد راسلوا حاكم الشارقة مبدين حسن مشاعرهم نحو النجديين، وبدون شك يؤكدون أنه حينما يصل النجديون إلى

ديارهم سوف يسلمون القلاع ويخلعون طاعة سلطان عمان، ولذلك كان سعيد بن طحنون حاكم أبوظبى يرغب فى عون ومساعدة سلطان عمان فإن عليه إبعاد قوات سيف بن حمود والبوشامس من قلاع البريمي ويقبضها بنفسه ويطمئن سلطان عمان أن القلاع قد أصبحت فى حوزته، وعندما وصلت هذه الرسالة إلى حاكم أبوظبى نفذ ما بها من رغبات وأخرج قوات سيف بن حمود والبوشامس ووضع بها رجالا من قوات أبوظبى»[119].

راح العجاجي فى الشارقة يطلب من حاكمه فى نجد القائمقام العثمانى أن يبعث قوات لاحتلال البريمى، وكانت خطة فيصل بن تركى أن يرسل جيشه برا للتدخل فى الشارقة ثم التحرك من هناك إلى البريمى لكى يتفادى المسير فى أبوظبى وقد طلب سفنا لنقل الجنود والمعدات العسكرية من الشارقة ودبى لكن المشيختين اعتذرتا خوفا من بريطانيا، ولهذا كان لابد من أن يسلك الجيش النجدى طريق البر، وفى أواخر شهر سبتمبر 1848 رصدت دوريات من قبيلة العوامر القوية تقدم الجيش النجدى فعلم سعيد بن طحنون أنه سيسلك الطريق الذى يخترق أبوظبى ويدخل رأسا إلى البريمى فى عمان فقرر عدم التعرض له فى البداية وأن ينصب له كمينا وموضعا دفاعيا فى مكان اسمه «العانكة»[120].

باشرت قوات أبوظبى حفر الخنادق الدفاعية والاستفادة من الطيات الأرضية بحيث أمكن الاختفاء فيها وتوريتها بشكل كمين ممتاز، وكانت عيون حاكم الشارقة قد أبلغته عن الكمين فأسرع بإرسال إنذار إلى سعيد بن مطلق قائد القوات النجدية ليخبره بأن يتلافى المرور عبر «الظفرة» و «الختم» إلى البريمى وأن عليه أن يأخذ الطريق الساحلى المؤدى إلى دبى ومنها إلى البريمى ولكن النذير أبطأ فى الوصول بل إنه لم يستطع أن يلاقيه وأصبحت القوات النجدية على وشك الهلاك، وفى ليلة الثامن من أكتوبر دخلت الحشود النجدية منطقة «العانكة» وقد لفها الظلام وعندما أصبحت مطوقة من جميع الجهات بحشود أبوظبى أطلقت المدفعية نيرانها والأسلحة وهجم الفرسان والمشاه فمزقوا الجيش النجدى فمات من

مات وهرب من هرب فهلك عطشا ولم ينج من المذبحة إلا سعد بن مطلق وزمرة قليلة من جيشه تمكن من الهرب بأعجوبة إلى الشارقة[121].

لم يجد فيصل بن تركى قائمقام نجد العثمانى غير الدبلوماسية لعلاج الموقف المتردى فامتنع عن دفع الزكاة والضريبة السنوية لشريف الحجاز محمد بن عون تلك الضريبة والزكاة التى يرسلها الشريف سنويا إلى الباب العالى كما طلب حاكم نجد من شريف الحجاز محمد بن عون التوسط لدى طحنون حاكم أبوظبى لإعادة قلاع البريمى العمانية إلى النجديين[122]. ووصل شريف الحجاز محمد بن عون إلى أبوظبى فى نهاية شهر فبراير 1849 وطلب تجميد الوضع فى البريمى وتسليم قلاعها للقائد النجدى سعد بن مطلق ثم توجه شريف الحجاز فى شهر مارس إلى بوشهر حيث قابل «هنيل» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى وطلب منه كف أذى حكام أبوظبى عن القوات النجدية فى البريمى لضمان الزكاة والضرائب التى كان حكام نجد العثمانيين يدفعونها للباب العالى[123].

زار فى يناير 1850 سعيد بن طحنون حاكم أبوظبى ثوينى بن سعيد فى مسقط لتقوية الدفاعات المشتركة فى البريمى، فى حين حاول حاكم نجد استعادة نفوذه فى البريمى وأرسل فى أكتوبر1850 قوات نجدية بقيادة «ابن بتال» ولكن قوات أبوظبى تمكنت من هزيمته وطردهم من المنطقة فى شهر نوفمبر[124]. وفى مارس 1851 تحرك فيصل بن تركى حاكم نجد وقد أقسم أن ينتقم من «أبوظبى»[125] فى حين زار حاكم أبوظبى مسقط وحل ضيفا على حاكم عمان شهرى فبراير ومارس 1852 حيث قرر سعيد بن سلطان فى نوفمبر من هذا العام الرحيل إلى زنجبار وترك أمور عمان والدفاع عنها فى منطقة البريمى والظاهرة وديعة بين أيدى ابنه ثوينى وحكام أبوظبى.

أرسل حاكم نجد ابنه عبد الله إلى البريمى ومعه أحمد السديرى فى يناير 1853 اللذين حاولا استرجاع قلعة صحار لقيس بن عزان ولكنهما فشلا، وقد رفض حاكم أبوظبى التعاون مع عبد الله بن فيصل وأحمد السديرى ونصح سعيد

ابن طحنون لنائب سلطان عمان تحصين صحار. وقد كتب «كمبول» المقيم السياسى البريطانى إلى الحاكم العام فى بومباى 19/ 4/ 1853 عن تلك الأحداث يقول:

«. . . يسرنى أن أرفع تقريرا مفاده أن القائد النجدى فى البريمى قد خفف أخيرا من طلباته نحو سلطان عمان وخول قائده أحمد السديرى بالمفاوضة على التسوية وألحق معه سعيد بن طحنون لهذا الغرض. إن فحوى التقارير التى تصلنا من الشارقة وعمان تقودنى أن أعزى هذه النتيجة للموقف الدفاعى المعارض الذى اتخذه ثوينى الذى سار لهذا الغرض نحو صحار بنفسه وكذلك للكفاءة الدفاعية التى سببها حاكم أبوظبى إضافة إلى الاحتجاج الذى وجهناه إلى نشاط خصمهم حاكم الشارقة. وبدون شك إن أخبار الحاج يعقوب عن الثوينى فى رسالة بوجودى فى المنطقة وتفكيرى زيارة الساحل قد أدت إلى هذه النتائج»[126]. وكان رأى سعيد بن طحنون أن يشغل ثوينى أعداءه فى «الباطنة» ويفرغ حاكم «أبوظبى» لمهاجمة النجديين، ولكن ثوينى فضل دفع مبلغ سنوى، ولم تجر أحداث ذات قيمة بعد ذلك بالنسبة للنشاط النجدى وكان وجودهم ضعيفا حتى وضع نهاية لهذا النشاط زايد بن حليفة فى عام 1869 وهكذا زال النشاط النجدى فى البريمى العمانية. وكانت مقاومة النشاط النجدى فى البريمى أحد المظاهر الواضحة ومعلما بارزا للتعاون والتحالف العمانى - الظبيانى الهنائى المشترك.

نتائج التعاون العمانى - الظبيانى المشترك:

نتوصل من خلال تلك الدراسة فى تاريخ العلاقات العمانية - الظبيانية فى إطار التحالف الهنائى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر إلى عدة نتائج ومنها:

أولا: تعاون حكام أبوظبى مع سعيد بن سلطان والعلاقات القوية بينهما فى إطار التحالف الهنائى ساعد فى عدم تعرض الحملة البريطانية على ساحل عمان لعام 1819 لإمارة أبوظبى وعدم تدمير قلاعها وسفنها، كما يرجع أيضا إلى عدم

ممارسة سكان أبوظبى القرصنة أو السلب والنهب للسفن التجارية فى البحر وخاصة السفن البريطانية.

ثانيا: عندما استولى محمد بن شخبوط على حكم أبوظبى بالقوة عام 1816 دون رضا من أبيه شخبوط بن دياب، توجه طحنون بن شخبوط إلى مسقط فى عام 1818 حيث وجد كل عون ومساعدة من سلطان عمان الذى أمده بالسفن والمال والسلاح ومعه تمكن طحنون بمساعدة والده وقبائل أبوظبى من استلام الحكم فى نفس العام بعدما توجه محمد بن شخبوط إلى قطر.

ثالثا: لمقاومة شخبوط بن دياب للهجمات النجدية، كان له الأثر المباشر فى تقرب قبيلة «الظواهر» فى منطقة «العين» التى وجدت لها حاميا من تعديات البوشامس والنعيم المتحالفين مع النجديين العثمانيين فى «البريمى». وقد وضع هذا نواة امتداد نفوذ إمارة أبوظبى فى البادية نحو الشرق حيث بنى شخبوط بن دياب عددا من القلاع والحصون من أهمها قاعة «مريجب»، وقد وجد امتداد نفوذ «أبوظبى» فى المنطقة الشرقية كل ترحيب ورضا من حكام عمان حيث كان قوة وحماية لحدودهم فى تلك المنطقة من هجمات النجديين العثمانيين وخاصة منطقة «الظاهرة» العمانية.

رابعا: قدمت عمان الغنية فى تلك الفترة بثروتها وخاصة من القسم الأفريقى فى «زنجبار» المال والسلاح والسفن وكل ما تحتاجه أبوظبى والتى لم تبخل هى الأخرى فى الدفاع عن سيادة ووحدة أراضى عمان من الهجمات الخارجية وخاصة من القواسم والنجديين العثمانيين إضافة إلى إخماد تمرد القبائل وإنهاء الصراعات الداخلية فى عمان وخاصة فيما بين الأسرة البوسعيدية كما حدث فى «صحار» وفرض الأمن والاستقرار فى ساحل الباطنة و«الظاهرة» والبريمى، أى أن العلاقات كانت متكافئة ومتعادلة وليس فى صالحها فقط وإنما فى صالح واستقرار وأمن المنطقة الجنوبية الشرقية من الجزيرة العربية عند مدخل الخليج العربى.

خامسا: نظرا لقوة العلاقة العمانية - الظبيانية ولدور حكام أبوظبى فى

استقرار الحدود الشمالية والغربية من القواسم والنجديين العثمانيين جعل حاكم عمان يهتم بمشاريعه التوسعية والاقتصادية فى شرق أفريقيا ولم يقتصر على ذلك بل نقل العاصمة العمانية مسقط من القسم الآسيوى إلى القسم الأفريقى فى «زنجبار» مما تطلب منه أن يسافر إلى هناك فى عدة سفرات وهى كما يلى:

1 - من ديسمبر 1829 حتى مايو 1830.

2 - من ديسمبر 1831 حتى سبتمبر 1832.

3 - ومن نوفمبر 1833 حتى مايو 1835.

4 - ومن نوفمبر 1837 حتى أبريل 1839.

5 - من ديسمبر 1844 حتى مايو 1851.

6 - من نوفمبر 1852 حتى ديسمبر 1854.

7 - وأخيرا كانت رحلة الوداع حينما سافر من مسقط فى سبتمبر 1856 ووافته المنية وهو فى البحر فى 19/ 10/ 1856.

وبذلك يمكن القول بأن التحالف العمانى - الظبيانى لعب دورا أساسيا فى تاريخ هذه الفترة والدفاع عن سلامة أراضى عمان.

الهوامش

1 - Miles, Samuel - The Countries and Tribes of Persian Gulf, 2 Vols,I London 1919 2nd Ed. in One Volume 1966. P.4

2 - سرحان بن سعيد الأزكوى - «كشف الغمة فى أخبار الأمة» مخطوط بالمتحف البريطانى بلندن - رقم 6568 - (OR) - ص 113

3 - Badger, Percy - History of the Imams and Seyyidd of Oman - by Salil Bin Razik - Introduction and Analysic - London 1871. P. xxx

4 - Miles, Samuel, Op. Cit. P.236

5 - Thomas Bertram - Arab Rule under rhe Bu Said Dynassty - of Oman and Eaśt Africa. London 1938. P.30

6 - Hawley, Donald The Trucial States - London 1970. P.84

7 - د. محمد مرسى عبد الله - إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى 1739 - 1818 - المكتب المصرى - القاهرة - 1978 - ص 64.

8 - د. محمد مرسى عبد الله - نفس المرجع ص 67.

9 - Thomas, Bertram - Alarms and Excursions in Oman - London 1931. P.155

10 - C.F. Wilkinson J, C.- The Organization of the Falaj irrigation in Oman - Oxford 1971. P.18

11 - د. محمد مرسى عبد الله - المرجع السابق ص 67

12 - نور الدين عبد الله السالمى - تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان - تحقيق اسحق طفيش - القاهرة - طبعة 1961 - ج2 - ص6.

13 - Lockhart, L- Nadir Shah - ACritcal Study based only Upon Contemporary Sources - London 1938. P.182.

14 - Phillips, Wendell - Oman A History - London 1967. P.63.

15 - حميد بن محمد بن رزيق - الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيدين - تحقيق عبد المنعم عامر- وزارة الثقافة والتراث القومى - مسقط - 1977 - ص 330.

16 - عبد الأمير محمد أمين - القوى البحرية فى الخليج العربى فى القرن الثامن عشر - بغداد - 1966 - ص 7.

17 - د. محمود على الدواد - محاضرات فى التطور الساسى لقضية عمان - الدرسات العربية - القاهرة - 1964 - ص 21.

18 - نور الدين عبد الله السالمى - المرجع السابق - ج2 - ص169.

19 - Neibuhr, Carsten - Trarels Through Arabia and other Countries in the East.- Translated by Ruper Heren 2Vols - Edinburgh. 1792. Vol. 2. p.118.

20 - Miles, Samuel - OP. Cit. P.265.

21 - Kelly, John - Britain and the Persian Gulf1795 - 1880 - London, 1968. P.9.

22 - Lockhart, L - OP. Cit. P.170.

23 - Badger, Percy - OP. Cit. P. xlix.

24 - Curzon, George N - Persia and the Persian Question 2 Vols London 1892. P.435.

25 - د. محمد مرسى عبد الله - المرجع لسابق ص 95.

26 - د. شاكر خصباك - دولة الإمارات العربية المتحدة - مطبعة الإرشاد - بغداد 1977 - ج 30.

27 - Bombay Govermment - British Museum Libray - Selections from the Records of the Bombay Government - Vol:- xxiv:- Historical sketch of the Beniyas Tribe of Arads 1761-1853.

28 - د. محمد مرسى عبد الله - دولة الإمارات العربية المتحدة وجيرانها - دار القلم - الكويت 1981 ص 123.

29 - Phillips Wendell - OP. Cit. P.68.

30 - Curzon, Geoego - OP. Cit - Vol:- 2 -P.435.

31 - Badger, Percy - OP. Cit. P.192.

32 - Phillips, Wendell - OP. Cit. P70.

33 - د. محمد مرسى عبد الله - إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى - ص 242.

34 - Curzon, Georgo - OP. Cit. Vol:- 1.P.424.

35 - Miles, Samuel - OP. Cit. P.287.

36 - حميد بن محمد بن رزيق - المرجع السابق - ص 330.

37 - Welstad, J. R. - Travels in Arabia, 2 Vols - London 1838. Vol.I.P8.

38 - I.O .R/15/1/94. Copt. Hennell to Governor of Bombay 21 st August.

39 - I.O.R/15/1/125. Haji Qasim in Bahrain to Hennell 2nd August1851.

40 - Bombay Gov. - Historical sketsh of Joasmee Tribes to Oman CF. S.R.B.ff.Bombay 1856- P.307.

41 - حميد بن محمد بن رزيق - المرجع السابق ص 517.

42 - صالح محمد العابد - دور القواسم فى الخليج العربى - 1747 - 1820 - بغداد ص 145.

43 - Kelly, J.B. - OP. Cit. P.128 .

44 - Bombay Gov. OP. Cit. P.307.

45 - Shaikh Monsour - History of Soyid Said. P.54.

46 - فالح حنظل - المفصل فى تاريخ دولة الإمارات العربيـة المتحدة - لجنة التراث والتاريخ - جزئين - أبوظبى 1983 - ج 1 ص 335.

47 - د. محمد مرسى عبد الله - المرجع السابق ص 242.

48 - Bombay Government - The Rise and Progress of the Government of Muscat Vol xx IV. Bombay1856. P.184.

49 - Kelly, J.B - OP. Cit. P.156.

50 - فالح حنظل - المرجع السابق - ج 1 ص 342.

51 - فالح حنظل - نفس المرجع - ج 1 ص 349.

52 - د. محمد مرسى عبد الله - المرجع السابق - ص 270.

- Kelly, J.B. - Cit. P.215. - 53

54 - د. محمد مرسى عبد الله - نفس المرجع السابق - ص 270 .

55 - د. محمد مرسى عبد الله - نفس المرجع - ص 270.

Kelly, J.B. OP. Cit. P216. - 56

I.O.R./15/Y38 - From Col. Stannus to Imam Said, (Muscat) 13 th - 57
Dec.1826.

I.O.R. /15/y34 - From Col Stannus, Bushire, to Newnhom, Bom- - 58
bay, 31 Dec.1824.

I.O.R./15/1/38 - From Col. Stannus to Imam Said - Muscat - 15 - 59
Jan1827.

60 - فالح حنظل - المرجع السابق - ج 2 ص 467.

61 - فالح حنظل - المرجع السابق ج 2 ص 467.

I.O.R./15/1/56 - From Capt. Hennell to Governor of Bombay 31 st - 62
May1831.

I.O.R./15/1/56.Ibid. - 63

I,O.R./15/1/58 - A report of Meeting between Plan -(Assistant Pol - 64
Res) and Mulla Husain.

I.O.R - 15/1/48. -From Agent in Bahrin to the President Bushire, - 65
16 th November1828.

I.O.R. 15/1/48.Ibid. - 66

I.O.R. 15/1/59 - From Said bin Sultan - To Hennell 21 st Sept1832. - 67

I.O.R. 15/1/48 - From Agent in Bahrain to the President, Bushire, - 68
16 th November1828.

I.O.R 15/1/59 - From Shaikh Sultan bin Saqr to Pol Res, 2nd Au- - 69
gust1832.

I.O.R. 25/1/99 - From Mulla Husain to Pol. Res 10 th Feb.1843. - 70

I.O.R. 15/1/76. From Residency Bushire Acting Political Resident - 71
to the Government of Bombay 15 th March.1838.

I.O.R 15/1/76.Ibid. - 72

I.O.R.15/1/94 - From Capt Hennell to 6 ovt of Bombay 21 st Au- - 73
gust1841.

I.O.R. 15/1/99 - From Mulla Husain to Copt. Kemball, 22 nd - 74
June1843.

I.O.R. 15/1/103 - From Mulla Husain to Hennell, 8 th Oct.1844. - 75

Bombay Govt - Selections from the Records of the Bombay Gov- - 76
ernment Volr xx IV. Historical sketoh Abut Muscat. P.122.

Kelly, J.B. - OP. Cit P.166. - 77

Hanely, D. - OP. Cit. P.93. - 78

79 - ج. ج. لوريمر - دليل الخليج - ترجمة مكتب ولى عهد قطر - ج3 - ص1285.

I.O.R L/P& s118 - Memorandum On the Sepate Claims of Tur Key - 80
and Persia to Sovereignty Over Bahrin Colonel Shiel, No.42

Aitshison - Persian 6ulf. Vol.XI. P.190. - 81

I.O.R. L/P& s/20. C248 - Precis of Correspondnce Regarding of - 82
fairs of the Persian Gulf - P. 190 (A) Letter from the honorable Mountstunrt Elphinston Govenor of Bombay - To:- His Highness of Muscat, dated 19 th August, 1822. (B)- Letter from M.Ephinston, Governor of Bombay to - Abdulla Uhmid of the race of Khaleefa the Sheick of Bahrain deted 19 th, August1822.

I.O.R. L/P& s/20. c248. - Precs of Corresponce - Regarding affairs - 83
of The Persian GulfP. 164 - From - W.M.Newnham Chief Secrary, Bombay Castle, Political Department - To - Major, G. Willock, Secretaty in Charge of the British Mission at Tabrize.

Bomday Gov. - Selctions from the Recods of the Bombay Govern- - 84
ment Vol:- Historical sketch about Uttoobee Arabs Bahrain -
P.378.

85 - ج. ج لوريمر - المرجع السابق - ج 3 ص 1292.

86 - حميد بن محمد بن رزيق - المرجع السابق - ص 537.

I.O.R. 15/Y48 - Mutual letters between Major Wilson and Iman - 87
Muscat Luring January1829.

88 - ج. ج. لوريمر - المرجع السابق - ج 3 ص 1262.

I.O.R. 15/1/48 - From Shaikh Abdullah bin Ahmed, Ruler of Bahr- - 89
nin to Shaikh Tohnoun bin Shakhbut 3rd October1828.

Bombay Gov. Cit. P. - 90

I.O.R. 15/1/48 - OP. Cit. 3rd Octuber. - 91

I.O.R.15/1/38 - From Jmam Said to Copt. Hemnell, 13 Nov.1828. - 92

I.O.R. 15/1/38 - From Imam Said to Major 15 th Nov.1828. - 93

I.O.R. 15/1/48 - From Shaikh Sultan bin Saqr To Major Wilson 27 - 94
th April1829

I.O.R. L/P & 5/20/ c248. Precis of Correspondence Regarding of- - 95
fairs of the Persian Gulf P.174.(A) Letter from the Abdula Bin
Ahmi - Sheick of Bahrain dated 17 December 1828. to Wilson,
Resident in the Persian Gulf.

I.O.R. 15/1/47 - Shaikh Abdullah bin Ahmed to: Major Wilson 7 th - 96
Dec.1828

I.O.r. - L/P & 5/20. c248. OP. Cit - ALetter from L. Wilson, Resi- - 97
dent in the Persian Gulf To: Abdulla Bin Ahmed Sheick of Bahrain
dated 17 December1828.

I.O.R. 15/1/38 - From Mulla Husain to Major Wilson, 24 th - 98
Dec1828.

99 - i.o.r. 15/1/38 - Ibid

100 - Bombay Gov. OP. Cit. p.47

101 - I.O.R 15/1/67 - Capt. Hennell to governor of Bombay 30 th May1853

102 - فالح حنظل - ص 566 ج 2

103 - I.O.R 15/1/132 - Capt. Kemball to Governor of Bombay March, November and December1854.

104 - فالح حنظل - المرجع ج 2 ص 566

105 - Howley, D. - OP. Cit. P.88

106 - Bombay Gov:- Op.Cit. P.340

107 - Mann, Clarence - Abu Dhabi - Brih of an Oil Shaikdom - Beirut 1969. P.21

108 - د. جمال زكريا قاسم - المصادر العربية التاريخية لشرق أفريقيا - المجلة التاريخية المصرية - م 14 ص 84

109 - Kelly, JB. - O.P. Cit. P340

110 - عثمان بن بشر النجدى - عنوان المجد فى تاريخ نجد - جزءان - مكة المكرمة - 1449 هـ ج 1 ص 127.

111 - د. احمد مصطفى أبو حاكمة - لمع الشهاب فى سيرة محمد بن عبد الوهاب - ص85

112 - Bombay Gov:- OP. Cit. P.449

113 - ج. ج. لوريمر - المرجع السابق - ج 2 ص 1076

114 - I.O.R. 15/1/76. - From Pol. Resident to Bombay Govrnment 15 th March1838

115 - I.O.R. 15/1/85 - From Shaikh Khalifah bin Shakhbut to Capt. Hen-nell 30 th Sept.1839

116 - I.O.R. 15/1/91 Agreement between shikh Khalifah bin Shakhbut and the Resident in August1841

I.O.R. 15/1/08. From Mulla Hennell, 25 th Feb. 30 th March, 19 th - 117
April. 12 th & 22 nd May, 5 th & 19 th Sept, 23 Oct. and 8 th & 19
th Dec.1846

I.O.R. 15/1/115 - From Mulla Husain to Hennell, 6 th & 7 th Jan lst - 118
Feb. 29 th Nay, 14 th & 21 st June, 12 th July, 24 th Sept, 21 st Oct
and lsd lst & 8 th Dec.1848

119 - فالح حنظل - المرجع السابق ج 2 ص 540

120 - فالح حنظل - نفس المرجع ج 2 ص 540

I.O.R. 15/1/115 - Op. Cit. 8 th Dec.1848 - 121

I.O.R. 15/1/117 - From Mulla Husain to Hennell 8 th Jan, 16 th & - 122
20 th Feb, 19 th & 25 th June, 7 July1849

I.O.R. 15/1/120 - From Mulla Husain to Hennell 11 th & 19 Jan, - 123
11 th Feb. 25 th March, 23 rd April, 25 th and 11 th Oct.1850

I.O.R. 15/1/125 - From Haj Qasim, Bohrain to Hennell 2nd - 124
Agust1851

I.O.R. 15/1/138 - From Capt. Kemball to Governor of Bombay 19 - 125
th December1853.

I.O.R. - 15/1/138 - Ibid. - 126

الفصل الرابع



السياسة العثمانية تجاه الخليج العربى في النصف الأول من القرن التاسع عشر

نشر هذا البحث فى المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية - العدد الأول والثانى - يناير 1990.

تقديم

نتناول فى هذا البحث بداية التواجد العثمانى فى الخليج العربى كمدخل لدراسة السياسة العثمانية فى المنطقة ثم نبحث فى سر انشغالها عن شؤون الخليج العربى لفترة طويلة نظرا لتوجه السياسة العثمانية نحو أوربا الذى أدى إلى عدم اهتمامها بالمنطقة، حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر، حين بدأت السلطات العثمانية تهتم بالخليج العربى. وقد يرجع ذلك إلى سببين. أولهما: الاهتمام الشخصى لداود باشا الوالى العثمانى فى العراق. والسبب الثانى: قيام المحاولة الانفصالية لإمارة «الدرعية» التى أزعجت الدولة العثمانية. مما أدى إلى طلب السلاطين العثمانيين من الوالى محمد على فى مصر توجيه حملة إلى الجزيرة العربية لإخماد هذه الحركة بعدما هددت ولايتها فى العراق والشام .

تميزت فترة مجيء داود باشا إلى العراق بتذبذب العلاقات العثمانية - البريطانية في العراق بين التدهور والتقدم، وبالحملة المصرية - العثمانية الى الخليج والجزيرة العربية ثم موقف داود باشا من الحملة المصرية وتواجدها فى الإحساء والوضع هناك بعد الانسحاب المصرى والموقف البريطانى من الحملة المصرية الاولى.

ثم نتناول عودة النشاط المصرى إلى الخليج والجزيرة العربية والبحث فى تغير الموقف البريطانى السابق تجاه التواجد المصرى فى الخليج العربى، وكذلك موقف الوالى العثمانى فى العراق ثم السياسة العثمانية فى أعقاب الانسحاب المصرى والوضع فى الخليج العربى، وأخيرا يتناول البحث دراسة المحاولات العثمانية التى بذلت لإنشاء أسطول فى الخليج العربى فى مدينة البصرة.

بداية التواجد العثمانى فى الخليج العربى :

تعتبر البصرة مفتاح العراق الجنوبى وميناءها الكبير على الخليج العربى ولذا كانت على علاقة قوية بالقوى المتصارعة فى الخليج العربى، وخاصة عندما كانت تحكمها أسرة «آفرآسياب» التى لها علاقة قوية بالبرتغاليين والبريطانيين وبإيران. ولما كان البرتغاليون أعداء الشاه، فإنه تحالف مع البرتغاليين ضد البريطانيين، وهؤلاء وجدوا فى «آل آفرآسياب» حلفاء طبيعيين لهم، نظرا لأن الشاة كان يطمع مثل أسلافه فى البصرة[1].

منذ فتح العثمانيون العراق عام1534 ، اتجهت قواتهم بقيادة «أياس باشا» عام 1546 ، إلى البصرة لتضعها تحت النفوذ العثمانى[2]. ومن ثم بدءوا يتطلعون إلى الخليج العربى وأوقفوا التدخل البرتغالى فى شؤون الخليج العربى ونهضوا لتحرير المناطق العربية . ولكن الصراع لم يبدأ بين الجانبين إلا بعد أن استقر العثمانيون فى مصر ونزلت سفنهم فى البحر الأحمر، ومن ثم اتجهت إلى الخليج العربى لحماية المصالح الإسلامية من عبث الغزاة [3].

قصدت الوفود الإسلامية إلى الدولة العثمانية تطلب الحماية من الاستعمار الإرهابى المسيحى البرتغالى، وكان حاكم «كوجرات» «و دلهى» المسلم وحاكم «القطيف» العربى ممن استجاروا بالسلطان سليمان القانونى[4]. والذى طلب من شريف بركات فى مكة المكرمة الانضمام إليه، وسعى لدى القوى اليمنية للدخول فى طاعته، لكى يتخذوا من بلادهم مواقع أمامية تسمح لهم بمواجهة المسيحيين الارهابيين البرتغاليين فى المياه الهندية والخليج العربى، وبعث بتعليماته إلى «سليمان باشا » والى مصر والذى أبحر على رأس أسطول من ثمانين سفينة، وقد قدر له فرض سيطرته على عدن وأجزاء من اليمن فإنه لم يتمكن من منازلة البرتغاليين فى المياه الهندية بسبب نجاحهم فى تجميع أسطولهم لملاقاته، ولذا فإنه اتجه إلى الخليج العربى واستولى على مسقط وحاصر جزيرة هرمز. وقد أشعل هذا لهيب ثورة أهل «القطيف» على البرتغاليين، فأطاحوا بهم وأخرجوهم من قلاعهم لكى يسلموها للعثمانيين[5].

أثار ذلك استياء المسيحيين الارهابيين البرتغاليين كما قام العثمانيون بخلع حاكم البصرة. غير أن هذا الحاكم كان لديه حوالى ألف رجل وطلب من «الفونسو» الذى كان نائبا فى الهند المساعدة ضد العثمانيين مقابل عدد من الامتيازات من ضمنها إنشاء حامية لهم فى ميناء البصرة، وأرسل البرتغاليون أسطولا مكونا من تسع عشرة سفينة فيها ألف ومائتا رجل بقيادة «أنطونيو دى فورنها» لمساعدة حاكمى البصرة والقطيف، وقد تمكن البرتغاليون من تدمير حامية القطيف العثمانية فى حين لم يحققوا شيئا فى البصرة وعادوا بهزيمتهم إلى هرمز(6).

هذا ما دفع بالعثمانيين إلى الانتقام عام 1552، وسيروا حملة بحرية كبيرة مكونة من ثلاثين سفينة وستة عشر ألف مقاتل كان على راسها «بيرى بك» ونجحت فى إنزال ضربات شديدة بالبرتغاليين وإعادة السيطرة العثمانية فى مسقط بعد أن أوقعت بقائدها البرتغالى «داليسباو» الهزيمة وقد شنت هجومها على جزيرة «قشم» وإن كانت قد عجزت عن دخول جزيرة «هرمز» بسبب وصول النجدات البحرية البرتغالية المرسلة من الهند، ثم عهد إلى «مراد بك» سنجق قطيف بقيادة السفن المتبقية فى البصرة وتقدم بأسطوله عبر الخليج العربى نحو البحر الأحمر لمواجهة الأسطول البرتغالى المتجه نحو «جدة»، غير أن القائد البرتغالى «دافورتها» تمكن من هزيمة الأسطول العثمانى فاضطرت السفن المتبقية إلى الرجوع نحو البصرة، وفى عام 1557 تجددت المعارك بين العثمانيين والبرتغاليين قرب مسقط، وبالرغم من انتصار البرتغاليين فإن العثمانيين سرعان ما أعادوا تحرشهم بالبرتغاليين وتمكنوا من فرض حصارهم على البحرين والاستيلاء على مسقط عام 1581. ولم يبقوا فى الخليج العربى واكتفوا بالولاء الدينى الذى يكنه عرب الخليج للعثمانيين(7). أما فى الإحساء وشرقى الجزيرة العربية فقد خلفهم بنو خالد فى حكمها فى القرن السابع عشر والثامن عشر وأن الحكم العثمانى فى شرقى الجزيرة صار بعد ذلك اسميا لا فعليا(8).

فترة انشغال العثمانيين عن الخليج العربي:

منذ عام 1635 أصبح للبريطانيين وكالة نشطة فى البصرة وأصبح أمر الخليج العربى فى يد الأساطيل القوية بينما كان أسطول العثمانيين فى البصرة قد هوى إلى مستوى متدنٍ ولم تسهم البصرة فى سياسة الخليج العربى فى هذه الفترة الطويلة حتى بداية الثلاثينيات والأربعينيات من القرن التاسع عشر ومن الناحية البرية فقط، ولذلك سار توسع أسرة «أفراسياب» فى اتجاه الإحساء حتى أصبحت الإحساء تابعة للبصرة. وعندما أعيدت البصرة إلى حكم السلطان المباشر بعد طرد أسرة «أفراسياب» منها عام 1668، أصبحت بغداد تسيطر أيضا على أمور الإحساء، وإن كان حكمها المباشر فى الغالب لبنى خالد[9]، ومنذ تلك الفترة لوحظ أن الدولة العثمانية تغاضت عن امتداد النفوذ البريطانى فى مشيخات الخليج العربى حتى تدعم هذا النفوذ تدريجيا خلال القرن التاسع عشر فى ساحل عمان والبحرين وعمان[10].

أما القوة الرئيسية العاملة فى منطقة الخليج العربى فى هذه الحقبة فكانت لكل من قبائل رأس الخيمة و«أبوظبى» وأسطولهم البحرى القوى فى مياه الخليج العربى. وفترة سلطان عمان البحرية فى الخليج العربى ومياه المحيط الهندى وشرق أفريقيا. وأخيرا قوة بريطانيا البحرية والمتمثلة فى مصالح شركة الهند الشرقية البريطانية. أما عن عدم وجود قوة عثمانية فى الخليج العربى فقد يرجع إلى انشغالها فى مشاكلها الأوربية ولا سيما حروبها مع روسيا التى كانت شبه مستديمة، ثم حربها مع فرنسا التى نشأت عن احتلال نابليون لمصر عام 1798 وما أعقب تلك الحرب من صراع مع محمد على باشا الذى آلت إليه ولاية مصر عام 1805، ولم تنعم ممتلكاتها فى العراق بوال قوى يملك القدرة على تدخل سياسى فى شؤون الخليج العربى بعد مقتل سليمان باشا والى بغداد عام 1802[11].

فى هذه الفترة الطويلة لم يكن هناك نشاط عثمانى مباشر فى الخليج العربى وإنما كانت هناك محاولة عام 1795 - 1796. عندما قام «ثوينى» بحملاته ضد

الإحسـاء بعد احتلالهـا من حاكم «الدرعيـة» عام 1795. إن تورط النجديين فى حملات «ثوينى» وباشا بغـداد ضدهم بتحريض من العثمانيين، قـد أنقذ الخلفيات وعتـوب الكويت من الوقـوع فى قبـضة حاكـم «الدرعية». ويـبدو أن الخلفـيات والعتـوب قاموا بدور مـا فى صالح العـثمانيـين عام 1796 عندما رابطت قوات «ثوينى» نحو ثلاثة أشـهر فى «الجهرة» بالـقرب من الكويت خلال انسحـابها إلى العراق، وقـد حدث هذا فى مـناسبتـين إحداهمـا قبل اغـتيـال «ثوينى» على يد المتطرفين فى «الإحسـاء» ثم بعد هذا الحادث[12]. ففى أواخر عام 1795 فر عدد كبـير من بنى خالـد وسكان الإحساء، إلى البـصرة وبغداد، وهنـاك أقنعوا الوالى العثـمانى فى بـغداد بإيفـاد «ثوينى» على رأس حملة ضـد النجديين الذين كـانوا يستعـدون لشن هجوم على البصرة، وبالرغم من أن دور الخلفيـات والعتوب فى حملة «ثوينى» لم يتـضح تماما، إلا أن بنى خالد حكام الإحسـاء ومن يؤيدهم قد ساعدوا «ثوينى» لأنهم مهددون من «النجـديـيـن» فضلا عن الولاة العثـمـانيين فى العـراق الذين كانوا يؤيـدون بنى خالد[13].

داود باشا والسياسة العثمانية تجاه الخليج العربى 1817 - 1831:

بعد مقـتل عبد الله باشا صارت ولايـة بغداد إلى سعيد باشـا حتى صدرت أوامر الباب العالى بعزله وتولية داود باشا، ولما رفض سعيد الخضوع لأوامر الباب العالى أصبح على داود باشا أن يحصِّل حقـوقه بقوة السلاح، ولم يكن نجاحه فى هذا سهلا[14]. وفى دوامة الصراع من أجـل الباشوية كان الباشـا الجديد ينظر من حوله إلى الأصدقاء ثم إلى الأعداء - وحتى من وقف على الحياد فى ذلك الصراع - نظرة تختلف جفاء وقـسوة وحبًا، وتشير إلى العداوة التى آلت إليـها العلاقات البريطانية ممثلـة فى المندوب البريطانى الذى وقف محايدا بين الخـصمين بناء على التعليمات البـريطانية ومن أبرز نقاط الخلاف أيضا ما كـان من موقف وكيل الممثل السياسى البريطانى والمسؤول عن الوكالة التجارية البريطانية فى البصرة والتى كانت لديه قوة مسلحة لحماية الوكالة. ولكنه لم يتـدخل إلى جانب متسلم البصرة حين

طلب إليه أن يعاونه في صد اعتداء بعض القبائل النجدية التى هاجمت البصرة، وكانت لديه تعليمات بأن يحاول المحافظة على من يرتبط بحماية بريطانية فى البصرة وأنه إذا تعرض لضغط من السلطات العثمانية، فعليه أن يسحب وكالته من البصرة إلى «البوشهر»(15).

بذلك كان الجو السياسى فى بغداد والبصرة مهيأ لعداء بين داود باشا والبريطانيين، وأهمل داود باشا نصوص الفرمانات والمعاهدات التى تتعلق بالتسهيلات التجارية لرعايا البريطانيين والأوربيين المتاجرين فى الممتلكات العثمانية، وضاعف الضرائب والمكوس مما اضطر الوكيل البريطانى أن يغادر البصرة ويغلق الوكالة التجارية، ولكنه لم يذهب إلى «بوشهر» وإنما ذهب إلى مدينة «المحمرة» القريبة من البصرة. كما قامت قوات داود باشا بإغلاق دار الاعتمادية البريطانية فى بغداد. مما اضطر الحاكم البريطانى فى الهند أن يرسل إلى السفير فى الأستانة يطلب منه التدخل لدى الباب العالى لتسوية المشكلة ضد تصرفات داود باشا وبعد عدة مراسلات بين الجانبين أسفرت عن عودة العلاقات بينهما وإعادة الوكالة التجارية إلى البصرة(16).

من جهة أخرى تزايد نفوذ «النجديين» فى شبه الجزيرة العربية وتمكنوا من مد نفوذهم فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر فى نجد والمناطق المجاورة لها. ومن ثم بدأوا يتطلعون إلى شواطئ الخليج العربى مع بداية القرن التاسع عشر وكانوا يهدفون إلى نشر نفوذهم السياسى مما أثار حفيظة السلطان العثمانى فى الأستانة، وجعله ينظر بقلق التحركات النجدية والنجاح الذى حققوه فى هذه المناطق(17). وخاصة عندما تزايد نفوذهم الذى لم يقتصر على الحجار، وإنما تخطاها إلى الشام وأطراف دمشق وبعض مناطق فلسطين مما هدد أمن الدولة العثمانية. وجاءت الأحداث لتحسم خوف الدولة فى رد فعل عنيف يستهدف القضاء على تلك الإمارة. فلقد استشاط السلطان سليم الثالث غضبا عندما تسلم رسالة من الأمير سعود بن عبد العزيز على إثر الاحتلال الأخير لمكة المكرمة فى

أبريل عام 1803، ورأى فى موقف سعود خروجا على طاعته، واعتبر أن رسالته لم يكن فيها الاحترام اللائق به كخليفة للمسلمين، بل اعتبر أن ما جاء فيها إنما يؤكد تمرد سعود على الدولة العثمانية وإلغاءه لقوانينها[18]. ونتيجة لذلك أخذ السلطان العثمانى يعد العدة للقضاء على «إمارة الدرعية» التى رأى فيها خروجا على الخلافة الإسلامية المتمثلة فيه. وذلك أثناء انشغال العثمانيين بتحرير مصر من الاحتلال الإرهابى المسيحى الفرنسى.

عندما أقلقت إمارة «الدرعية» الباب العالى بدرجة كبيرة بنهب ممتلكات المسلمين فى العراق وحجاج بيت الله الحرام وقطع الطريق إلى الجزيرة العربية واعتبر السلطان العثمانى تلك الإمارة خطرا ينبغى التخلص منه، كلف ولاته فى الشام والعراق بالقضاء عليها، غير أن هؤلاء فشلوا فى محاولاتهم، مما اضطر السلطان مصطفى الرابع إلى تكليف واليه على مصر بإرسال قواته إلى الجزيرة العربية عام 1807. غير أن الأوضاع الداخلية لم تسمح له بذلك وبعث إلى السلطان يعتذر عن تلبيته لأوامره لتدهور اقتصاديات مصر بسبب انخفاض مياه الفيضان واستيلاء المماليك على الصعيد. وعندما تولى السلطان محمود الثانى السلطة بعث أيضا برسالة إلى والى مصر يحثه فيها على إنجاز تلك المهمة، ولكن والى مصر تعلل بأن قواته غير كافية وأن نفاذ هذه العملية يحتاج لحشد طاقات عسكرية كبيرة تأتى من ولايات العراق والشام بجانب مصر. وعندما كرر السلطان محمود الثانى طلبه عام 1811، بعث بحملاته المتتالية إلى الجزيرة العربية لمحاربة السعوديين خلال الفترة ما بين عامى 1811 - 1818 وقد قدر له إسقاط إمارة «الدرعية» باستيلاء ولده إبراهيم باشا على عاصمتها الدرعية فى[19] 9/ 9/ 1818.

على الرغم من الحملات «النجدية» على عمان، إلا أن سعيد بن سلطان حاكم عمان رفض التعاون مع الجيش المصرى الزاحف إلى الخليج والجزيرة العربية، بينما كان داود باشا قد أعلن إرسال قواته إلى الإحساء فاتحا بذلك جبهة ثانية ضدهم، وهذا ما يملى عليه الموقف كباشا من باشوات الدولة العثمانية، أن

يقدم المساعدة اللازمة لهم، إضافة إلى اعتبارات أخرى وهى أن يسرع باحتلال الإحساء قبل قدوم إبراهيم بقواته نظرا لأهمية الإحساء، وارتباطها بالعراق حسب تقدير داود باشا، لأنه كان يريد توحيد العراق من «كردستان» إلى الموصل والبصرة تحت الحكم المركزى فى بغداد، وبادية الإحساء امتداد لبادية العراق وتابع له، حسب قول داود باشا كما قدر داود خطورة وجود قوات باشا عثمانى آخر قوى ترابط قواته على مقربة منه فى الإحساء التى كانت تحت سيطرة بغداد طيلة القرنين الماضيين، علما بأن الجيش المصرى كان فى طريقه إلى الإحساء، وكان داود يخشى أن يقع الصدام بين النظامين، النظام الجديد فى مصر والنظام المملوكى فى العراق، علما بأن محمد على كان قد نجح فى القضاء على المماليك فى مصر، مما قد يترتب على ذلك موقف خطير وقد يستخدمها السلطان محمود الثانى، إذا بدءوا شرا بالقوة المجاورة[20] فى حين كان إبراهيم باشا يقدر أهمية الإحساء كقاعدة استراتيجية ذات مصادر طبيعية وبشرية كبيرة، وكان حكام الإحساء «بنو خالد» قد لجئوا إلى داود باشا فى العراق ينتظرون اليوم الذى يعودون فيه إلى مقرهم، وكانوا رهن إشارة داود لما كلفهم بفتح الإحساء وأرسل معهم قوات من قبائل «المنتفق» لشد أزرهم والذين كانوا شديدى العداء للفرس والنجديين كما كانت الإحساء ملاذا لهم عدة مرات، وكانت العمليات الحربية التى قامت بها القوات «المنتفقية» وقوات بنى خالد ناجحة وتمكنوا من الاستيلاء على الإحساء بسهولة عام 1817[21].

أما فى جهة وسط الجزيرة العربية فى نجد فكان لوصول التعزيزات والإمدادات من والى العراق العثمانى دور فى تشجيع قائد القوات المصرية الذى كان إبطاؤه سيسبب له سوء العواقب. فقد قام بعمل هجومى على منطقة «غسية» وشاركت فى حصاره القوات العراقية المرسلة من الوالى داود باشا أثناء حصار إبراهيم باشا للدرعية[22]. ولكن بمجرد أن انتهى إبراهيم باشا من تدمير «الدرعية»، اتجهت القوات المصرية بقيادته نحو الإحساء وإخضاعها ووضع

الحاميات المـصرية ورفع يد داود باشا عن الإحساء، مما كان لهـا صدى فى بغداد، ولكون الإحساء جـزءا من الدولة العثمانية، فـإن تقرير تبعيتـها من شأن السلطان العثـمانى. وأسرع داود باشا فكتـب للسلطان العثمانـى طالبا أن يكف يد إبراهيم باشا عن الإحســاء، مما اضطرت القوات المصرية إلى مغادرة الإحـساء تحت ضغط الدولة العثمانيـة وبتأثير مباشر من واليها فى العـراق الذى كان يعطف على شيوخ بنى خالد ويحاول إرجاعهم إلى حكم الإحساء نوابا عن الباب العالى. ولقد تم له ذلك ونجح فى مساعيه[23] عندما أرسل السلطان محمود الثـانى فرمانا إلى محمد على، يأمره فيه أن يخلى إبراهيم باشا الإحساء، وأن الأخير سحب قواته فعلا من الإحساء وسلمها إلى عمال داود باشا.

كان السلطان العـثمانى راضـيا عن منح الإحـساء لداود باشا فى حـين كان إبراهيم باشا بحاجة إلى الإحساء ليقضى قـضاء تاما على قواعد النجديين ثم يعود إلى الحجاز، ولكنه سـحب قواته من الإحساء بعـد الانتهاء من العمليـات الحربية نزولا عند رغـبات والى العـراق داود باشا والسلطان العـثمـانى، وبذلك استـعاد «بنوخالد» الحكم فى الإحساء بعـد خروج إبراهيم باشا منها[24]. نظرا لأن شيوخ بنى خالد اسـتطاعوا التـأثير على والى العـراق العثمـانى والذى لم يكن ينظر إلى تقدم القوات المصرية نحو الخليج العربى وخـاصة الإحساء بعين الرضى، وبالتالى فقد عاد إليها آل «عريعر» ولاة من قبل الدولة العـثمانية ويتبعون بغداد من الناحية الإدارية وكـانوا يدينون بالولاة لوالـى العراق قـبل وصـول القـوات المصـرية إلى الإحساء[25]. وبعد انسحاب القوات المصرية من نجد تركتها فى حالة من الفوضى وعدم الاستقرار ولم يكن حظها بأفضل منه تحت حكم القوات العثمانية البديلة فى حين كان حظ الإحســاء أفضل من نجد إذ لم تدخلها القوات العـثمانية التى تركت الإدارة فيها لبنى خالد فشاع فى ربوعها الاستقرار[26].

استمرت الفوضى فى نجد إلى أن تمكن الأمير تركى بن عبد الله من السيطرة على نجد ومد نفوذه إلى الخليج العربى فاستولى على الإحساء والقطيف[27]. وفى

عام 1830 اتجه اهتمام تركى بن عبد الله إلى الشرق والجنوب الشرقى باتجاه البحرين وقطر وعمان[28]. غير أن الخلاف سرعان ما دب بين أفراد البيت السعودى، فاغتيل الأمير تركى بن عبد الله عام 1834 على يد ابن أخيه الأمير مشارى بن عبد الرحمن، وانتقم فيصل بن تركى بقتل والده وأصبح أميرا على نجد[29].

كتب فى 22 نوفمبر من عام 1837 على رضا باشا الوالى العثمانى فى العراق إلى الأمير فيصل بن تركى حول تبعيته للدولة العثمانية والعمل على مساندتها جاء فيه[30]:

«أنه قد مضت مدة من الزمان وبرهة من الأوان، ما وردنا منك كتاب ولا أفدنا من طرفك خطاب عن حالك وكيفية أحوالك، غير أنه قد بلغنا الخبر من الأفواه عن وقوع عزلك ومشا خالد السعود عليك ومنازعته معك ودخوله أرض الرياض التى بيدك ولا أخبرتنا عما جرى بينك وبينه وكيف آل أمرك معه فالله تعالى يعاونك ويساعدك على من عاداك ويظفرك بمن ناواك، وحيث إنك من المنتمين لجانب الدولة العلية، وجزوم صدق الخدمة لطرف السدة السنية وخلوص صداقتك إلينا ثانية لدينا، فلم نزل نستسفر عنك على البعاد ونود تقويتك واستقرارك فى تلك البلاد ونحب اتصال خدمتك لطرف الدولة العلية مدى الآباد وإننا نرى المزاحمة لك على الديار ولا يهون علينا ما يصيبك من الضرر والأكدار فعاد ينبغى أن تحرر لنا كتبا عن حالك وعما صار بطرفك وجرى لك مع المومأ إليه خالد والذى معه».

الموقف البريطانى من الحملة المصرية - العثمانية:

عندما دخلت القوات المصرية إلى نجد والإحساء، رأت الحكومة البريطانية فى الهند أن وجود المصريين فى الإحساء فرصة طيبة لإيجاد إدارة منتظمة على شواطئ الخليج العربى بغية التعاون معهم لقمع الملاحة العربية التى لا تلتزم بأنظمة الملاحة الدولية حسب المفهوم البريطانى وهى نظرة إرهابية استعمارية للقضاء على

الملاحة العربية، ولتحقيق هذا الهدف فإن الحكومة البريطانية أرسلت الكابتن «سادليير» مندوبا عنها للتفاهم مع القائد المصرى إبراهيم باشا، ولكن المندوب البريطانى وصل إلى الإحساء بعد قرار محمد على بالانسحاب من الجزيرة العربية وبرغم من أنه اضطر إلى عبور شبه الجزيرة العربية كلها من الشرق إلى الغرب للحاق بإبراهيم باشا[31]، ولكنه لم يحقق هدفه.

كان الكابتن «ج. فورستر سادليير» مكلفا من الحكومة البريطانية لإقناع محمد على بالهجوم على موانئ ساحل عمان وتدمير قوة «رأس الخيمة» و«أبوظبى» لأن أسطول ساحل عمان البحرى كان قد شكل خطرا على المصالح والأطماع البريطانية الإرهابية المسيحية الاستعمارية فى الخليج العربى، وكان موقف إبراهيم باشا وطنيا وعربيًا وإسلاميًا، فقد رفض المقترحات ورفعها إلى والده محمد على باشا معلقا بأن مهمته تخريبية تهدف إلى ضرب موانئ ساحل عمان وهذا يتعارض مع أهداف الدولة العثمانية التى تؤيد العرب والمسلمين وتقف معهم ضد الاستعمار الإرهابى المسيحى.

فيما يلى نص خطاب إبراهيم باشا إلى والده محمد على باشا بخصوص مهمة «سادليير»:

«ورد إلى مرفأ الإحساء أخيرا، قائد بحرى يحمل خطاب تهنئة بفتح الدرعية من طرف وكيل الملك المقيم بمرفأ الهند «بومباى» المنصوب من قبل دولة إنجلترا وحضر القائد المذكور مع الجيش المقيم فى الإحساء إلى المدينة المنورة وقابل خادمكم، وأعطانى سيفا مرصع الغمد (مشغول بالمينا) محلى المقبض الآلى، وقد أرسل إلى مقامكم السامى طى مكاتبتى هذه. الخطاب الذى حمله القائد المومأ إليه. وقد تبين من تقريره، أن مراد الوكيل المومأ ومتسلمه تخريب نحو سبعة مرافئ أو ثمانية مرافئ، حوالى عمان (مواني‍ء دولة الإمارات العربية المتحدة حاليا) بإنزال جيش جسيم بحرا من جهتهم وبرا من طرف الدولة العلية، وأن أرسله على أمل رفع (كذا) الموانئ المذكورة وهدمها وعلى خيال السؤال، وحصول تلك الأمنية

بموافقـة الدولة العلية، لكن احتـمال حصول أمـلهم هذا عديم الإمكان، ولم أرد على طلب القائد المذكـور ردا باتا، وتوافقنا معه فى أن يقـيم عندنا إلى حد ورود أمركم العالى وتلطفكم السامى»[32].

سوف يتغيـر هذا الموقف البريطانى عندما تعود الحملة المصـرية إلى الإحساء ثانية لأن البـريطانيين سوف يكونون قـد سيطروا على ساحل عـمان بعد احـتلاله ووقعوا معها الاتفاقيات الخاصة. وبمجرد انسحاب إبراهيم باشا وعودته إلى مصر، فقد تركت السـياسة المصرية أمر الخليج العربى لأبنائه، ولذا فـإن بريطانيا تحركت لملء الفراغ السياسى والعسـكرى الناجم عن انسحابهم من الخليج العربى، وبدأت تحرك أطمـاعها فى المنطقـة، واتخذت سيـاسة العنف والشدة فى العـقدين الأول والثانى من بدايـة القرن التاسع عـشر بعد الانسـحاب المصرى من الخـليج العربى مباشرة، وشنت قطـع الأسطول البريطانى هجوما مدمرا على مـوانئ ساحل عمان وخاصة مدينة رأس الخـيمة فى أواخر عام 1819، والتى استبسلت فى الدفاع ضد الاستعـمار الإرهابى المسيحى الـبريطانى حتى سقطت. ومن ثم فـرضت بريطانيا اتفاقياتها على حكام ساحل عمان وبعدها فرضت سيطرتها على الخليج العربى.

نظرا للتدخل العـسكرى الإرهابى المسيحى البريطانى اهتـزت دوائر الأستانة والقاهرة وبغداد وكان الخلـيج العربى مقبلا على مستـقبل غامض، تطل من ورائه مدافع الأسطول البريطانى ولا تستطيع أى مشيخـة عربية أن تدافع عن نفسها، أما الدولة العثـمانية وولاتها ببـغداد ومصر فلم يكن لديهـا أسطول بحرى فى الخليج العربى، ولذلك أصبح خطر الأسطول البريطانى كبيرا على المنطقة فى الوقت الذى بسطت بريطانيا سيطرتها على البلاد الساحليـة الهامة فى الجزيرة العربية والسواحل المطلة على «باب المندب» ومضـيق «هرمز» وتنبه السلطان العـثمانى ومحـمد على وداود باشا إلى هذه الأخطار وخشى محمد علـى من وصول البريطانيين إلى مصر عن طريق البحر الأحمر و «باب المندب» وخـشى السلطان العثمانى وداود باشا أن تمتد أطماع بريطانيا إلى الإحسـاء. وكان داود يشك فى ثبات بريطانيا، وبعد النظر

السياسى يؤدى إلى ذلك ولهذه المخاوف، فإنه كتب إلى السلطان مبينا الخطر الذى يهدد الإحساء، وكان لكتابه صدى قوى فى الأستانة، إذ أنها أكدت مخاوف السلطان الذى تلقى فى الوقت نفسه من السفير الفرنسى ما يؤيد رسائل داود باشا[33].

استمرت الاتصالات القوية بين الأستانة والقاهرة وبغداد، لتتبع حركات البريطانيين فى الخليج العربى واعتقدت الدوائر فى تلك المدن الثلاثة بأن السياسة الاستعمارية الإرهابية المسيحية البريطانية تريد تحويل المشيخات العربية فى المنطقة إلى وضع شبيه بذلك الوضع الذى صارت إليه إمارات الهند الإسلامية، وتخوف داود باشا من ازدياد النفوذ البريطانى فى العراق، فبدأ يعمل على تقليص الامتيازات الاقتصادية التى كانت تتمتع بها بريطانيا فى البصرة، ولما وجد أن هذا الخطر لا يهدده وحده بل يهدد محمد على أيضا، عمل على إيجاد تعاون بينهما ضد هذا الخطر المشترك والسلطان العثمانى من ورائها إلى مقاومة الأطماع البريطانية بكل ما فى وسعها، وأخذ داود باشا يكتب لمحمد على عن عدد السفن البريطانية التى أبحرت من بومباى ويراقب خط سيرها ويكتب عن أحداث التحركات البريطانية فى الخليج العربى مما أدى ذلك إلى إساءة العلاقات بين داود باشا و «ريتش» الوكيل السياسى البريطانى فى بغداد وانتهت بطرده من العراق[34]. وبعد ذلك دخل داود باشا فى صراع مع على رضا إلى أن انتصر الأخير ودخل بغداد وبذلك انتهت حكومة داود وأصبح على رضا الوالى الجديد فى العراق.

عودة النشاط المصرى إلى الخليج العربى والموقف البريطانى 1838 - 1840م

تغير الموقف البريطانى من المصريين عندما عادوا إلى الخليج العربى والجزيرة العربية عام 1838، واتخذت موقفا يختلف تمام الاختلاف عن موقفها السابق نظرا لتغير علاقتها بمصر خلال الأعوام العشرين الماضية، كما تبدلت نظرتها ووضعها فى الخليج العربى، فقد أصبحت تنظر لمصر بأن محمد على يمثل قوة وطنية فى

الشرق الأوسط على طريق البحر الأحمر وقد يتجه إلى الخليج العربى، فمن الخطورة على مصالحها أن يمتد نفوذه إلى الفرع الثانى الذى يصل بين المحيط الهندى وبين أوربا[35]. أما الخليج العربى فإن بريطانيا اتخذت له سياسة خاصة بمنع أية قوى وطنية كبيرة نسبيا أن تتوسع على حساب المشيخات الصغيرة وطبقت هذه السياسة تجاه مصر وحالت دون توسعها تجاه مشيخات ساحل عمان. أما محمد على فقد اتبع سياسة جديدة تقوم على استخدام الحكام المحليين مثل الأسرة السعودية كأداة لبسط نفوذه فى الخليج والجزيرة العربية وعين الأمير خالد ابن سعود نائبا عنه فى الرياض، واستخدم موظفين من نجد بارزين كسعد بن مطلق للتوغل فى عمان والتى عمل بها من قبل. أما على شواطئ الخليج العربى وخاصة الإحساء فقد أقام خورشيد باشا حامية فى القطيف واتخذها مركزا للاتصال بمشيخات الساحل وخاصة البحرين[36].

على أن سقوط نجد للمرة الثانية بيد القوات المصرية فى هذه المرة قد أثار فزع بريطانيا بعد ما كان محمد على أعلن استقلاله عن الدولة العثمانية، وعليه تخوفت بريطانيا من امتداد النفوذ المصرى وتقدم قواتها تجاه الخليج العربى اعتبارا من البصرة شمالا حتى سلطنة عمان جنوبا[37]. ومنذ عام 1839 بدات بريطانيا جديا فى تحطيم قوة محمد على ونفوذه خاصة فى المناطق التى اعتبرتها حيوية وذات أهمية خاصة لمواصلاتها من بريطانيا حتى مستعمراتها فى الهند مثل جنوب الجزيرة العربية كساحل حضرموت وعمان والخليج العربى، وتنفيذا لذلك فقد احتلت عدن عام 1839، وهددت باستخدام القوة لوقف النشاط المصرى فى الخليج العربى كما وطدت نفوذها وسلطانها مع كثير من أمراء وشيوخ المنطقة[38].

لهذه الغاية كان «بالمرستون» قد بعث برسالة فى 11 مايو عام 1839 إلى «بنسوينى» بالأستانة يطلب منه أن يبحث مع الباب العالى ويتأكد مما إذا كانت الفتوحات المصرية الأخيرة فى نجد قد تمت بتأييد من السلطان العثمانى. كما كلفه بأن يوضح للباب العالى بأن أمن الولايات العثمانية فى العراق قد يتعرض للخطر

إذا مـا نجح محـمـد على فى مـد نفوذه إلى مناطـق الخليج العربـى. كمـا طلب «بالمرستون» من كامبل فى الخليج العـربى أن ينتظر نتائج اتصالات «بنسوينى» التى قام بإجرائها مع الحكومـة العثمانية، فإذا تبين بأن البـاب العالى يعارض هو الآخر امتداد النفوذ المصرى إلى وسط وشرق الجزيرة العربية، فإنه يتعين إذن تحذير محمد على بأن الحكومـة البريطانية لـن تسمح له بمد سيطـرته البحرية والعـسكرية على شواطئ الخليج العـربى، وإذا ما أصر محـمد على على هذا التوسع فـإن القوات البريطانية سوف تقوم بمنعه من توطيد سيطرته على أى قاعدة من القواعد البريطانية على سواحل الخليج العربى(39).

أما فى الخليج العـربى فقد أصبـحت السلطات البريطانية قلقـة من تحركات خورشـيد باشا مما دفـع «هينيل» المقيم السيـاسى البريطانى فى الخليـج العربى إلى مقابلة شيخ الكويت فى مايو 1840 لمعرفة ما إذا كان لديه مـعلومات عن تحركات خورشيد باشا تجـاة البصرة. فأكد له حاكم الكويت بأن خورشـيد باشا موجود فى الرياض وأنه لم يجد لدية أو مبعوثيه أى احتمـال للتحرك المصرى تجاه البصرة كما أكد قـائد الطراد البريطانى «كليـف» ما أكده حـاكم الكويت، إضافـة إلى إرسال خورشيد رسالة إلى هينيل يؤكد له فيها بعدم وجود أية نية للتحرك فى اتجاه البصرة أو العراق(40).

رغم ذلك فإن البريطانيـين لم يطمئنوا لهذه التأكيدات بل أصـبحوا ينظرون إلى الوجـود المصـرى فى الخليج العـربى والجـزيرة العـربيـة على أنه خطر يهـدد وجودهم ومصـالحهم فى المنطقة وبالتالى أخذوا يعـملون على إخراج المصريين من الخليج والجزيرة الـعربية لإبقـائها تحت النفوذ البـريطانى، ولم يدخروا جـهدا فى التخطيط واقتناص الفرص المناسبة لتحقيق هدفهم. وقد لاحت للساسة البريطانيين والمهـتمـين بشؤون الخليج العـربى فرصـة ثمـينة عندما نشـبت الأزمة المصـرية - العثمانية عام 1839 - 1841، وعلقت عليها بريطانيا أملا كبيرا فعملت على تأليب الدول الكبرى وشكلت تحالفًا دوليًا من الدول الأوروبية المسيحية ضد محمد على،

وانضمت إلى جانب السلطان العثماني وتدخلت بقواتها ضد القوات المصرية فى سوريا فى نوفمبر عام 1840 مما أدى إلى هزيمة المصريين[41].

يمكن القول بأن بريطانيا نجحت بعد عامين تقريبا من بدء الحملة المصرية على الخليج والجزيرة العربية فى تحريك الكثير من الدول الغربية المسيحية الإرهابية للقضاء على محاولات محمد على فى إقامة وحدة عربية تضم معظم الوطن العربي، فدعت إلى عقد مؤتمر دولي في لندن حضره ممثلون عن روسيا والنمسا وبروسيا، كما شاركت فيها الدولة العثمانية نفسها وكان من أهم نتائج هذا المؤتمر توجيه إنذار إلى محمد على مدعم بالعمل العسكرى بسحب قواته العسكرية من الخليج العربى والجزيرة العربية ومن فلسطين وبلاد الشام والأناضول[42].

أمام هذا الموقف العدائى من بريطانيا والدول المسيحية الأوربية الأخرى بأن يكف محمد على عن التدخل فى الخليج والجزيرة العربية، أصدر أوامره بانسحاب الجيش المصرى من تلك المناطق العربية تنفيذا لمعاهدة لندن لعام 1840[43]، وكشرط أساسى من اتفاقية الإسكندرية فى نوفمبر - ديسمبر من عام 1840 وفى التسوية العامة للمسألة الشرقية لمؤتمر لندن لعام 1841[44]. كما تم تحديد ممتلكات محمد على وتبعيته للدولة العثمانية.

موقف والى العراق العثمانى من الحملة المصرية الثانية:

تغير موقف على رضا باشا والى العراق الجديد عن الموقف الذى كان قد اتخذه والى العراق السابق داود باشا. والذى تعاون مع حملة محمد على، كما كان على اتصال بعد خروج القوات المصرية من الإحساء، وكان يترقب تحركات البريطانيين فى الخليج العربى ويُشعر محمد على أولا بأول، فى حين كان الوالى الجديد رضا باشا يترقب زحف قوات محمد على فى الجزيرة العربية وخاصة سواحل الخليج العربى، لأنه أدرك خطورة تلك التحركات التى تهدد بفتح جبهة جديدة للقتال ضد النفوذ العثمانى المتبقى فى العراق، لاعتقاد الوالى رضا باشا بأن محمد على يريد الإطباق على العراق عن طريق قواته المتواجدة فى بلاد الشام من

جهة الشمال وقواته الأخرى فى الخليج والجـزيرة العربية من جهة الجنوب للإطاحة بالوجود العثمانى فى المنطقة العربيـة، وهذا ما كان يطمح إليه محمد على بحروبه مع الباب العالى فى الثلاثينيات من القرن التاسع عشر[45].

انعكس ذلك على تصرفات على رضا باشا الوالى العثمانى فى العراق الذى أرسل قواته إلى «الأناضول» لمساعدة السلطان العثـمانى فى حربه مع محمد على، ولذا فإنه لم يجد القوات الكافـية لإرسالها إلى الجبهة الجنوبيـة فى الجزيرة العربية لوقف تحركات الجيش المصرى ومنعه من التوجـه شمالا إلى العراق، وهذا ما دفعه إلى إجراء الاتصالات السـرية مع شيوخ قبائل العـرب لجذبهم إلى جانب السلطان العثمانى وتشجيعهم لمساعدة الأمـير فيصل بن تركى فى مقاومته للقوات المصرية، كما سعى لمحـاصرة قوات القائد المصرى محـمد خورشيد باشا والمتـجهة إلى نجد وشرقى الجـزيرة العربية إلـى الإحساء عن طريق تأليب القـبائل العربـية فى إقليم «عسير» لضرب الخطوط الخلفية للقوات المصـرية كما استغل على رضا باشا شيوخ وأمراء القبائل العربية فى العراق والتى لهـا أواصر القربى والعصبية فى نجد لوقف هذا الزحف المصرى فى الجبهة الشرقية[46].

العثمانيون والوضع فى الخليج العربى بعد الانسحاب المصرى:

حاول العثمانيون بعد انسحاب القوات المصرية من الخليج والجزيرة العربية أن يرثوا حكم محـمد على فى المنطقـة وخاصة الخليج العـربى. انطلاقا من سيـاسة الوالى العثـمانى فى العـراق على رضا باشـا، والذى كان يعطى اهتـماما خـاصا بالخليج العربى. وفعلا نشط الوالى العثـمانى فى العراق فى هذا الاتجاه وحاول أن يفرض النفوذ العثمانى فى الخـليج العربى مما اضطره إلى الدخول فى منافسة مع بريطانيا، ولكن بعد عزل رضا باشا عام 1841، قل اهتمام العثمانيين بالخليج عامة والإحساء خاصة وتركوا بذلك الباب مفتوحا على مصراعيه لتدخل القوى الطامعة فى شؤون المنطقة[47] وخاصة الاستعمار الإرهابى المسيحى البريطانى.

اكتـفى العثمـانيون فى هذه الفترة بـتبعيـة شرق ووسط الجزيرة العـربية من الناحية الاسـمية كجـزء من الدولة العثمانيـة دون أن يبذلوا جهودا فـعلية لإدخال التنظيمـات السياسيـة والإدارية فى الخليج والجزيرة العربيـة، وأن هذا التراخى من قبل العثمـانيين إزاء أمور المنطقة كان سبـبا فى أن ينشأ فراغ كبيـر كالذى نشأ بعد الانسحـاب المصرى الأول. واسـتغلته بريطـانيا جيـدا فى تلك المرحلة، وفى هذه الفترة أيضا سعت كل من بريطانيا وفرنسا وإيران استغلال هذه الفرصة لسد الفراغ الناجم من الانسحـاب المصرى، وحاولت فـرنسا أن تجد لنفـسها مـوضع قدم فى الخليج العـربى وحـاولت أن تستفـيد من المشـيخات والأسـر الحاكمـة فى الخليج العربى وخـاصة قائمقام نجد العثـمانى وسلطنة عمان، فبعثت فرنسا بسفينة مسلحة إلى المنطـقة لتشـد أزر النشـاط الدبلوماسى ولتثبـت للقـوى المنـاهضـة للبريطانيين بأن للفرنسـيين أسطولا يمكن أن تعتـمد عليه، وطـلب الفرنسيـون من خالد آل سعـود الذى ثبته على رضـا فى حكم نجد بتجـنب الارتباط بعجلة الإمـبراطورية البريطانية(48).

لكن الفرنسـيين لم يحقـقوا نتائج مـرضية لأنهم جـاءوا إلى الخليج العربى متأخرين بعـد أن ثبتت بريطانيا أقدامهـا فيه بعد معاهداتها مع مـشايخ العرب إلى جانـب أن الدولة العثـمانيـة لم تقاوم النفـوذ البريطانى بقـوة، لأنها كـانت تدين لبريطانيا بخـروج المصريين من بلاد الشام ومن الخليج والجزيرة العـربية. وكان من الطبيـعى أن تظهر فى المشيخـات اتجاهات معاديـة لبريطانيا تدعو إلى التـعاون مع القوى الإسلامية وخاصة فى البحرين. وقامت الفتن والثورات من وقت إلى آخر، وارتفع إلى المشيـخة أحد زعـماء آل خليفـة يطالب باسم السلطان العثمـانى وكان البريطانيون دائما يسقطون كل حاكم لا يميل إليهم ويعمل معهم(49).

أما قائمقام نجد العثمانى فـقد حدث خلاف فى البيت السعودى عندما خرج عبـد الله بن ثنيان على خـالد بن سعود على أسلوب الحكـم، فبينمـا يرى خالد الأخذ بأسلوب التبعيـة السياسية فى الحكم لمصر والدولة العثمـانية، كان ابن ثنيان

يرفض التبعية السياسية للدولة العثمانية ويدعو إلى التخلص منها. كان لنشأة خالد فى بيئة خاصة أثره فى تفكيره ونمط حياته وبالتالى على نفسيته وجاء يحكم نجد حكما عصريا فنفر منه النجديون التقليديون واعتبروه أجنبيا فى حين كان ابن الثنيان يعيش فى بيئة بدوية تسودها الأصول التقليدية، هذا بالإضافة إلى رغبة كل منهما فى السلطة فادعى كل منهما حق الأولوية فى الحكم، غير أن كفة ابن ثنيان رجحت بعد أن تمكن من فتح بلدة «خرمى» وتمكن من محاصرة الرياض من الجنوب والغرب مما اضطر خالد إلى الفرار إلى الإحساء عام 1841[50].

استمر ابن الثنيان يحكم نجد حتى عام 1843 عندما استطاع فيصل بن تركى المجيء من معتقله فى مصر، فعاد إلى نجد ودخل الرياض وعليها عبد الله بن ثنيان، وقاومه هذا فحاصره فيصل فى قصر الرياض إلى أن ظفر به وحبسه[51].

اعترف الأمير فيصل بن تركى بالسيادة الرسمية للباب العالى وخضوعه للسلطان العثمانى وأصبح قائمقام نجد، وذلك بدفع مقدار من المال تطبيقا لنظام الالتزام العثمانى، ولم تكن العلاقة بين قائمقام نجد فيصل بن تركى والدولة العثمانية مباشرة فى البداية وإنما كانت ترسل الزكاة والخراج إلى أشراف مكة المكرمة الذين يقومون بإرسالها إلى الدولة العثمانية عن طريق ولاية مصر، وتحسنت العلاقة بين قائمقام نجد فيصل بن تركى والدولة العثمانية عندما طلب الباب العالى مساعدة فيصل عن طريق الخديوى إسماعيل فى القضاء على ثورة عسير عام 1863[52]. ولكن عندما تولى العراق ولاة أقوياء فإن أمر نجد والإحساء خضع لسلطة الوالى العثمانى فى العراق وخاصة أثناء حكم مدحت باشا.

أخذ قائمقام نجد فيصل بن تركى الأنظمة الإدارية من الدولة العثمانية والتى تحكم بولاياتها حكما لا مركزيا، أو ربما يعود ذلك إلى طبيعة المناطق التى تشكل الواحدة وحدة سياسية مستقلة عن الأخرى لتباعد بعضها عن البعض الآخر، فحرص فى تعييناته لحكام الأقاليم أن يولى ذوى النفوذ حسب درايتهم الإدارية وخبرتهم فى إدارة مناطقهم وأكثر فهما باحتياجاتها كما أن كلمتهم مسموعة لدى

سكانها، مما يساعد أهلها على الخضوع للسلطة المركزية ولذا يمكن اعتبار هذه السلطة سياسية لا مركزية[53]. تحت السيادة العثمانية.

إلى جانب الأمير فيصل بن تركى قائمقام عثمانى على نجد والإحساء، كانت هناك إلى الشمال منها وداخل الجزيرة إمارة «جبل شمر» وعاصمتها «حائل»، وهذه الإمارة كانت لا تزال بعيدة عن الضغط المسيحى الأوربى، أما المشيخات الساحلية فى شرق الجزيرة العربية فإن بريطانيا عقدت معهم اتفاقيات خاصة وأصبحت سيطرتها واضحة، وهى البحرين وساحل عمان وعمان، وكانت السياسة المسيحية البريطانية تحول دون أن تحرز الدولة العثمانية الإسلامية موضع قدم فى المشيخات المتعاهدة معها لاتفاقية السلام العامة لعام 1820، وكانت هناك رغبة قوية لدى الشيوخ والأسر الحاكمة فى مشيخات شرق الجزيرة العربية للتخلص من هذه المعاهدات التى وضعتها تحت الاحتلال المسيحى البريطانى، وكانت العاطفة الدينية فى الانضواء تحت لواء الدولة العثمانية واضحة بين عدد كبير من شيوخ وأمراء العشائر العربية، مما سيترتب على ذلك صراع داخلى مرير فى هذه المشيخات[54].

المحاولات العثمانية لإنشاء الأسطول فى البصرة:

أرسل فى عام 1826 السلطان سعيد بن سلطان قطع أسطوله إلى البصرة لتلبية نداء قبيلة بنى كعب والمنتفق، وبعد وصول الأسطول العمانى قام بالضغط على البصرة من الناحية البحرية بعد حصارها، فى حين كانت القوات المنتفقية تضغط بقوة على المدينة من ناحية البر، ولم يكن لدى الوالى العثمانى فى العراق أسطول بحرى يمكنه أن يواجه الهجوم البحرى العمانى، فاحتمى حاكم البصرة بأسوار المدينة حتى تطول مدة الحصار فتتفكك القوات المنتفقية وقام متسلم البصرة بتفكيك القوة المهاجمة وقدم بعض الأموال لقائد الأسطول العمانى الذى اكتفى بهذه المكافأة النقدية وآثر السلم مع السلطات العثمانية فى العراق، وأدى تراجع الأسطول العمانى إلى انهيار آمال «المنتفقيين»[55].

لكن هذه المعركة كشفت للسلطات العثمانية فى العراق عن نقص خطير فى الدفاع عن البصرة، وأن عدم وجود أسطول للدفاع عن ميناء العراق الكبير يتنافى مع مركز العراق الجديد أثناء فترة حكم داود باشا، ومع الأطماع الخارجية المتعددة التى تهدده حاول داود باشا إنشاء بحرية عثمانية فى الخليج العربى، وأراد أن يكون له أسطول قوى يدافع عن مدينة البصرة بالدرجة الأولى، ولكن لم يكن لديه قواعد لبناء السفن أو فنيون يقومون بذلك، وليس هناك من مصدر لشراء السفن الحربية سوى شركة بومباى لإنتاج السفن التابعة للسلطات البريطانية فى الهند، ومن الطبيعى أنها رفضت طلب الوالى العثمانى فى العراق لشراء السفن الحربية. وعلل «لونجريج» هذا الرفض بأن حكومة بومباى شعرت بأن صراعا على وشك الوقوع بين داود باشا والسلطان العثمانى، فبالرغم من ذلك فإن مصلحة بريطانيا أن تبقى مدينة البصرة مجردة من حماية بحرية، نظرا لقوة الأسطول البريطانى فشل داود باشا فى سياسته تجاه الخليج العربى ومحاولة فرض نفوذه دون منازع، مما أدى إلى فشل داود باشا فى إنشاء أسطول بحرى للبصرة ولكنه مع هذا عمل على أن يعوض حرمان البصرة من أسطول قوى بتعيين حاكم قوى وحازم يستقر مدة طويلة فى البصرة مما يمكن هذا المتسلم من حل أية مشكلة قد تتعرض لها المدينة من وقت لآخر، ولذا تم تعيين عزيز آغا حاكما على مدينة البصرة ولكن قصر مدة الحكام كانت من الأسباب الجوهرية التى تضعف من نفوذ المتسلم وتعرقل تطبيق النظام فى المدينة ولذلك فإن عزيز لم يستطع عمل الكثير نظرا لقصر مدته فى الفترة من 1826 - 1831 أى إلى نهاية حكم داود باشا[56].

وجد المسؤولون العثمانيون فى نهاية الأربعينيات من القرن التاسع عشر فى العراق بأن عمال البصرة مسؤولون عن ضعف النشاط العثمانى نحو ساحل عمان والبحرين وعمان. فحاولوا إنشاء أسطول بحرى قوى فى البصرة ووضعوا مشروع إنشاء ترسانة بحرية فيها ورفعوا تلك الدراسات إلى الحكومة العثمانية والتى رفعت البصرة إلى مرتبة الولاية فى عام 1849 لتكون قاعدة للبواخر العثمانية المزمع إرسالها إلى مياه الخليج العربى.

الخاتمة:

نجد فى النصف الأول من القرن التاسع عشر أن داود باشا لعب دورا مهما فى السياسة العثمانية تجاه الخليج العربى، فى مواقفه من السلطات الاستعمارية المسيحية البريطانية فى المنطقة أو فى تعاونه مع الحملة المصرية الأولى فى البداية فى الخليج والجزيرة العربية، ولكن بعد وصول القوات المصرية إلى شواطئ الخليج العربى فى الإحساء بدأ الوالى العثمانى فى العراق يتخوف من التواجد المصرى على مقربة منه، وطلب من السلطان العثمانى أن يأمر القوات المصرية بالانسحاب من الإحساء.

يتضح أيضا من الحملة المصرية الثانية مدى تخوف الولاة فى العراق من التواجد المصرى فى الإحساء التى كانوا يعتبرونها امتدادا لهم. وخاصة كانت القوات المصرية متواجدة فى بلاد الشام غرب العراق وفى الإحساء من ناحية الجنوب، إضافة لتغير الموقف البريطانى ومطالبته من السلطات العثمانية مواجهة توسع محمد على، الذى بدأ يشكل خطرا على مصالحها ومكاسبها التى استطاعت أن تحصل عليها بعد انسحاب الحملة المصرية الأولى. وفرضت على ساحل عمان معاهدات غير متكافئة، وأرادت أن تحافظ على هذه المكاسب بعدما شعرت بخطر قدوم القوات المصرية إضافة إلى أن محمد على كان قد شكل خطرا على مصير الدولة العثمانية نفسها عندما وجه جيوشه نحو الأناضول، فتحالفت بريطانيا مع الدول الأوربية لضرب محمد على وإجباره على الانسحاب من الخليج العربى.

أصبحت بريطانيا بعد الانسحاب المصرى من الخليج العربى تسيطر على المنطقة فى حين كانت الدولة العثمانية تواجه مشاكل الانفصال فى «البلقان»، ولذلك فإنها تركت شؤون الخليج العربى بعد النصف الثانى من القرن التاسع عشر، حتى إذا خسرت أجزاء من البلقان وفى الجبهة الروسية، فإن السياسة العثمانية اتجهت إلى الخليج العربى للمرة الثانية فى أواخر القرن التاسع عشر لتعويض ما فقدته فى «البلقان» فى حين لعبت السياسة البريطانية فى الخليج العربى دورا أساسيا فى تقليص النفوذ العثمانى فى مختلف أقاليمها. وبعد تعيين مدحت باشا فإن السياسة العثمانية سوف تدخل فى تنافس مع بريطانيا فى الخليج العربى حتى الحرب العالمية الأولى.

الهوامش

(1) د. عبد العزيز سليمان نوار ـ داود باشا والى بغداد. ص 223.

(2) مركز دراسات الخليج العربى بجامعة البصرة - دراسات عن تاريخ الخليج العربى ص 190.

(3) د. خالد العزى ـ الخليج العربى فى ماضيه وحاضره. ص 39.

(4) د. خالد العزى ـ نفس المرجع. ص39.

(5) د. بدر الدين عباس الخصوصى. دراسات فى تاريخ الخليج العربى، ج1 ص25.

(6) أرنولد. ت ولسون، تاريخ الخليج ص83.

(7) د. بدر الدين عباس الخصوصى، المرجع السابق ص27.

(8) د. أحمد مصطفى أبوحاكمة، تاريخ الكويت الحديث، ص 248.

(9) د. عبد العزيز سليمان نوار ـ المرجع السابق، ص23.

(10) لجنة تدوين تاريخ قطر - البحوث المقدمة إلى مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية ج - د. صلاح العقاد، ص917.

(11) د. أحمد مصطفى أبو حاكمة - المرجع السابق ص138.

(12) د. أحمد مصطفى أبو حاكمة ـ تاريخ شرقى الجزيرة العربية، ص198.

(13) د. أحمد مصطفى أبو حاكمة ـ نفس المرجع ص198.

(14) ج. ج. لوريمر ـ دليل الخليج، الجزء الرابع، ص1936.

(15) د. احمد مصطفى أبو حاكمة ـ المرجع السابق، ص177.

(16) د. احمد مصطفى أبو حاكمة، نفس المرجع، ص 177.

(17) فؤاد سعيد العابد ـ سياسة بريطانيا فى الخليج العربى، ص119.

(18) د. محمد عرابى نخلة ـ تاريخ الإحساء السياسى، ص33.

(19) د. بدر الدين عباس الخصوصى ـ المرجع السابق. ص28.

(20) د. عبد العزيز سليمان نوار ـ المرجع السابق، ص29.

(21) د. عبدالعزيز سليمان نوار ـ نفس المرجع ص 29.

(22) ج. ج. لوريمر، المرجع السابق، ج3، ص1622.

(23) د. محمد عرابى نخلة، المرجع السابق، ص148.

(24) د. عبد العزيز سليمان نوار، المرجع السابق، ص230.

(25) د. محمد عرابى نخلة، المرجع السابق، ص36.

(26) د. محمد عرابى نخلة ـ نفس المرجع ص 36.

(27) د. مديحة أحمد درويش ـ تاريخ الدولة السعودية، ص58.

(28) جى - بى - كيلى ـ الحدود الشرقية لشبه الجزيرة العربية، ص97.

(29) د. بدر الدين عباس الخصوصى ـ المرجع السابق، ص125.

(30) د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ـ من وثائق شبه الجزيرة العربية فى عصر محمد على، ص582، وثيقة رقم24 - دار الوثائق القومية - محفظة عابدين (264).

(31) د. صلاح العقاد ـ التيارات السياسية فى الخليج العربى ص135.

(32) ج. فورستر سادلير ـ رحلة عبر الجزيرة العربية، ص166.

(33) د. عبد العزيز سليمان نوار - المرجع السابق، ص231.

(34) د. عبدالعزيز سليمان نوار ـ نفس المرجع ص233.

(35) د. صلاح العقاد، المرجع السابق، ص136.

(36) د. صلاح العقاد ـ نفس المرجع، ص163.

(37) فالح حنظل ـ المفصل فى تاريخ الإمارات العربية المتحدة ج2، ص398.

(38) د. مديحة أحمد درويش ـ المرجع السابق، ص63.

(39) جون. بى. كيلى ـ المرجع السابق ج2، ص553.

(40) د. فؤاد سعيد العابد ـ المرجع السابق. ص142.

(41) د. فؤاد سعيد العابد ـ نفس المرجع، ص142.

(42) أحمد عسة، معجزة فوق الرمال ـ ص38.

(43) د. مديحه أحمد درويش، المرجع السابق، ص63.

(44) جى ـ بى ـ كيلى ـ المرجع السابق، ص104.

(45) د. بدر الدين الخصوصى ـ المرجع السابق، ص129.

(46) د. بدر عباس الخصوصى ـ نفس المرجع، ص130.

(47) د. محمد عرابى نخلة ـ المرجع السابق، ص148.

(48) د. عبد العزيز سليمان نوار ـ المرجع السابق ص396.

(49) د. عبدالعزيز سليمان نوار ـ نفس المرجع ص397.

(50) د. مديحة أحمد درويش ـ المرجع السابق، ص61.

(51) خيرى الدين الزركلى ـ المرجع السابق، ص46.

(52) د. مديحة أحمد درويش ـ ص64.

(53) د. مديحة أحمد درويش ـ نفس المرجع، ص65.

(54) د. عبد العزيز سليمان نوار ـ المرجع السابق، ص396.

(55) د .عبدالعزيز سليمان نوار ـ نفس المرجع ص 235.

(56) د. عبدالعزيز سليمان نوار ـ نفس المرجع ص 236.

المراجع:

(1) د. أحمـد عسه، معـجزة فوق الرمـال ـ المطابع الأهلية اللبنانية - الطبـعة الثانيـة بيروت 1966

(2) احمد مصطفى أبو حاكمة - تاريخ شرقى الجزبرة العربية، منشورات دار الحياة - بيروت - 1965.

(3) احمد مصطفى أبو حاكمة، تاريخ الكويت الحديث، ذات السلاسل، الكويت، 1984.

(4) أرنولد. ت. ولسون، تاريخ الخليج، وزارة التراث والثقافة - مسقط 1981.

(5) د. بدر الدين عباس الخـصوصى، دراسات فى تاريخ الخليج العربى الحـديث والمعاصر، الجزء الأول، الطبعة الثانية، ذات السلاسل - الكويت 1984.

(6) جى - بى - كيلى، الحدود الشرقية العربية، ترجـمة خيرى حماد - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت - 1971.

(7) جون - بى - كـيلى، بريطانيا والخليج، وزارة التـراث والثقافـة - الجزء الثانى مـسقط 1979.

(8) ج - ج لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخى - طبعـة مكتب أمير دولة قطر - الطبعة الثانية.

(9) ج - فورستر سادلير ـ رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام 1819 - ترجمة أنس الرفاعى الناشر سعود العجمى - الكويت 1982.

(10) د. خالد العزى - الخليج العربى فى ماضيه وحاضره، مطبعة الجاحظ - بغداد 1972.

(11) خيـر الدين الزركلى ـ شبـه الجزيرة فى عـهد الملك عبـد العزيز، دار العلم للـملايين - بيروت 1985.

(12) د. صلاح العقـاد ـ التيارات السيـاسية فى الخليج العربى، مكتـبة الأنجلو - المصرية - القاهرة 1874.

(13) د. عبد العزيز سليمان نوار ـ داود باشا والى بغداد، وزارة الثقافة، - القاهرة 1968.

(14) د. عبد العزيز سليمان نوار ـ تاريخ العراق الحديث، وزارة الثقافة - القاهرة 1968.

(15) د. عبد الرحيم عبد الرحمن ـ من وثائق شبه الجزيرة العربية فى عصر محمد على، دار المتنبى للنشر - الدوحة - 1982.

(16) د. فؤاد سعيد العابد ـ سياسة بريطانيا فى الخليج العربى خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، ذات السلاسل، الكويت 1981.

(17) فالح حنظل ـ المفـصل فى تاريخ الإمارات العربية المـتحدة، ج2، لجنة التراث والتاريخ أبوظبى 1983.

(18) لجنة تدوين تاريخ قطر ـ البحوث المقدمة إلى مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية، ج2 - الدوحة 1976.

(19) د. محمد عرابى نخلة ـ تاريخ الإحساء السياسى، ذات السلاسل - الكويت 1980.

(20) د. مديحة أحمد درويش ـ تاريخ الدولة السعودية، دار شروق - جدة 1985.

(21) مركـز دراسات الخلـيج العربى بجـامعـة البصـرة ـ دراسات عن تاريخ الخليج العـربى والجزيرة العربية - البصرة 1985.

الفصل الخامس



الوضع الإجتماعي والإقتصادي لمدينة الدوحة في العهد العثماني في النصف الثاني من القرن التاسع عشر

قدم هذا البحث إلى - ندوة مكانة الخليج العربي في العصر الحديث ما بين 1820 - 1920 - كلية الآداب - قسم التاريخ - جامعة الإمارات العربية المتحدة - العين 14 - 15 ديسمبر 1997.

المقدمة:

تعتبر دراستنا عن مدينة الدوحة فى العهد العثمانى من الدراسات القليلة عن إحدى مدن شرق الجزيرة العربية والتى نتناول فيـها الفترة العثمانية من عام (1882 - 1913)، ونبدأ بموقع الدوحة وتسميتها ونشـأتها وأحيائها، والتكوين الاجتماعى لسكانها والأقليات الموجودة فيها.

ونتناول الأوضاع الاقتصادية والدخل القومى والضرائب، وما تستورده المدينة من الخارج ثم ندرس الإدارة الـسياسـية والقلاع والمـبانى والمرافق العامـة من الميناء والسوق والشوارع ومصادر مياه الشرب والحياة الثقافية والدينية.

موقع الدوحة:

تقع مـدينة الدوحة على الجـانب الشرقـى لشبـه جزيرة قطر، فى منتـصف المسافة تقريبا من الشـمال إلى الجنوب من الساحل الشرقى لقطر، أى إلى الجنوب من رأس الركن بحوالى (62) ميـلا وإلى الشمال من خور العـديد بحوالى (45) ميلا.

تقوم الدوحة على الجانب الجنوبى من خليج عميق فى الركن الجنوبى الغربى لميناء طبـيعى يبلغ طوله حـوالى ثلاثة أميـال، وهى محمـية من جـهتى الشـمال والجنوب الشرقى بصخور طبيعية.

تسمية الدوحة:

تطلق الدوحة على الشجرة الكبيرة الوارفة الظلال، ولكن لم تكن توجد فى الدوحة أشـجار كبيـرة أو حياة خـضراء بمعنى الكلمة، لقلة الأمطار والميـاه العذبة اللازمة للـزراعة، وتطلق الدوحـة على البيت الكبـير[1]، كمـا تطلق على أنداح واستـدار مـن الماء فى الاصـطلاح الجـغـرافى، والدوحـة جـمع دوح وأدواح والدوح.

بما أن الدوحة تقع على شاطئ خليج صغير جميل وواسع الانفتاح، ويسمى سكان قطر هذا النوع منه اسم الدوحــة، فهى إذن تقع على دوحة واســعة من الماء ومنها أخذت تسميتها.

تعرف لدى البدو باسم دوحة قطر كدوحة «قشاح» ودوحة «الحصين» ودوحة «بن رحال».

نشأة الدوحة:

نشأة المدن ظاهرة طبيعــية لتوافر عوامل يصعب التحكم فــيها، ولكل مدينة تنظيمها الخاص الذى تنقسم بمقتضاه إلى مناطق مــختلفة تتمتع بنشاط معين، سواء كان صناعــيا أو تجاريا أو سكنيا مع خــصائصهــا الاجتماعــية والثقافــية التى تطبع سكانها بطابع خــاص وتعتبر مــدن شرق الجزيرة العــربية ظاهرة حديثة من ناحــية الإطار التــاريخى أو النشــأة التاريخــيــة وبعض المعــايير الحــضــرية، ولعب الواقع الاقتــصادى والقبــلى فى تركيبــتها الاجــتمــاعية والســياسيــة وأشكالها ووظائفــها ومورفولوجيتها دورا يتلاءم والسكان وانسجامهم بما يتناسب وطبيعتهم التى يحيون من حولها(2).

يعتــمد سكان شرق الجزيرة الــعربية على ميــاه الخليج العربى كمــصدر هام لحياتهم الاقتصادية، ولذا كان اختيارهم لأماكن استقرارهم على سواحل البحر فى المناطق الآمنة كــالخلجان الواســعة أو الأخــوار العميــقة ســواء عند ألسنة اليــابسة لفتحات الأخوار أو عند رؤوس الأخــوار والخلجان مما يعطى الحماية عند الخروج والدخــول، ويلزم المعرفــة بأعمــاق المياه وضــحولتــها ومواقــع الصخور والــرمال والشعب المرجــانية، وهذا ما جعلهم يبنون ســفنهم منبسقة القــاع وخفيفــة الحركة والمناورة لمساعــدتهم على مقــاومة السفن الحــربية للاســتــعمار الإرهابى المســيحى الأوربى فى الخليج العربى، ومن هذه المــدن فى شرق الجزيرة العربيــة التى نشأت على فتحات الأخوار والخلجان مــدينة الدوحة التى ترتفع عن سطح البحر بحوالى

أربعين أو خمسين قدما وقد بنيت المدينة فوق الأرض المرتفعة، والجزء الجنوبى الشرقى ينخفض تماما، وتقع الأراضى الحجرية الصخرية جهة الغرب.

توالدت معظم مدن شرق الجزيرة العربية عن المدن القديمة، وتتميز بوجود منطقتين عمرانيتين: الأولى هى نواة المدينة أو المدينة القديمة، والثانية هى الامتدادات الحديثة حول نواة المدينة، وفى الغالب تشمل المدينة الحديثة تسعة أعشار القديمة من ناحية المساحة، فنجد مدينة الدوحة نشأت أولا كمدينة قديمة تقع على الساحل مباشرة، ويعمل سكانها بالصيد ويقيمون فى أكواخهم بجوار الساحل ولهذا فإننا نلاحظ ما يلى[3]:

1 - ارتبط إنشاء مدينة الدوحة بالنشاط البحرى الذى كانت تمارس من خلاله قديماً حرفتى استغلال موارد البحر الطبيعية والتجارة.

2 - مواجهة الدوحة للجبهة الشرقية التى تطل على سطح متسع لمياه الخليج العربى من ناحية والذى يرتبط بدوره مع سطح المحيط الهندى عبر مضيق هرمز وخليج عمان من ناحية ثانية.

3 - سهولة وصول سفن الصيد والتجارة لعمق مياه الخليج العربى أمام سواحلها نسبياً وخلو منافذها من الشعاب المرجانية إذا ما قورنت ببقية أجزاء الساحل القطرى.

4 - أصبحت مدينة الدوحة على قوس ساحلى يوفر الحماية للسفن من رياح الشمال.

5 - يتميز ظهر مدينة الدوحة بمياه الشرب مما ساعد على نشأتها.

اشتهرت البدع كعاصمة لقطر والتى أسسها أفراد من قبيلة «السودان» المهاجرين من أبوظبى فى ساحل عمان وكانت مزدهرة ولكن المنازل ضيقة وصغيرة ويفصل بين الأزقة ممرات معتمة، وبها مركز لتجارة اللؤلؤ الرئيسى، ووصف «وليم بلجريف» الذى زار البدع عام 1863 بقوله:

«إنها عاصمة بائسة لإقليم بائس- قطر- وتوجد فى البدع قلعة ضخمة ومربعة لها من النوافذ الصغيرة والمداخل الضيقة وخاصة الأبواب، وتنتشر البيوت تحت ارتفاع القلعة وبها سوق طويل ضيق وغير نظيف، وفيه من التجار البحرينيين عدد ليس بقليل، ومجموعة من أصحاب المهن يؤدون أعمالهم فى نطاق ضيق، وتتألف البدع من كتل من البيوت الصغيرة والشوارع الضيقة تقسمها صفوف غير منتظمة، ويبلغ أقصى عدد سكانها عندما ينزلون من القوارب ويتكاثرون فى المدينة حوالى ستة آلاف نسمة، ويستطيع المرء فى مكان البيوت أن يرى نساء الصيادين وأطفالهم وهم كثيرو الضجة، وفى الرجال قسوة وقلة عناية بالملابس، وسّكان البدع ليسوا قليلى الكرم أو اللطف، وكأنهم أناس مشغولون حقيقة بأمور أكبر من المجاملة، ويبدو على الرجال أثر البقاء الطويل والمكابدة لأسابيع وشهور منعزلة على سطح البحر حتى ليبدو على وجوههم ما يشبة الذهول والدهشة(4)».

أنشأت قبيلة البوعينين مدينة الدوحة التى يفصلها عن البدع حى صغير عرف بالدوحة الصغيرة أو الدويحة، وكان حياً صغيراً تسكنه جماعات من البحارنة والهولة الإيرانيين. وهى تقع على خليج جميل سميت به، وقد كانت تعرف لدى البدو باسم دوحة قطر، تمييزاً لها عن دوحات أخرى فى قطر، ويصف «بلجريف» الدوحة بقوله:

«إنها تبعد قليلاً عن البدع وفى نصف حجم البدع تقريبا، وهى واقعة على مدخل أو شق البدع البحرى على خليج صغير وبيوت الدوحة أخفض وأبسط من بيوت البدع، والسوق أشد ضيقاً، وعلى قمة المرتفع المحيط بها، توجد قلعتان إحداهما على رف صخرى مجاور، والأخرى داخل البلدة نفسها».

نجد المبانى بسيطة وصغيرة متلاصقة مبنية بالحجارة والطين والجص والأخشاب والجدائل النباتية، وذلك حسب مكانة ودخل ومستوى صاحب المنزل، والجص كان يجلب أحجاره الكلسية من أطراف الدوحة ثم ترص على شكل هرمى، تترك أسفله فراغات تشتعل فيها النار باستعمال الأخشاب حتى تستوى تلك الحجارة، ثم تدق بمضارب خاصة حتى تصبح بيضاء ناعمة، وبعدها تستخدم

فى البناء، وبالطبع لـم تكن الدوحة تخلو مـن بعض المبانى المميـزة مثل القلعـة وبعض منازل الميسورين مـن السكان أو الشيوخ والوجهاء، منازل هؤلاء غـالباً ما كانت ترتفع إلى طابقين بطراز عربى إسلامى تميزت به مدن شرق الجزيرة العربية، وتزين مـعظم جدران الغـرف بنقوش إسـلاميـة جمـيلة، فى حين البـعض يزين الأسقف بطريقـة خاصة، وترص أعود «البامـبو» التى تجلب من شرق أفـريقيا فى موسـم الشتـاء. أما النـوافذ فـتحلى بأنصـاف الدوائر التى تعلو فوقهـا بالزجاج الملون[5]، ويبلغ عدد المنازل فى الدوحة ثلاثة آلاف وخمسمائة منزل[6].

أحياء الدوحة:

تخضع قبائل الدوحة مباشرة لشيوخها، فالنمط القبلى هو النموذج السائد، وبعد أن استـقـرت تلك القبـائل، توزعت على شكل عـائلات ممتدة وفى أحـياء تخضع لهـا وتسمى باسمـها، وكان شـيخ كل قبيلة بمثـابة رئيسهـا والعقل المدبر لشؤونها، وتخضع القبيلة كلها لإرادته وتأتمـر بأمره، ومنطقة نفوذ كل قبيلة تسمى «الفريج» أو «الفـريق» أى الحى. ومن الملاحظ أن قبـائل الحضر هى القـبائل التى كانت تقيم على الساحل وتشتغل بالتجارة والغوص وصيد الأسماك[7].

تنقسم الدوحة إلى تسعة أحياء أو ضواحٍ، ويقطنها قبيلة أو جماعة أو عائلة كبيرة وتبدأ من الشرق إلى الغرب والشمال وتمتد الواجهة الكلية على البحر حوالى ميلين تقريبا[8].

1 - آل بن على:

يقع على «راس التسعة» وهو رأس مرتفع إلى البـحر عند نهاية الحد الشرقى للمدينة، ويسكنه آل بن على، وقد استمد المكان اسمه منهم.

2 - السلطة:

يقع على رأس التسعة أيضا، وسميت باسم السلطة، وهم السكان الرئيسيون فى الحى، الذى يوجد فيه بعض «المقابيل».

3 - المرقاب الشرقى:

مجاور لحى السلطة، ومتصل به، وأغلب السكان من «المعاضيد» و «المنانعة» والسلطة.

4 - الدوحة:

تجاور المرقاب الشرقى دون فاصل بينهما، أنشأها بعد البدع «آل بوعنين» الذين نزحوا فيما بعد إلى الوكرة، والسكان الحاليون هم من الهولة الإيرانيون والمعاضيد و«إيرانيون» ويوجد أيضا آل بن على والبحارنة الإيرانيون والدواسر، وفى هذا الحى يوجد السوق الرئيسى ويتكون من خمسين دكانا ومنازل حجرية للعائلة الحاكمة من آل ثانى.

5 - الدويحة:

تفصلها عن الدوحة مسافة قصيرة وبها مقبرة، ويسكنها البحارنة والهولة من الأصول الإيرانية وقبائل عربية، وهذا الحى كان معروفا فى السابق باسم الدوحة الصغيرة.

6 - قلعة العسكر:

تقع نحو الداخل من الدوحة وهى أصلا جزء منها يقع على مكان أكثر ارتفاعا وتوجد فيها قلعة الدوحة التى يسميها العثمانيون قصر «كنارة» وكان يسكنها عسكر المشاه العثمانيين وبعض الرسميين...

بناها أصلا آل مسلم عام (1850) تقريبا بعد أن جاء بهم شيخ البحرين إلى الدوحة ليوازن بهم قبيلة السودان الكثيفة العدد فى البدع.

7 - المرقاب الغربى:

يمتد على طول الشاطئ مكونا فتحة يبلغ طولها حوالى ستمائة ياردة فى واجهة المدينة.

8- البدع:

منفصل عن قلعة العسكر بواسطة المرقاب الغربى، وهو أقدم الأحياء وقد أسسه أفراد قبيلة السودان المهاجرون من ساحل عمان، وهى مجموعة من حوالى مائة وخمسين منزلا يسكنها بصورة دائمة السودان فى ثمانين منزلا، وبقية السكان وهم البواكرة فى عشرين منزلا والعمامرة والهولة الإيرانيون وبنوياس والزنوج.

9- الرميلة:

منفصلة عن البدع ويبلع طوله حوالى مائتين أو ثلاثمائة ياردة، وعلى بعد ميل واحد خلف الرميلة يوجد «الشوع» وهو رأس صغير يكون الحد الشمالى الغربى من المدينة مثل رأس التسعة الموجودة فى الحد الشرقى، ويحتوى الرميلة على حوالى مائة منزل ويسكن البعض منها الشيخ خليفة الابن الأكبر لقاسم بن ثانى وأتباعه، وبعض من المعاضيد.

التكوين الاجتماعى لسكان الدوحة:

تعتبر الدوحة كغيرها من مدن شرق الجزيرة العربية فى تكوينها السياسى والاجتماعى التى نمت حول نواة صغيرة على شاطئ الخليج العربى شبه مهجور، عندما نزحت إليها بعض القبائل العربية من آل مسلم أحد فروع بنى خالد، حكام شرق الجزيرة العربية، فكانت النواة التى التف حولها التشكيل السياسى الذى أخذ ينمو من النواة الصغيرة إلى المدينة إلى المشيخة، أو كما يسمى مشيخات المدن، والتى سيطرت عليها بعض الأسر من التجار ممن جمعوا ثرواتهم من عمليات النقل والتجارة، وسرعان ما مكنها ذلك إلى جانب العصبية القبلية من مقاليد الحكم، فكونت أسرة حاكمة لا تزال أنظمتها قائمة إلى اليوم مثل آل الصباح وآل خليفة وآل ثانى وآل بوسعيد والبوفلاح والبوفلاسة وغيرها.

يتكون المجتمع فى مشيخات المدن فى شرق الجزيرة العربية كالكويت والبحرين والدوحة ومشيخات ساحل عمان، من القبائل البدوية التى تنقسم إلى ثلاث مجموعات متمايزة، وهى:

1 - قبائل الحضر ويسكنون فى داخل المدينة.

2 - قبائل البدو الذين يسكنون في ضواحي وأطراف المدينة.

3 - القبائل التى تسكن خارج المدينة، وهى معظمها من القبائل الرحل غير المستقرة، ولكنها فى الغالب تزور مدينة الدوحة فى فترات مختلفة وتستقر فيها لفترات مؤقتة حسب ظروفها واحتياجاتها الآنية.

فالبدو كانوا يمثلون العنصر الدينامى للحركة، وكان ترحال البدو الموسمى، والانتشار والتباعد المكانى وحركة البدو الدائمة بين مدينة الدوحة والبادية، ولم تكن هناك فواصل حادة بينهما، بل كان هناك تداخل مستمر يرتكز أساسا على روابط اقتصادية بحكم العلاقات الاجتماعية إضافة إلى روابط القرابة والنسب.

يرجع البناء السكانى لمدينة الدوحة إلى القبائل العربية الحجازية واليمانية[9]، أى العدنانية والقحطانية التى هاجرت من اليمن والحجاز، ولها أفخاذ وبطون منتشرة فى شرق الجزيرة العربية ويمكن تقسيم القبائل العربية إلى قسمين الحضرية والبدوية.

أولا: القبائل الحضرية:

أهمها آل بن على، وهى القبيلة التى تنتمى إليها الأسرة الحاكمة الحالية التى يرجع نسبها إلى آل ابن على وإنها ليست من الأسر الكبيرة، كما تعد قبيلة البوكوارة من القبائل الحضرية فى الدوحة، وفيما يلى أهم القبائل الحضرية[10]:

آل بن على:

تعتبر من إحدى كبريات القبائل العربية الكبيرة العدد إلى حد ما، ويوجدون فى البحرين فى مدينة المحرق، حيث لهم هناك أربعون منزلاً، وفى مدينة «الحد» لهم مائة منزل، أما فى قطر فباستثناء «المعاضيد» فإن عددهم يقدر بحوالى ثلاثمائة وخمسين أسرة، وفيما يلى الفروع الرئيسية وفروع الفروع طبقا لأصدق المعلومات الى حصلت عليها السلطات البريطانية فى تلك الفترة من آل بن على، ولكن ليس

من المؤكد أن كل الفروع المحددة تنتمى من حيث الأصل إلى تلك القبيلة، وهناك من الأسباب ما يدعونا للاعتقاد بأن بعضهم يمثلون قبائل منفصلة، ثم حدث أن صار بينهم ما يشبه التآخى، وفيما يلى هذه البطون والفخوذ لآل على:

البطن	الفخذ	الأسرة	ملاحظات عن الأسرة
آل سالم	آل بن لحدان	آل غانم	وهم فى الدوحة والبحرين
آل سالم	آل لحدان	آل بن هتمى	وهم فى الدوحة والبحرين
آل سالم	آل بن لحدان	آل طريف	وهم فى الدوحة والبحرين
آل سالم	المعاضيد	آل على	وهم فى الدوحة
آل سالم	المعاضيد	عسيربين	وهم فى الدوحة
آل سالم	المعاضيد	آل فضل	وهم فى الدوحة
آل سالم	المعاضيد	آل مقبل	وهم فى الدوحة
آل سالم	المعاضيد	آل مقبل	وهم فى الدوحة والبحرين
آل سالم	المعاضيد	آل سلامة	انقرضت عام (1905)
آل سالم	المعاضيد	آل طلح	وهم فى الدوحة
آل سالم	المعاضيد	آل ثانى	وهم فى الدوحة
آل بوشبوق	آل سالم		وهم فى الدوحة
آل شظيب	آل بن درباس	آل بن درباس	وهم فى الدوحة

لا تعتبر قائمة أسرة المعاضيد التى سبق ذكرها أعلاه كاملة، ويقال إن بعضًا من آل شظيب يقيمون مع جماعة المناصير فى ساحل عمان، وأن أحد أفراد أسرة بن درباس قد نجح عن طريق زواجه من أسرة المعاضيد بتولى مشيخة القبيلة والتى شغرت بانقراض أسرة آل سلامة التى تنتمى للمعاضيد.

كثرة تزاوج الفروع وسلالاتها من قبيلة آل بن على من المذكورين، وكذلك الإناث جعل من الصعب على غالبية أفراد القبيلة تحديد الفرع الذى ينحدر منه على وجه الدقة، ويبلغ عدد أفراد قبيلة آل على الذين يدعون صلتهم بالمعاضيد حوالى أربعة آلاف وخمسمائة نسمة وترفع أسرة المعاضيد وحدها باستثناء آل بن على أعلاما فوق قواربهم ذات شكل مميز بخمسة خطوط حمراء متبادلة مع خمسة خطوط بيضاء، ويسمى هذا العلم بالعلم السليمي، كما تسمى القبيلة باسم آخر هو آل سليم.

الحرفة الشائعة بين قبيلة آل ابن على هى صيد اللؤلؤ والاتجار به وزراعة النخيل، ومنهم ملاحون يجوبون جميع أنحاء الخليج العربى، ومناطق أبعد منه وليس بينهم من جماعة من البدو الرحل وهم سنيون من أتباع المذهب المالكى.

هناك مراجع مختلفة تدعى أن آل ابن على ينسبون إلى قبائل قحطانية من اليمن وليست عدنانية من الحجاز، وإنما من قبيلة الخليفات وأن الغالبية العظمى من آل ابن على فى البحرين حيث إن الخلفيات قدموا مع العتوب فى عام 1783، ومنذ ذلك الحين وهم مرتبطون بهذه القبيلة ولكن بصفة ثانوية، وهاجر عدد كبير منهم إلى قطر عام 1894 هربا من ظلم البحرين آنذاك، وهناك عداء متحكم بين آل ابن على والعمامرة للمشاكل التى وقعت بينهما.

آل عينين:

يتفرع آل العينين من فخذ آل صبيح من قبيلة بنى خالد المقيمين فى قطر والبحرين، ويملكون فى الدوحة أربعمائة منزل وهم من المالكيين السنيين ويعتمدون فى مصدر رزقهم على صيد اللؤلو وتجارته، وليس بينهم مزارعون إلا جزء منهم يزرع بعض الشىء فى خلال فصل الشتاء، وهم الذين أسسوا مدينة الدوحة فى أوائل القرن التاسع عشر، ولكنهم أخرجوا منها عام 1828 إلى «الرويس» و«فويرط» وفى النهاية أقاموا فى «الوكرة» ولكن هناك أعداد لا بأس بها فى الدوحة.

الخليفات:

مفردها خليفي، وهي قبيلة عربية تعيش في كل من قطر والبحرين ويعودون في نسبهم إلى بني عبيدة في اليمن، وهم سنيون على مذهب الإمام مالك، ويعملون بصيد وتجارة اللؤلؤ، كما يعمل بعضهم في رعي الماشية، ويضرب معظمهم خيامهم خارج الدوحة في موسم الشتاء ومعهم مواشيهم، أما في الصيف فيعودون إلى الدوحة ويعملون في صيد اللؤلؤ تاركين قطعانهم في رعاية البدو.

المناعة:

مفردها مناعي وهي قبيلة عربية حضرية، تتكون من غُواص وتجار اللؤلؤ في البحرين وقطر، ولهم عشرة منازل في الدوحة وهم على مذهب الإمام مالك.

وهناك قبائل أخرى عربية مثل «البوكوارة» و«العمامرة» و«آل مسلم» و«البقالة» و«الكبيسة» و«السودان».

ثانيا: القبائل البدوية:

عرفت بعض القبائل طابع الاستقرار الموسمي سواء في الصيف أو في الشتاء، كما أن بعض أفرادها استقروا بشكل دائم في الدوحة وأهم هذه القبائل بنو هاجر، والمناصير والمرة والنعيم.

أولا: بنو هاجر:

تعتبر قبيلة بنو هاجر من القبائل اليمنية الكبيرة والقوية وهي تتفرع إلى ثلاثة فروع بين الدوحة والقطيف ،الهفوف، ولكل فرع شيخها الخاص بها وفرع يقيم بعض أفرادها بشكل دائم في الدوحة والبعض الآخر من البدو تأتي إلى الدوحة في فصل الصيف لتعمل في الغوص على اللؤلؤ.

يبلغ أفراد بني هاجر في البدع حوالي مائتي رجل مقاتل وشيخهم سالم بن شافع، ويبدو أنهم استقروا بشكل دائم، فلهم منازلهم، ولهم غواصون يعملون في مغاصات اللؤلؤ، وإضافة إلى ثلاثمائة هاجري آخر، يقيمون في خيامهم

بجوار البدع تحت قيادة شيخهم محـمد بن شافع، ويقول المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العـربى بأن الهدف من الاحـتفاظ بكل هؤلاء المقـاتلين من قبـيلة بنى هاجر برغم التكلفـة الكبيرة من المال والطعام هو تمكين الشـيخ قاسم بن ثانى من مهـاجمة مـدينة الزبـارة التـابعـة لشيـخ البحـرين فى الشـمال الغـربـى من شبـه الجـزيرة القطـرية[11].

المناصير:

مفردها منصورى، وهى قبـيلة بدوية نزحت من اليمن إلى أبوظبى، تتراوح إقـامتـها بـين قطر وأبوظبى وهى على اتصـال مع بنى هاجـر وآل مرة، ومـعظم المناصير يقضون الشتاء فى قطر ويرتادون الدوحة فى هذه الفترة ويضربون بخيامهم فى أطراف المدينة، ويقضون الصيف فى ليوا بإمارة أبوظبى فى ساحل عمان.

يعتبر المناصير من المجموعـات الهناوية العمانية سياسيا وعلى المذهب السنى للإمام مالك، وهم متحفظون إلى حد كبير فى اختلاطهم مع سكان مدينة أبوظبى وشيخها على عكس اختلاطهم مع سكان مدينة الدوحة وشيخها.

توجـد قبائـل أخرى مثل الـنعيم الذين جـاءوا من اليمن إلى البـريمى فى عمان، وكذلك بنو مرة التى تبلغ عدد أفرادها ستمائة شخص، وبعض العوا:م من الإحساء.

الأقليات فى الدوحة:

توجد أقلية كبيرة من الإيرانيين تحـت ثلاثة أسماء لطوائف معروفة فى شرق الجزيرة العربية، وخاصة فى الدوحة.

أولا: الإيرانيون:

هم الذين هاجروا من إيران ويعيشون فى الكويت والبحرين والدوحة ومدن مشيخـات ساحل عمان بعادات وتقاليد إيرانيـة محتفظين بقوميتـهم الفارسية بكل أبعادها ويبلغ تعدادهم فى الدوحة ثلاثمائة شخص يقيمون فى حى الدوحة.

ثانيا: البحارنة:

هم من الإيرانيين الشيعة الذين استوطنوا بعد هجرتهم من إيران وأخذوا جنسيات عربية لمشيخات مدن شرق الجزيرة العربية، ويتحدثون باللغة العربية مع اللهجة الخاصة بهم ومحتفظون بمجتمعهم الفارسى الشيعى فى مناطقهم وأحيائهم ولا يخالطون المجتمع العربى.

يعمل البحارنة بالتجارة ويسيطرون على أكثر من نصفها إن لم يكن معظمها، فى حين يتقاسم الباقى إخوانهم الهولة ولا يتعدى نسبة التجار العرب (10٪) ويبلغ تعداد البحارنة فى الدوحة حوالى ثلاثمائة شخص فى وسط المدينة وفى الحى التجارى.

ثالثا: الهولة:

يقول البعض إنهم من القبائل العربية التى سكنت الساحل الفارسى منذ مئات السنين ثم عادوا إلى مشيخات فى شرق الجزيرة العربية، وكلمة هولة هى تحريف لكلمة حولة أى الذين تحولوا أى انتقلوا ونزحوا ثم هاجروا من ساحل فارس إلى الدوحة وبقية مدن شرق الجزيرة العربية مثل الكويت والمنامة ودبى.

لكننا نرى عكس ذلك، فالهولة هم الذين تحولوا من إيران، وهم إيرانيون، إلى الاستيطان فى المناطق العربية وإنهم ليسوا عربا وإنما «إيرانيون» بكل أبعاد الكلمة، كما لا نجد أدلة ثابتة على انتمائهم للقبائل العربية، ولم يكن لهم وجود فى القرنين الماضيين فى جنوب فارس، فى حين أن القبائل العربية الموجودة فى جنوب فارس معروفة بأصولها العربية مثل قبائل بنى كعب والنصور والمطايش وغيرهم من الأسماء العربية منذ أكثر من أربعة أو خمسة قرون دون أن يفقدوا قوميتهم أو هويتهم أو عاداتهم أو أسماءهم العربية برغم إقامتهم وسط القومية الفارسية المتعصبة وحافظوا على عروبتهم لهذه الفترة الطويلة وما زالوا متمسكين بعروبتهم برغم تخلى العرب عن مساعدتهم وخاصة بعد الغزو والاجتياح الإيرانى لعربستان عام 1925. وكذلك «لبوشهر» وميناء «ريق».

أما الأسر التى تطلق على نفسها أسماء مثل آل منحرد وآل نعمة وآل درويش والمرازيق والعبادلة والحوسنى وغيرهم من الهولة، ليس لهم أى ارتباط بالقبائل العربية المعروفة، والحقيقة أنهم من الإيرانيين ذوى المذهب السنى كانوا يعيشون فى وسط الهضبة الفارسية، وعندما تحولت هذه الدولة إلى المذهب الشيعى رسميا بعد قيام الدولة الصفوية، بدأ اضطهاد السنة فتحولوا إلى الجنوب فى المناطق البعيدة والنائية على الساحل الشرقى للخليج العربى والتى تفصلها عن الهضبة الفارسية فى شيراز وأصفهان وطهران جبال حجزت عن الشيعة الذين لم يكن نفوذهم قد امتد بطريقة فعلية ومباشرة على القبائل العربية التى كانت تحكم فعليا جنوب فارس مثل بنى كعب فى عربستان والنصور فى بوشهر وبنى معين فى جزيرة قشم إضافة إلى الحكام من الفرس السنة فى بقية مدن وموانئ جنوب فارس(12).

تحولوا بذلك من وسط إيران إلى جنوبها بعدما هربوا من التشيع، ثم تحولوا إلى الكويت والمنامة والدوحة ودبى والشارقة ذات المذهب السنى عندما بدأت السلطات الإيرانية تفرض نفوذها المباشر على السواحل الفارسية فى القرنين الماضيين، وازدادت هذه الهجرة بعد تشجيعها من قبل السلطات الاستعمارية البريطانية لإذابة العنصر العربى فى المحيط الفارسى وخاصة بعد ظهور النفط فى كياناتها إضافة إلى الأطماع التى كانت لشاه إيران فى التوسع، كل ذلك سهل إقامتهم بمبررات مختلفة.

كما نجدهم برغم إقامتهم الطويلة إلى يومنا الحاضر أى أكثر من مائة عام فإنهم ما زالوا متمسكين بالقومية الفارسية من عادات وتقاليد ولغة، ولم تظهر أية علامات تدل على انصهارهم أو اندماجهم فى المجتمع العربى برغم ما يدعون أنهم كانوا عربا !!! فأين هى العروبة الآن؟ ويبلغ عددهم فى الدوحة ألف شخص فى حى الدوحة والبدع، أما الآن فهذا العدد تضاعف بشكل كبير نتيجة للهجرة التى أعقبت ظهور النفط فى قطر، ومشيخات الخليج العربى.

التجار الهنود:

يوجد فى الدوحة مجموعة من التجار الهنود من طبقة «البنيان» الهندوس، وهم من رعايا بريطانيا وكانوا قد رفضوا دفع الضرائب المفروضة عليهم، وقدموا شكوى للمقيم السياسى البريطانى فى بوشهر، وعبروا فيها عن رغبتهم بترك الدوحة معللين بأن شيخها اغتصب منه بعض الأموال.

بعث شيخ الدوحة برسالة إلى المقيم السياسى البريطانى فى بوشهر جاء فيها بأنه جمع بعض الأموال بهدف حمايتهم وأملاكهم من اللصوص منعا للإساءة، وقال أنه يجمع مثل هذه المساهمات من جميع الناس ثم أردف قائلا:

وفى المستقبل وإذا وافق «البنيان» (التجار الهنود) أن يدفعوا لى مثلما أجبى من رعاياى فسوف يسعدنى الإبقاء عليهم وحمايتهم، وإلا فليس بوسعى أن أنفق مالى على حماية «البنيان» من البدو وسواهم[13].

بعث المقيم السياسى البريطانى العقيد «روس» برسالة إلى حكومة الهند جاء فيها: بأنه يرى أن وجهة نظر محمد بن ثانى معقولة وعادلة، وأنه ما من سبب كما قال شيخ الدوحة يبرر إعفاء هؤلاء التجار من دفع نفس الضرائب التى تجبى من سكان البدع. غير أن «روس» مضى يقول: إنه وإن كان لا يشك فى إخلاص وعود محمد بن ثانى، إلا أنه يخشى من أن ينال هؤلاء بين الحين والآخر إزعاج على بدو قاسم بن محمد أو ربما الحاكم العثمانى المحلى. ولهذا فمن المحتمل أن يصبح به المنصوح به ذات يوم أن يرتحلوا عن البدع، وأقترح إعلام هؤلاء الهنود بمقترحات ووعود محمد بن ثانى والتوصية إليهم بأن يعيدوا النظر فى طلبهم الرحيل. وفى حالة إصرارهم على أن يرتحلوا فهو سيرغب إليهم أن يحددوا فترة ينهون خلالها تصفية مصالحهم وعندها ترسل إليهم سفينة لنقلهم[14].

لاحظت حكومة الهند لدى استلامها تقرير المقيم السياسى فى الخليج العربى ما يلى:

بالإشارة لما اقترحته من مخاطبة التجار الهنود فى البدع بشأن مقترحات ووعود محمد بن ثانى فخامة الحاكم لا يرى بأن من الواجب على حكومة الهند أن تنصح هؤلاء التجار بالرحيل عن البدع أو البقاء فيها، وإذا هم آثروا البقاء فعليهم أن ينصاعوا للقوانين والضرائب المحلية وعليك أن تخبرهم ببساطة أن من واجبهم أن يقرروا ما يحلو لهم فى موضوع البقاء والرحيل[15].

توزيع سكان الدوحة:

يقدر عدد سكان مدينة الدوحة بحوالى اثنى عشرة ألف نسمة بما فيها القوات النظامية العثمانية البالغ عددها ثلاثمائة وخمسين رجلا، ويمكن توزيع السكان حسب سكان القبائل لضواحى مدينة الدوحة[16]:

اسم القبيلة أو الجماعة	عدد أفرادها فى الدوحة
آل بوعينين	2000 فى الدوحة والوكرة.
آل بن على	1750 فى الدوحة والوكرة.
العمامرة	100 - 200 موزعون فى أحياء الدوحة.
لجديين	500 موزعون فى أحياء الدوحة.
المقابلة	50 موزعون فى أحياء الدوحة وبوجه خاص فى «البدع» و«السلطة».
الدواسر	150 موزعون فى أحياء الدوحة.
الحميدات	250 موزعون فى أحياء الدوحة.
الخليفات	850 موزعون فى أحياء الدوحة.
الكبيسة	700 موزعون فى أحياء الدوحة.
البوكوارة	2500 غادروا الدوحة إلى المدن القريبة ولم يبق منهم سوى مائة شخص فى البدع.

المعاضيد ومنهم آل ثاني 500 في الدوحة وأحياء «المرقاب» الشرقي والرميلة.

المضاحكة عدد قليل في الدوحة.

المهاندة 2500 معظمهم استقروا في «الخور» و«الذخيرة».

المنانعة 50 موزعون في الدوحة وخاصة في حي «المرقاب» الشرقي.

آل بن مقلة 50 موزعون في الدوحة.

آل مسلم 40 موزعون في الدوحة وشيخهم صالح.

السادة 350 موزعون في الدوحة.

السودان 400 في حي «البدع» وشيخهم خالد وأخوه الشيخ سلطان.

السلطة 3250 يسكنون في أحياء «السلطة» و«المرقاب» الشرقي وشيخهم حسن بن بخيت.

بنو ياس 50 منتشرون في مختلف أحياء الدوحة وخاصة «البدع».

العبيد المعتقون 1000 منتشرون في مختلف أحياء الدوحة.

العبيد الذين لا يقيمون 2500 منتشرون في مختلف أحياء الدوحة مع أسيادهم.

العبيد الذين مع أسيادهم وقد حسب عددهم ضمن القبائل التي تملكهم.

الإيرانيون 300 في الحي التجاري بوسط المدينة.

البحارنة 300 في الحي التجاري بوسط المدينة.

الهولة 1000 في الحي التجاري بوسط المدينة.

الهنود عدد قليل في الحي التجاري بوسط المدينة.

الأوضاع الاقتصادية:

تقتصر الحياة الاقتصادية لسكان الدوحة على النشاط البحرى والصحراوى، ويعتبر النشاط البحرى وما ينتج عنه من المهن والأنشطة، مصدر الدخل القومى الرئيسى ممثلا فى الغوص على اللؤلؤ والنقل البحرى وصيد السمك وصناعة السفن وقد قال محمد بن ثانى للرحالة البريطانى «بلجريف» عام 1862: «إننا جميعا من أكبرنا إلى أصغرنا عبيد لسيد واحد هو اللؤلؤ».

يبلغ عدد سفن صيد اللؤلؤ لسكان الدوحة حوالى ثلاثمائة وخمسين سفينة إضافة إلى ستين مركبا عاملا فى البحر، ويبلغ عدد الرجال العاملين على تلك السفن، حوالى ستة آلاف وثلاثمائة رجل.

تعتبر صناعة النقل البحرى الرافد الثانى لصناعة صيد اللؤلؤ، ويقوم البحارة فى فصل الشتاء بالنقل البحرى فى موانئ الخليج العربى وشرق أفريقيا والهند ويبلغ عدد السفن العاملة فيها مائة وأربعين سفينة وعليها عدد كبير من الملاحين مما نتج عنه حركة اقتصادية نشطة فى ميناء الدوحة.

جاءت صناعة صيد السمك فى المرتبة الثالثة من حيث الدخل القومى وبلغ عدد سفن الصيد أكثر من تسعين سفينة، ولم تكن صناعة السفن الكبيرة معروفة فى الدوحة، وإنما كانت بسيطة وخاصة السفن الصغيرة والتى يصنعها نجارون من البحرين والبعض من سكان الدوحة، ومعظم السفن القطرية تتم صناعتها فى البحرين وغيرها من موانئ شرق الجزيرة العربية، وكانت أشهر أنواع السفن المستخدمة هى السنبوك والبتيل والبقارة والشيوعى والبوم[17].

يقول بلجريف الذى زار فى تلك الفترة: «وفى هذا الخليج العربى تلتقى بأحسن صيادى اللؤلؤ وأكثرهم إنتاجا فى الخليج، كما نلتقى بفيض زاخر يفوق التصور من الخيرات المتنوعة والمتعددة التى يمكن أن يأتى بها البحر، إذن فمن البحر وليس من اليابسة يحصل مواطنو قطر على ما يقيم أودهم من خلال خوضهم فى

مياهه طوال نصف العام بحثا عن اللؤلؤ ثم قـضاء النصف الآخر فى صيد السمك والتجارة ومن ثم فـالمنازل الحقيقـية لهؤلاء القوم ليسـت سوى ذلك العدد الذى لا حصر له من القوارب التى يزخر بها المرفأ الوديع التى تصطف على الساحل، ومن الطبيعى أن تقل العناية بالأكواخ التى يتخذونها مسكنًا لهم على اليابسة.

تمخض عن مهنة الغـوص التى تستمر أربعة أشـهر تقريبا نشاط اقـتصادى، فمن الناحـية التجـارية يبدأ الطواشـون بعد انتهـاء موسم الغوص بـبيع اللآلئ فى الأسواق المحـلية أو السـفر إلى الهند، مما يؤثر ذلك على حـياة الأسـرة وفى نمط المعيشة، ومن الناحـية الحرفية ظهرت صناعـة السفن ويطلق على العاملين فى هذا المجال القلاليف ومفردها قلاف وتعنى النجار[18].

هى من الحرف اليدوية والوراثيـة المنتشرة فى سواحل شرق الجـزيرة العربية، وهناك عـائلات متـخصصـة فى هذا المجال، وتـتوارثها أبـا عن جد ومن أشـهر القلاليف فى الدوحة «البوجسوم» وهـم معروفون بأنهم أحسن من يقوم ببناء السفن وترميمها.

ظهرت فئـة جديدة وهم تجار الأخشاب الذين يستـوردون الأخشاب وأدوات بناء السفن، ويبيعونها فى مخازن قرب الساحل وفى قلب الأسواق، ويطلق عليهم «العماير»، ومفردها عمارة، كمـا أدت صناعة الغوص إلى عملية تدوين الحسابات وتقسيم الأرباح بيـن العاملين ومنها ظهر دفتـر القماش أى حسـابات اللؤلؤ ودفتر المصاريف ودفـتر التسـويدة ودفتر اليـومية ودفـتر البحـارة وفى هذه الدفاتر تدون الحسـابات الجارية وجـميع المحـاسبـات المالية، وكـذلك ارتبطت حركـة الأسواق والمعاملات التجارية بصناعة الغوص[19].

تزدهر التجـارة قبيل موسم الغـوص وتروج الأسواق لأن العاملين فيـها من الغواصين وغيرهم يقومون بشراء احتياجات أسواقهم من الأغذية والملابس وغيرها فى فترة غيابهم، ومنها انتشر نظام الاستدانة أى ما يستدينه الغواص من النواخذة،

وهذا يعنى أنه يرتبط ارتباطا وثيقا إن لم يكن أبديا بالعمل مع النواخذة، لأن بعض الديون تكون قديمة من المواسم السابقة ولم يستطع سدادها.

يتجه بعض سكان مدينة الدوحة فى فصل الشتاء إلى تربية ورعى الإبل والماشية خاصة الأغنام التى تمثل ثروة قومية لعدم تحول القبائل إلى العمل البحرى إضافة إلى البعض الآخر الذى يجد نفسه بدون عمل بعد انتهاء موسم الصيد فى فصل الصيف نتيجة إلى الرعى بعد ظهور الأعشاب والنباتات فى البر بعد سقوط الأمطار الخفيفة، ويبلغ عدد الجمال حوالى ثمانمائة ومن الخيول حوالى مائة وخمسين، ولم تكن الزراعة موجودة لندرة المياه ولعزوف السكان عنها رغم وجود بعض مزارع محدودة وصغيرة يستخدم فيها بعض العبيد، وتوجد مجموعة قليلة شبه برية من الأشجار، إضافة إلى بعض النخيل.

الضرائب والدخل القومى:

يعتمد الدخل القومى الرئيسى لمدينة الدوحة على صيد اللؤلؤ، ويعمل فيها معظم سكانها، وتبلغ حاصلات اللؤلؤ لسفن الغوص حوالى مليونين وخمسمائة وأربعين ألف قران، ويبلغ ما يستوفيه الشيخ قاسم بن ثانى باسم السلطة (أى ما يستوفيه الشيخ قاسم من سفينة الغوص فى الموسم) والرقابية وزكاة أغنام ورسوم الذبيحة عند الحساب، سبعين ألفا وأربعمائة وثلاثة غرانات[20].

تفرض سلطات الدوحة على مصايد اللؤلؤ أربعة دولارات عن كل نوخذة أو غواص «أوسيب» سنويا، ودولارين عن كل «رديف»، وتعفى بعض القبائل والأسر، وخاصة السودان فى حى البدع، وكذلك سفن أسرة آل ثانى لا تدفع شيئا، وقدر المبلغ الذى يحصل عليه نحو ثمانية آلاف وأربعمائة دولار سنويا، وهو مبلغ ضخم بالمقارنة بقيمته الشرائية فى ذلك الوقت، وهذا المبلغ كان شيخ الدوحة يأخذه لنفسه[21]، والذى كان يملك مائتين وخمسة عشرة سفينة، كما كان أبناؤه يملكون السفن. وقد عمل قاسم بن ثانى فى تجارة اللؤلؤ وكان يقوم برحلة سنوية لبيع اللؤلؤ إلى بومباى، وبلغت ثروته الشخصية ما يعادل مليونى روبية خلفها بعد وفاته عام 1913.

عرف الكابتن «جنرى» قائد سفينة «ماى فرير» عام 1876، معلومات عن الضرائب التى تدفعها مدينة الدوحة كل عام وهو مبلغ يتراوح ما بين تسعة آلاف غران كعوائد للحكومة العثمانية، وبرغم أن هذا المبلغ لم يكن كافيا لتغطية نفقات الحامية العثمانية التى كانت تقوم بأعمال الشرطة لا مهمات عسكرية إلا أن العثمانيين اعتبروها رمزا للسيادة فقط.

تستورد مدينة الدوحة التمور لاستهلاك السكان، وخاصة العاملين فى صيد اللؤلؤ وتستورد الحوائج الضرورية من الخارج مثل الأرز والقهوة والسكر والشعير والأغنام وفيما يلى أهم ما تستورده الدوحة مع قيمة تلك الواردات[22]:

البضائع	عدد الأكياس	القيمة بالغران
أرز من البحرين	20000	1,200,000
قهوة من البحرين	500	20,000
سكر من البحرين	2000	120000
حنطة من إيران	4000	240,000
شعير من ايران	1000	50,000
تنباك من عمان وإيران	1000	20,000
السمن البلدى الثلث من الكويت والبحرين والقطيف والثلثان من إيران.	1000	8,000
كار	1000	15000
المنسوجات والمواد الصناعية والمصنوعات تستورد من الخارج	1000	15000

كما تستورد الخشب من الهند والحطب والفحم من إيران.

أما القطن، والطحين، والشعير، والحبوب، والبصل، والليمون الجاف، والتمر الهندى، والعنب، والزعفران، والهيل، والفواكه المتعددة، كلها تستورد من الخارج وخاصة إيران[23].

القسم الأكبر من الحيوانات التى تذبح فى الدوحة تستورد من إيران، وتستورد الزيوت التى تستعمل فى السفن من الخارج وخاصة الهند[24].

الإدارة السياسية:

حكم شيوخ بنى خالد شرق الجزيرة العربية منذ القرن السابع، وكانت قطر من ضمن ممتلكاتهم تحت فرعهم من آل مسلم، وبعد عشرين عاما من مجىء العتوب والخليفات إلى «الزبارة» أى عام 1766، انتقلت زعامة المسلم إلى الخليفة، وكان اهتمامهم منصبا على البحرين ولم يعيروا اهتماما كبيرا لقطر، وإنما كان لهم ممثل سياسى من أفراد أسرتهم يحكم من البدع فى الدوحة.

تفاوضت الحكومة البريطانية مباشرة مع مجموعة من شيوخ القبائل فى الدوحة عام 1868، ونتج عنه انحسار الحكم المباشر من قبل الخليفة على قطر، واستلام عائدات الزكاة عن طريق بريطانيا التى أصبحت تجمع الزكاة نيابة عن شيوخ البحرين وذلك من خلال المعاهدة التى بين مشايخ قطر وحاكم البحرين فى[25] جمادى الأولى الموافق 13 سبتمبر 1868، تحدد فيها مقدار الزكاة التى تدفع من قطر إلى البحرين، وجاء فيها:

«نحن الشيوخ الموقعين أدناه والذين نقيم جميعا فى منطقة قطر نقر هنا ونتعهد بأن ندفع للشيخ على بن خليفة شيخ البحرين المبالغ السنوية المحددة هنا، والتى كنا ندفعها لشيوخ البحرين على أن تسلم من قبلنا إلى محمد بن ثانى والذى يسلمها فى بوشهر للمقيم السياسى البريطانى الذى يضمن دفعها إلى حاكم البحرين.

1700 غران باسم قبيلة «المهاندة».

1500 غران باسم قبيلة «بو العنين» و«النعيم».

500 غران باسم قبيلة «السماسمة».

500 غران باسم قبيلة «شليب».

1500 غران باسم قبيلة «السودان».

2500 غران من محمد بن ثانى .

800 غران من آل «مسلم»

9000 غران المبلغ الإجمالى.

ونحن الشيوخ المذكورين إذ ندرك أن شيخ البحرين يطالبنا بمبلغ خمسة عشرة ألف غران فى السنة وليس تسعة آلاف غران كما هو مذكور أعلاه، لذلك فنحن نوافق على دفع مبلغ إضافى لا يزيد إجمالى المدفوع عن خمسة عشر ألف غران، والذى ينبغى أن يصدر به المعتمد مرسوما بعد أن يقوم بالدراسة القانونية للموضوع.

وهذا من أهم الأسباب التى دعت فى الدخول تحت السيادة العثمانية للتخلص من دفع تلك الضرائب العالية إضافة إلى حصولها على استقلالها عن قطر وتمتعها بشخصيتها وسيادتها الخاصة تحت الحكم العثمانى.

جاءت القوات العثمانية فى يناير عام 1872 بقيادة الشيخ عبد الله آل صباح حاكم الكويت على السفينة الحربية العثمانية آشور، وتصحبها سفن أخرى إلى الدوحة، وأنزلت قوات برية قوامها مائة جندى مزودين بمدفع كبير من مدافع الميدان وأقامت فى قلعة آل مسلم.

اتخذت هذه الإجراءات بناء على تعليمات من مدحت باشا الذى قام بزيارة الإحساء فى نهاية عام 1871، واستجابة الطلب المقدم من شيوخ الدوحة بحمايتهم

من غارات النجديين من جهة والتخلص من دفع الزكاة والضرائب المفروضة لحاكم البحرين، وكذلك التخلص من اتفاقية الحماية البريطانية التى وقعت عام 1868.

بذلك دخل الشيخ محمد بن ثانى تحت السيادة العثمانية، وبعد وفاته نصب مكانه الشيخ سيف شيخ عشيرة المسلم شيخا وقائمقام، ولكن قاسم بن محمد بن ثانى طلب من سعيد باشا الموصلى متصرف نجد تعيينه قائمقاما بدل من الشيخ سيف المسلم، وأجاب سعيد باشا بأنه إذا لم يتقدم الشيخ سيف المسلم بالاستقالة من منصب القائمقامية فلا يمكنه النظر فى طلب قاسم بن ثانى والذى تمكن بطريقة من الطرق من إقناع الشيخ سيف المسلم بالاستقالة، وعين قاسم بن ثانى مكانه بمعرفة المتصرف سعيد باشا كقائمقام، وعندما علم الشيخ سيف بالمقصد الحقيقى للشيخ قاسم من ترغيبه وتشويقه للاستقالة تأثر كثيرا، ولما لم يتمكن من استعادة القائمقامية اضطر للسكوت، وقد دفع قاسم بن ثانى الضرائب فى بداية مأموريته ثم قطعها.

تدار الدوحة بواسطة قائمقام فخرى والنائب (القاضى الشرعى) ومعاون القائمقام ورئيس الكتاب وطابور من العساكر النظامية العثمانية.

عندما زار الملازم البريطانى «فريزر» رفع تقريرا إلى المقيم السياسى البريطانى جاء فيه:

«توجد قوة صغيرة من الجندرمة العثمانية من خمسين فردا تستقر هنا بقيادة ضابط يدعى قاسم إنما وهو أيضا قاض».

مع أن محمد بن ثانى غير مرتاح من أعباء الرقابة العثمانية وراغب فى تحرير نفسه منها لكنه يتحسب من إظهار أية بوادر علنية على سخطه هذا مما قد ينجم عنه نفيه إلى إسطنبول لأمد غير معلوم.

وإن على قاسم أن يستشير الضابط العثمانى فى كل الموضوعات التى تمس سياسة الشيخ وإدارته، ولا يمكن عمل شىء دون موافقته، ولا شك أن حجب

الصلاحـية بهذا الشكل مزعج جـدا لمحمد بن ثانى وكذلك لوالده الطمـوح قاسم الذى مهما يكن من شأن ترحيبه القبلى بالعثمانيين أول الأمر لا جرم يكون مبتهجا لو أنهم غادروا البلد.

احتفظ العثمانيون فى الدوحة بكتيبـة مشاة نظامية وثلاثمائة وخمسين رجلا ومعهم مـدفعان كبـيران بقيادة ضابط بـرتبة «بمباشى» أو «رائد» وفكر العثـمانيون استـحداث منصب مساعـد قائمقـام، ولكنهـم تخلوا فيمـا بعد، ويقوم القائمـقام العثـمانى الشـيخ قاسم بن ثانى بتـصريف أمور المديـنة، والقضايا الشـرعيـة فإن القاضى المحلى يقوم بالنظر فيها.

كمـا حاول العثـمانيون تعـيين مدير عـثمانى لميناء الدوحـة، إلا أنه صرف النظر، ويتم الاتصال بين الإدارة العثمانـية فى الدوحة والعالم الخارجى عن طريق الرسائل المتبادلة شهريا مع الهفوف فى الإحساء عبر الصحراء[26].

جاء مـتصـرف الإحسـاء إلى الدوحة فى مـايو 1876 على ظهـر السفـينة «إسكندرية» وقابل المسؤولين فـيها ومنهم الشيخ قاسم الذى سبق أن عـينه قائمقام فى الدوحة، وفى نوفمبر من نفس العام حدثت هجرة كبيرة لقبيلة «البوكوارة» من الدوحة إلى الفوريرط نتيـجة لعدم التجانس والتوافق مع القائمقـام العثمانى الشيخ قاسم بن ثانى. وأسرعت السفن البريطانية والعثمانية لتحرى أسباب ذلك.

ظهـر تنافس بين قاسـم بن ثانى ومحـمد بن عـبـد الوهاب فى الفتـرة من (1886 ـ 1887) على قائمقامية فى الدوحة، وسـافر الأخير إلى الإحساء بعد أن اقترح إقامة دار عـثمانية منظمة للعوائد فى الدوحة، ثم عاد ومعـه خمسون رجلا من «الضبطية» أى الشرطة اسـتخدمهم فى موقعة «الغارية» مما أغـضب قاسم فهدد بالاستقالة والانسحاب من الدوحة.

هذا ما أدى إلى تفاقم الاضطرابات عندما هاجم بدو بنى هاجر وقاموا بنهب سوق الدوحـة والبدع، واستـمرت هذه الفوضى حـتى شهر أغـسطس عام 1888

عندما أرسل الباب العالى عددا من الجنود، وقام نصيف باشا والى البصرة بزيارة الدوحة والتقى بالقائمقام قاسم بن ثانى ووعده بلقب ووسام، وأنشأ فى الدوحة مخزنا للفحم ووضع سفينة حربية بشكل دائم فى ميناء الدوحة[27].

حاول الباب العالى من خلال عدة مشاريع إقامة إدارة عثمانية مباشرة، وأصر على تنفيذ المشروع الذى أعده عاكف باشا متصرف الإحساء فى يوليو 1889 من أجل إقامة إدارة عثمانية منظمة ودار للعوائد الجمركية، مما يعنى وقف الموارد المالية غير المنظورة التى يحصل عليها قاسم بن ثانى من فرض الضرائب الجمركية، وقد سبق له أن تنازل عن القائمقائية وانسحب من الدوحة 1887 وهذه المرة أيضا تنازل عام 1889 فور ظهور هذا المشروع، ولكن والى البصرة رفض هذا التنازل، وبدأ الباب العالى فى العمل على تنفيذ المشروع منذ شهر يناير عام 1891 عينت بالفعل مساعدا لقائمقام فى الدوحة، كما عينت مديرا لكل من الزبارة والعديد، وجهزت أربعمائة جندى تمهيدا لإرسالهم إلى الدوحة لتقوية الحامية العسكرية هناك[28].

قبل بداية الحرب العالمية الأولى بدأت بريطانيا تهتم باستعمار قطر، خاصة بعدما نجح ابن سعود فى غزو الإحساء وأصبح قائمقام نجد العثمانى، وجاء فى التقرير الذى رفعه المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى الكولونيل كوكس إلى حكومة الهند البريطانية فى 22 يونيو 1913 ما يلى[29]:

يجب الحصول على أكبر قدر من الفائدة فى ظل الأوضاع الجديدة التى طرأت فى المنطقة والحصول على ذلك من خلال الاتفاقية العثمانية - البريطانية، ولكنها تعقدت المسألة بعد ضم ابن سعود للإحساء فى حين الباب العالى لا يبدى اى بوادر توحى بسحب الحامية من البدع ومن المحتمل أن يكون قاسم راغبا فى بقائها لخوفه من أطماع ابن سعود التوسعية.

يوحى «كوكس»، بعقد معاهدة تعترف بالاستقلال الذاتى للشيخ، وأن تعطى له التأكيدات بحمايته من جهة البحر، وأن تقدم له الضمانات بأن بريطانيا

ستمنع أى هجوم عليه من جهة البر، وفى مقابل ذلك ينبغى عليه أن يستقبل مقيما بريطانيا فى البدع. وأن يسـمح للهنود بالإقامة والتجـارة هناك، وألا يفرض عليه مكوسا أكثر من (50٪)، وأن يتعاون فى المحافظة على الهـدنة البحرية ومكافحة تجارة السلاح وتجـارة الرقيق والقرصنة، كما يجب عليـه ألا يسمح بأى احتكارات أو امتـيازات تجارية بـدون موافقـة بريطانيا، وألا يدخل فى عـلاقات مع أى دولة أجنبية أخرى بدون موافقة بريطانيا، وأن تنشـأ فى البلاد التجهيزات الخاصة بالبريد والبرق ومن المرجح أن هذه المطالب لن تتحقق جميعا دفعة واحدة.

توفى الشيخ قـاسم بن ثانى فى 17 مايو 1913، وخلفه ابنه عـبد الله الذى كان يحكم الدوحة أثناء حيـاة قاسم وتنفيذا لرغبته، ولكنه كان فـى مركز ضعيف بسبب خـلافاته مع إخوته لكونه أصـغرهم، وهذا الضعف استـغلته بريطانيا خـير استغلال، وعقدت معه إتفاقية الحماية فى 3 نوفمبر 1916، والتى بموجبها دخلت قطر تحت حماية الإستعمار المسيحى البريطانى[30].

الأمن الداخلى:

لـم تكن فى الدوحـة الشرطة بالمعنى المفـهوم بل كـانت قوات عـسكرية من الجيش العثـمانى للحماية من الاستعـمار الأوربى وخاصة البريطانى، أمـا بالنسبة لغارات القبـائل والقوى العربية المجـاورة فإن الجيش العثـمانى لم يكن يدخل فى تلك المشاكل باعتبارها أمورا داخلية وصراعات قبلية.

لهذا كـان الشيخ قـاسم بن ثانى يعتـمد على مـجموعـة من أفراد القـبائل المسلحين، والذين لا يـزيد عددهم ما بين سـبعة إلى ثمانيـة آلاف، وهم جميـعا مسلحون بالبنادق الحربية من نوع «مارتين» ويستطيع الشيخ قاسم بن ثانى استخدام العـشائر العـربية فى الدفـاع وفى تنفيـذ خططه عن طريق تجنيـدهم، ويتم جلب الأسلحة وشراءها بمسـاعدة المقيم السياسى البريطانى فى بوشـهر وعن طريق الحاج أحمـد الكبانى الإيرانى، ويتم نقل هذه الأسلحة بالسـفن الشراعيـة إلى الدوحة،

كمـا أن السكان يستطيعون شراء الأسلحة التى تباع عـلانية فى أسـواق الدوحة والبحرين[31].

القلاع:

توجد فى الدوحة قلعتان ضخمتـان إحداهما قلعة الدوحة أو قلعة العسكر، وقد كانت مـركز الحامية العثمانية وبنيت فى الأصل بواسطة قبـيلة آل مسلم عام 1850 تقريبا، وفيها قصر قائمقام الدوحة الشيخ قاسم والأخرى لوالده الشيخ عبد الله الذى أصبح يحكم الدوحة نيابة عن والده.

ترتفع القلعتان تسعة أمتار، وقطر كل واحدة منهـما خمسة أمتار، وسمكها نصف متـر، وفى البدع توجد قلعـة لوالده الآخر وهو الشيخ خليـفة، وتقع على مسافة كيلومترين من القصبة، وفى نفس الشكل أيضا من المتانة والانتظام.

تقع قلعة الحاكم فى نفس مكان الدوحة حاليـا، حيث أعيد بناء هذا القصر فى نفس الموقع السابق، وأمام هذه القلعـة كانت أرض فضاء، وتتميـز القلعة بأنها كانت فى أعـلى موقع فى الدوحة، والبـحر كـان يلامس أطراف القصـر الحالى، ويمتـد إلى قرب مبنى البلدية حـاليا ومركـز شرطة العاصمـة، وينحنى جنوبا إلى سوق «فالح» لترتفع الانـحناءة إلى مسجد القباب فالمرقـاب ثم يعود فينحنى جنوبا إلى متـحف قطر الوطنى حـتى «فريج» حى الخليـفات حيث نـادى الدوحة الآن، والأرض التى أمـام هذا الموقع الآن باتجاه البـحر كلهـا كانت بحرا ودفـنت خلال السنوات الأربعين الماضية[32].

سوق الدوحة:

نظرا لانشغال السكان بالتجارة فإن السوق والميناء يمـثلان منطقتين مركزيتين وتخرج منهمـا الطرق إلى الأحياء وإلى خارج المدينة، ونجد طرق السـفر والقوافل التى كـانت تخرج من المدينة إلى داخل البـلاد عامـلا من عوامل ضبـط اتجاهات بعض الطرق الرئيسية فى المدينة.

تغطى الأسـقف الخشبـية بعض الـطرق فى الأسواق، مثـل سوق «واقف»

القديم بالدوحة وسوق «الحراج» وبعض الأسواق القـديمة المتواجدة بالدوحة حتى الآن، وما زالت متمسكة بالشكل التقليدى القديم الذى كانت تقام على طرازه بقية الأحياء والأسواق(33).

ما يزال قسم من السوق القديم محتـفظا بشكله وطابعه حتى الآن، فقد كان يمتد من الميناء ومبنى الجمارك حاليا والذى كان عـبارة عن مبنى صغير من غرفتين يقع فى الطرف الغربى من مركـز شرطة العاصمة الآن، ليصل إلى مـا قبل «براحة الجفيرى»، وكان ينقسم إلى قسمين الأول ما هو باق حتى الوقت الحاضر، والثانى يمـتد من مـوقع فندق «بسم الله» الحالى جـنوبا إلى تقاطع النجـادة والبحـارنة، ونلاحظ أن أحياء الأقلية الإيرانية من الهولـة والبحارنة، كانت تسكن قريبة إن لم يكن فى وسط المديـنة، أى حـول الأسواق الـتجـاريـة لسـيطرتهـا على النشـاط الاقتـصادى الذى هو عصب الحيـاة فى أى مجتمـع، ولكونها غريبة عن المجـتمع القبلى العربى فإنهـا كانت تسكن قريبة من قلعة الحاكم لحمايتـها من أية اعتداءات من السكان العرب ولهذا السبب لم تكن تسكن فى الأحياء البعيدة من وسط المدينة التى فيها القبائل العربية.

تباع فى الـقسم الثانى من الســوق، الأسمـاك فى الأساس ويفصــل ما بين هذين السوقـين ساحة تمتـد من مسـجد الأحمـد مع سوق سحـيم، وكانت هذه الساحة سـوقا للجمال ومـا تحمله من حطب وسمن ومنسوجـات يدوية وغيرها، ويطلق عليـه سوق واقف، فى حـين كان فى موقع فنـدق بسم الله الحالى مـقهى شعبى، وفى هذه المنطقـة وبالتحديد فى الشارع المحاذى لمسجد الأحـمد غربا كان «الخريس» حيث ميـاه البحر تدخل على شكل لسان تزيد نسبـة الماء فيه وتنخفض حسب عمليتى المد والجزر.

تعـرض فى هذه الأسواق احـتياجـات السكان من البـضائع والمصنوعـات المختلفـة المستـوردة من مدن الجزيرة العـربية والهند وإيران وشـرق أفريقيـا، مثل الأقمشـة «البز» والمواد الغذائية كالأرز والسكر والسـمن والبن والشاى وحب الهيل

والبهارات وغيرها، والحبال والأقفال والمسامير والأخشاب والحطب ولوازم بناء السفن والصيد المختلفة، إضافة إلى محلات الأدوية الشعبية «العطارة» والأطياب والنعل والأحذية والغتر والعقل والخيزران والصباغة[34].

يوجد فى الأسواق الخياطون وندافو القطن وبائعو الأوانى والحلاقون الذين يمارسون الختانة والكى والحجامة وبائعو السلاح والسجاد الإيرانى والحلوى والمصنوعات الجلدية والخبازون والحدادون ومخازن بخاخير التمر.

تنتشر المقاهى الشعبية فى السوق وفى أطرافه وهى مكتظة بالرواد طوال اليوم، والعمارات كانت من أهم المراكز التجارية فى ذلك الوقت، فالعمارة مخزن كبير تباع فيه البضائع الرئيسية مثل الأخشاب المتنوعة ومواد البناء والمواد الغذائية الرئيسية ولوازم بناء السفن وغيرها فالعمارة عبارة عن مخزن كبير لتجارة الجملة الرئيسية اليوم[35].

أقيمت اليوم بعض الأسواق الجديدة محل الأسواق القديمة مثل سوق العسيرى الذى أخذ من الشكل القديم بكونه مغطى ذا سقف، كما أنه تعدى ذلك ببناء من الطوب الحديث ويتكون من طابقين، وبداخله سلم حديث، وللأسف فإن التخطيط المعمارى للمدن فى شرق الجزيرة العربية لم يأخذ فى الاعتبار القيم المعمارية التاريخية والجمالية والسياحية المتوافرة فى المدينة القديمة، بل حل محلها عمران جديد على المنطقة من الكتل الخرسانية التى جاءت مع البيوت الاسشارية الغربية عن طابع المنطقة العربية - الإسلامية والتى لا تقيم وزنا للتراث التاريخى بقدر اهتمامها المادى والتجارى، وبذلك تلاشت تدريجيا الأسواق العتيقة ذات السقوف الخشبية التاريخية[36].

الشوارع:

لم تكن شوارع الدوحة مميزة بشىء عن شوارع المدن العربية القديمة الصغيرة والضيقة وكثيرة الانحناءات والالتواءات، ذلك لأن المنازل كانت بلا تخطيط معين دون أن يحسب فيه حساب المارة والعربات والخدمات العامة، فهى شوارع تمتد على

غير خطة معينة. ونجدها عادة عبارة عن شوارع متباينة الاتساع فيما بين الحارات، لكن الضيق هو السمة الغالبة، وقد نجد الاتساعات الطارئة ثم يعود الشارع للضيق، ويرجع ذلك إلى أن الشوارع والحارات والأزقة لم تسبق بناء المنازل، بل كانت ظاهرة تالية للبناء أى أن المنازل أقيمت أولا ثم وجدت الشوارع تلقائيا بين المنازل المتلاحقة أو المتباعدة المتجاورة أو المتنافرة، وذلك حسب امتلاك العشائر والعائلات للأراضى التى يمتلكها الفريق «الحى». ونجد الشوارع الرئيسية عبارة عن ممرات أو طرق اختراق بين حى وآخر، وتتسع وتضيق حسب تقدم عمران الحى أو تراجع عمران آخر، ولهذا فلم تكن الشوارع الرئيسية وحارات الأحياء والأزقة خاضعة لأى تخطيط، بل هى تتخذ مسارات مختلفة تستقيم أو تلتوى فى شتى الاتجاهات[37].

السفر من وإلى الدوحة عن طريق البر كان صعبا، لقلة المياه والسير على الطرق، وتسير القوافل من الهفوف عاصمة الإحساء إلى الدوحة على خمس مراحل بادئة من آبار «نعيج» فى الإحساء وتمر على آبار «العريق الجنوبى» «فالكرعانة» «فالمكينى» و«السيلية» إلى الدوحة وذلك على أبعاد (20، 12، 15، 6، 14) ميلا على التوالى، أى أن المسافة الطبيعية هى (67) ميلا[38].

الميناء:

تقوم الدوحة على الجانب الجنوبى من خليج عميق فى الركن الجنوبى الغربى لميناء طبيعى، يبلغ طوله حوالى ثلاثة أميال، وهى محمية من جهة الشمال الشرقى بصخور طبيعية، ويبلغ اتساع المدخل أقل من جهة الشرق، ولكنه ضحل بين رؤوس الصخور، وصعب بعض الشيء ولا يسمح برسو السفن ذات الغاطس الأكثر من خمسة عشر قدما وعمق الميناء يتراوح ما بين ثلاث إلى خمس قامات وطول الميناء ثلاثة أميال ونصف وعرضه ميل، وهى منتظمة والقاع أبيض أو كلس[39].

بما أن الدوحة تعيش أساسا على النشاط البحرى، فإن الميناء هو العمود

الرئيسي للاقتصاد والبوابة الرئيسية على العالم الخارجى، وكان الميناء واحدا من أهم الظواهر الوظيفية للمدينة، كما نجد لها دورا فى تخطيط المدينة القديمة، ونجد أغلبية الطرق القادمة من مختلف الأحياء تلتقى فى منطقة الميناء[40].

كان الميناء مزدهرا بالسفن التى بلغت أعدادها أكثر من خمسمائة سفينة[41]، معظمها خشبية من صنع المنطقة إضافة إلى سفن صيادى الأسماك وسفن الغوص وسفن تجارية تحمل مختلف البضائع من الهند وشرق أفريقيا وإيران وموانئ شرق الجزيرة العربية، والرسوم الجمركية لم تكن تتعدى (5٪) إلى (7٪)

مياه الشرب:

تختلط مياه الآبار بماء البحر، ولذلك لا يصلح الماء عموما للشرب؛ ولهذا فإن معظم المنازل توجد فيها آبار للمياه، وهى غير صالحة للشرب وإنما للاستعمال المنزلى مثل الغسيل والاستحمام، ويجلب السكان المياه اللازمة للشرب من بعض الآبار الكائنة فى الدوحة وخارجها.

توجد فى الدوحة بئر واحدة ذات مياه ضاربة للملوحة تسمى «عين ولد سعيد» تبعد نصف ميل فقط جنوب «حى الدوحة». وتوجد مجموعة أخرى من الآبار تسمى «مشيرب» مياهها عذبة وتبعد ميلا واحدا عن غربى الدوحة، كما تتجمع مياه الأمطار قرب مشيرب فى بركة تدعى «الساعى». وتوجد بئر «الجديدة» على بعد ثلاثة أميال إلى الداخل وهى بئر واسعة مبنية بالحجر مياهها عذبة أيضا، وعليها تعتمد المدينة لسد احتياجاتها من المياه، كما تجلب المياه من منطقة «مريخ» التى تبعد قليلا من الدوحة.

يقع أشهر بئرين عاملين فى الدوحة، أحدهما قرب مصلى العيد ولا يزال باقيا حتى الآن وكان يسمى بئر «يوسف أحمد» والبئر الثانى تسمى «عين القعود»، وكانت تقع فى موقع أمام فندق «قطر الدولى» حاليا. وعلى بعد ميل واحد فى الجنوب خلف هذه البئر آبار «النعيجة» التى يشرب منها شيوخ آل ثانى وكذلك سكان الدوحة وضباط الجيش العثمانى، وأفضل آبار النعيجة تسمى «عسيلة».

تحصل قوات الجيش العثماني على أغلب مياه شربها من «مشيرب» حيث توجد قوة عسكرية قوامها ثمانية رجال في برج يراقبون منه الآبار، وللجنود مزرعة للخضروات، كما توجد لهم حديقة وهي الوحيدة في الدوحة بجوار القلعة وأنشأها أفراد القوات العثمانية.

تجلب المياه على ظهور الحمير والجمال أو بواسطة «الكندري» وهو رجل يحمل الماء في علبتين كبيرتين من الصفيح في طرفي قضيب من الخشب يحمله على كتفه، ويحتفظ الأهالي بالماء في أوانٍ من الفخار كبير الحجم تسمى «جحال» والحجم الصغير تسمى «الحب» بكسر الحاء، ويستعمل «البق» وهو «القلة» لتبريد مياه الشرب التي كانت في الغالب تعطر بالمستكة وهو نوع من مسحوق الخشب يضاف لإعطائه نكهة ورائحة جميلة(42).

الحياة الدينية:

لم تختلف الحياة الدينية في الدوحة عن الحياة الدينية في بقية مدن الجزيرة العربية سواء في الشعائر أو ممارسة الإسلام وتطبيق الشريعة الإسلامية، وسكان الدوحة سنيون على مذهب الإمام مالك، كذلك كان الشيخ قاسم سنيا على مذهب الإمام مالك.

يدين «السادة» على مذهب الإمام الشافعي والعثمانيون حنفيون والأقلية الإيرانية شيعية وخاصة «البحارنة» إضافة إلى السنة من «الهولة» الإيرانية، ويتبع العبيد عادة مذهب أسيادهم(43).

المساجد:

لم يكن يوجد في البدع القديمة مسجد أو مكان للعبادة، بل كانوا يقومون بأداء شعائرهم الدينية في أماكنهم الخاصة، ولكن بعد فترة ليست بالكبيرة بنى مسجدان يزينان البدع أحدهما بناء كبير ولكنه خال من كل زخرفة وهو يقع شمال القلعة، وأما المسجد الآخر فيقع في الطرف المقابل من البلدة وهو أصغر حجما لكنه أجمل وله مدخل مفتوح بأقواس على طراز شبه إيراني(44).

أنشأ الشيخ قاسم بن ثاني جامعا لا بأس به يصلى فيه بالدوحة، إضافة إلى اثنى عشر مسجدا منتشرا فى أحياء الدوحة، ومن أشهر المساجد فى ذلك الوقت، مسجد الشيوخ (الجامع الكبير الآن) ومسجد الأحمد ومسجد قاسم (أبو قبيب).

هدمت كل هذه المساجد وأعيد بناؤها وأكثر ما أسف الناس عليه هو مسجد «أبو قبيب» لأنه كان جميل البنيان فريدا من نوعه بين مساجد الدوحة، ومصلى العيد الرئيسى كان مصلى فى منطقة «الجسرة الحالية» ولا يزال على ما هو عليه وإن جرى بعض التحسين فى سوره، وإلى غرب الدوحة كان يقع الجبل وهو تل حجر (يسمى الجبل تجاوزا) بنى فوقه برج من الحجارة والطين كان يستخدم للمراقبة. وقد هدم هذا البرج منذ سنوات وأزيل معظم الجبل وشيدت مكانه مبان حديثة[45].

الحياة الثقافية:

تأتى الثقافة فى الأهمية الثانية بالنسبة للمجتمع فى الدوحة، الذى كان يهتم فى المقام الأول بكيفية الحصول على مورد رزقه الاقتصادى، لصعوبة الحياة وقسوة الطبيعة التى أجبرتهم على التوجه نحو البحر لصيد اللؤلؤ صيفا وصيد الأسماك والتجارة إلى الهند وشرق أفريقيا شتاء إضافة إلى الرعى.

بذلك لم يكن هناك متسع من الوقت للثقافة إضافة إلى ضعف الحالة المادية مما جعل الثقافة والتعليم يقتصر على الكتاتيب والمساجد.

الأسباب التى أدت إلى انتشار الكتاتيب ترجع إلى اتصال الدوحة بسنجق الإحساء العثمانى عن طريق البر، واشتغال السكان بالتجارة مما أوجد الرغبة لديهم فى التعلم[46]، عن طريق «الدعاة» الذين نقلوا تراثهم العلمى الدينى والأدبى واتصالهم بالإحساء عن طريق أئمة المساجد الذين نشروا الثقافة الدينية بوجه خاص بين رواد المساجد، ومن ثم ساهموا فى إنشاء الكتاتيب، وهى التى اهتمت بتعليم تلاوة القرآن وتحفيظه للأطفال مع تعليمهم قدر بسيط من الحساب وبعض الحروف الهجائية فى الكتاتيب والبيوت[47].

لم يكن التعليم فى الكتاتيب يهدف إلى المهارات الحرفية أو المهن بقدر ما كان مقتصرا على علوم الدين، إلا أنه ساعد فى إعداد بعض أئمة المساجد وبعض الذين يجيدون القراءة والكتابة ويقومون بجميع مراسلات الحى أو الأحياء المجاورة، وكذلك مساعدة التجار وبعض أعيان البلد.

استمر دور الكتاتيب فى تربية وتعليم النشء حتى عام 1951، عندما ابتدأ التعليم الإلزامى الحديث للبنين، وتلاه فى عام 1954 للبنات. ولم تمر الدوحة كباقى مدن شرق الجزيرة العربية بوجود المرحلة التى سبقت التعليم الإلزامى، وهو إنشاء المدارس الأهلية كما حدث فى الكويت ودبى والبحرين والتى أسسها بعض التجار وعلماء الدين[48].

الخاتمة:

أتمنى أن أكون قد وفقت فى دراسة الحياة العامة فى مدينة الدوحة من الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعمرانية وللأسف قد شهدت معظم مدن شرق الجزيرة العربية إزالة المبانى والمآثر للمدينة القديمة أمام التحديث والمبانى العصرية، ولم تراع فى تصاميم وتخطيط مدنها الحديثة الخلفية التاريخية المحلية وإنما جاءت الحداثة بكل أبعادها الغربية لتمحو أصالة الماضى.

لكن نجد بعض تلك الأصالة بقيت شامخة فى الدوحة وإن لم تهتم الحكومة بحمايتها، فإنها سوف تتعرض للزوال مع الزمن، ولهذا نتمنى أن تحافظ الحكومات والبلديات فى مدن شرق الجزيرة العربية على المآثر التاريخية للمدينة القديمة وإحيائها من جديد مع التوسع العمرانى فى الصحراء الواسعة بدلا من هدم المبانى الأثرية والأسواق والمساجد القديمة كما حدث فى العديد من مدن المنطقة وتشجيع الدراسات والأبحاث حولها.

والله ولى التوفيق.

الهامش:

(1) يوسف محمد عبيدان: المؤسسات السياسية فى دولة قطر ص 24.

(2) د. محمد أحمد عبد الرزاق غنيم: التحضر فى المجتمع القطرى ص 76.

(3) د. محمد أحمد عبد الرزاق غنيم: نفس المرجع ص59.

(4) د. محمد أحمد عبد الرزاق غنيم: نفس المرجع ص80.

(5) ناصر محمد العثمان: السواعد السمر - النفط فى قطر ص19.

(6) د. عبد العزيز المنصور: التطور السياسى لقطر ص222، سالانسامة ولاية البصرة. حوليات ولاية البصرة ص169.

(7) د. جهينة سلطان سيف العيسى: المجتمع القطرى ص43.

(8) ج. ج. لوريمر: دليل الخليج - القسم الجغرافى. ج2 ص628 - 629.

(9) يمكن الرجوع إلى بحثنا عن القبائل والسكان فى قطر تحت عنوان «الحياة الاجتماعية فى قطر» منشور ضمن بحوث مركز الدراسات العثمانية فى تونس.

(10) ج. ج. لوريمر: المرجع السابق الجزء 3 ص 83.

(11) جى. اى. سالدانا: وثائق التاريخ القطرى ص 52. رسالة رقم 457 سياسى بتاريخ (7) سبتمبر 1875.

(12) جى. اى. سالدانا: نفس المصدر ص 52.

(13) جى. إى. سالدانا: نفس المصدر ص54.

(14) جى. إى. سالدانا: نفس المصدر ص 54.

(15) ج. ج. لوريمر: المرجع السابق - القسم الجغرافى ج6 ص1987.

(16) ج. ج. لوريمر: نفس المرجع ص1987

(17) د. عبد العزيز المنصور: المرجع السابق ص20.

(18) د. جهينه سلطان سيف العيسى: المرجع السابق ص 71.

(19) د. جهينه سلطان العيسى: نفس المرجع ص71.

(20) د. عبد العـزيز المنصور: المرجع السابق ص 223. عثمانية. إدارة عسكرية رقم (16) فى (27) محرم عام (1310هـ).

(21) ج. ج. لوريمر: نفس المرجع - القسم التاريخى ج6 ص1991.

(22) د. عبد العزيز المنصور: المرجع السابق ص228. إدارة عسكرية. فى (27) محرم سنة (1310هـ) رقم (16).

(23) على عبد اللطيف المسلمانى: السياسة الخارجية القطرية ص25

(24) على عبد اللطيف المسلمانى: نفس المرجع ص25.

(25) د. عبد العـزيز المنصور: نفس المرجع ص244. أوراق قصـر يلدز. قسم (14) أوراق (250 - 255) غلاف (8).

(26) جى. إى. سالدانا: المـرجع السابق ص52. الرسائـل ذوات الأرقام (623 - 162) بتاريخ (18) يونيو (1875) الوكيل السياسى سبتمبر (1875) الأرقام (59 - 67).

(27) ج. ج. لوريمر: المرجع السابق - القسم التاريخى ج6 ص1992.

(28) د. عبد العزيز منصور - د. فتوح الخترش: نشوء قطر وتطورها ص57.

(29) د. فتوح الخـترش - د. عبد العزيز منصـور: مصادر تاريخ قطر ص47. الوثيقة رقم (86) ملف رقم (2182 - 193) ج3 فى (22) يونيو (1913) من الكولونيل «كوكس» إلى حكومة الهند.

(30) على عبد اللطيف المسلمانى: المرجع السابق ص25.

(31) د. عبد العزيز المنصور: المرجع السابق ص246. وثيقة عثمانية عن العشائر القطرية.

(32) ناصر محمد العثمان: المرجع السابق ص20.

(33) د، محمد أحمد عبد الرزاق غنيم: المرجع السابق ص90.

(34) ناصر محمد العثمان: المرجع السابق ص21.

(35) ناصر محمد العثمان: نفس المرجع ص22.

(36) د. محمد أحمد عبد الرزاق غنيم: المرجع السابق ص9

(37) د. محمد أحمد عبد الرزاق غنيم: نفس المرجع ص9.

(38) ج. ج. لوريمر: القسم الجغرافى ج6 ص1991.

(39) ج. ج. لوريمر: القسم الجغرافى ج3 ص627

(40) د. محمد احمد عبد الرزاق غنيم: المرجع السابق ص90.

(41) د. محمد عبد العزيز: المرجع السابق ص15.

(42) ناصر محمد العثمان: المرجع السابق ص24.

(43) ج. ج. لوريمر: القسم الجغرافى ج6 ص 1988.

(44) د. محمد أحمد عبد الرزاق غنيم: المرجع السابق ص80.

(45) ناصر محمد العثمان: المرجع السابق ص25

(46) د. جهينه سلطان سيف العيسى: المرجع السابق ص12.

(47) للمزيد يمكن الرجوع إلى بحثنا عن «الحياة الفكرية فى شرق الجزيرة العربية» لمركز الدراسات العثمانية تونس.

(48) د. جهينه سلطان سيف العيسى: المرجع السابق ص124.

المراجع:

1 - جهينه سلطان العيسى (دكتوره): المجتمع القطرى. القاهرة 1982.

2 - ج. ج. لوريمر: دليل الخليج. القسم التاريخى والجغرافى (14) جزء. ترجمة حكومة قطر. الدوحة 1967.

3 - جى. إى. سالدانا: وثائق التاريخ القطرى. الشؤون القطرية من سنة (1873 - 1904) لجنة تاريخ قطر. الدوحة 1976.

4 - على عبد اللطيف المسلمانى: السياسة الخارجية القطرية. الرباط 1988.

5 - عبد العزيز المنصور (دكتور) - فتوح الخترش (دكتورة): نشوء قطر وتطورها . ذات السلاسل. الكويت 1977.

6 - عبد العزيز المنصور (دكتور): التطور السياسى لقطر (1868 - 1916)، ذات السلاسل. الكويت 1980.

7 - فتوح الخترش (دكتورة) - عبد العزيز المنصور (دكتور): مصادر تاريخ قطر (1868 - 1916). ذات السلاسل. الكويت 1984.

8 - محمد أحمد عبد الرزاق غنيم (دكتور): الحضر فى المجتمع القطرى. المكتب الجامعى الحديث. إسكندرية 1982.

9 - يوسف عبد الرحمن الخليفى: التحفة البهية فى الآداب والعادات القطرية. الدوحة 1980.

10 - يوسف محمد عبيدان: المؤسسات السياسية فى دولة قطر. وزارة الإعلام. الدوحة 1979.

الفصل السادس



ابن سعود واتفاقية «الصبيحية» مع الدولة العثمانية عام 1914

دراسة وثائقية

نشر هذا البحث في مجلة - الإنسانيات - جامعة الإسكندرية - كلية الآداب دمنهور - العدد الأول - السنة الأولى 1998.

المقدمة:

لم يرد فى معظم دراسات المؤرخين اتفاقية «الصبيحة»، وقد أشار إليها بعضهم فى بضعة أسطر عابرة، برغم أهميتها فى الدراسات التاريخية المعاصرة، ونظرا لقلة ما كتب عنها، حاولت أن أقوم بدراسة هذه الاتفاقية المهمة - والمهملة فى نفس الوقت - فى التاريخ المعاصر، والتى جاءت كنتيجة لإنهاء الصراع والتنافس بين بريطانيا والدولة العثمانية فى الخليج والجزيرة العربية، والذى بدأ منذ عام 1871، بحملة مدحت باشا، وانتهى بتوقيع اتفاقية الصبيحة لعام 1914، كنتاج طبيعى أفرزته الاتفاقية الأنجلو - عثمانية لعام 1913.

استهدفت بريطانيا والدولة العثمانية من تلك الاتفاقية منع التوتر والتنافس والصراع فيما بينهما، وفرض الأمن والاستقرار فى المنطقة فى تلك الفترة. وقد وجدت الوثائق البريطانية التى لا بأس بها فى هذا الموضوع وتفى الغرض، ولهذا كان اعتمادى عليها نظرا لقلة الوثائق العثمانية، وإن لم يكن صعوبة وجودها أو الحصول عليها إن وجدت، أما الوثائق المحلية فلا توجد وإن وجدت لا تشير إلى مجريات الأمور.

ركزت فى دراستنا على الجوانب التالية وهى: بريطانيا ومفاوضات ابن سعود والدولة العثمانية. الموقف البريطانى من الضغوط والسياسة العثمانية تجاه ابن سعود. دوافع اتفاقية الصبيحة. أولا: الدوافع الداخلية. ثانيا: الدوافع الخارجية: موقف الشيخ مبارك من مفاوضات ابن سعود والدولة العثمانية. اجتماع الصبيحة. تقييم اتفاقية الصبيحة.

بريطانيا ومفاوضات ابن سعود والدولة العثمانية:

استغل ابن سعود انشغال بريطانيا والدولة العثمانية فى مفاوضات لتقسيم

الجزيرة العربيــة فيما بينهمــا لتحديد الحدود فى شرق وجنوب الجـزيرة العربية فى لندن عام 1912 - 1913، واستولى على الإحساء، بينـما كان حقى باشا فى لندن يبدى تمسك الدولة العثمــانية بحقوق السيادة فى سواحل شـرق الجزيرة العربية فى جنوب الكويت، وبالرغم من أن توقيع الاتفاقــية جاء فى يوليو 1913 بعد سيطرة ابن سعــود، إلا أن الاتفاقيــة لم تراع المركز الجـديد لابن سعود وإنما اعــتبــر تابعا للدولة العثمــانية وأشارت الاتفاقيــة إلى سنجق نجد العثمــانى وأن جميع الأراضى الممتدة من الإحساء والنجد تابعة للدولة العثمانية(1).

اجتمع «شكسبير» المعتــمد السياسى البريطانى فى الكويت مع ابن سعود فى الإحساء بتاريخ 15 و 16 ديسمبر 1913، ولكى يجعل ابن سعود موقفه واضحا بدأ بإعطاء وصف لتاريخ نجد مــن وجهة نظره، ويقول «شكسبـير» فى تقريره عن هذه المقابلة: فى هذه المرحلـة ذكرنا لابن سعود أن هدفنا الأول مــن ترتيب هذه المقابلة هو أن يعرف بصورة دقيــقة الطريقة التى يريد بها مساعدة الحكومــة البريطانية بينما هو يدرك العلاقات الودية بين الحكومــة البريطانية والعثمانيــة وحياد الأولى فى ما يتصل بالخلافات بينه وبين الثانيــة، وقال ابن سعود ردا على ذلك إنه حريص على شرفــه وشرف عــائلتــه والمحافظة على حــقوق أجــداده، وأضاف أنه يريد تجـديد الصداقــة القديمة بين عــائلته والحكومــة البريطانية والمحــافظة عليهــا ويريد تأمين مركزه، وقال ابن سعود: إن ما قــاده إلى طلب المساعدة من الحكومة البريطانية هو أنه رأى كيف تعــاملت الحكومة البــريطانية مع الكويت والبــحرين وأمــاكن أخرى وأدرك أنها جــديرة بالثقة. وأضــاف ابن سعود أنه لا يرغب فى أية عــلاقة مع أية دولة أخرى سوى بريطانيا(2). وكان ابن سعود يقصد اتفاقيات الحماية التى عقدتها بريطانيا مع مشيخات شرق الجزيرة العربية.

رد شكسبير على طلب ابن سعود الحـماية البريطانية بقوله إننا لا نستطيع أن نعطى مثل هذا التأكيد وإننا إضافة إلى ذلك مقتنعون بأن الحكومة البريطانية بالنظر إلى صداقتهــا مع الحكومة العثمانية لا تستطـيع عمل ذلك، لأن أى تأكيد من هذا

النوع فى الوقت الحاضر سيكون موجها بصورة واضحة ضد الأتراك[3]. لقد كانت بريطانيا قد وقعت اتفاقية 1913 لتقسيم الجزيرة العربية مع العثمانيين إضافة إلى المباحثات التى كانت جارية مع الألمان حول سكة حديد بغداد مما يعنى التضحية بمصالح بريطانية مقابل إعطاء الحماية لابن سعود الذى أصبح بعد اتفاقية 1913 من رعايا الدولة العثمانية ويمكن القول بأن بريطانيا تخلت عن ابن سعود مقابل مصالحها.

قال ابن سعود فى هذا اللقاء مع شكسبير بأن السلطات العثمانية كتبت إليه مقترحة أن يقبل شروطا وأن مسودة الشروط نصت عمليا على ضرورة استعادة الوضع الذى كان سائدا من قبل، وأن لا يقبل هو أى ممثلين أو رعايا من دول أجنبية فى منطقته وأن لا يجرى أية اتصالات مع أية حكومة أجنبية سوى السلطات العثمانية وقال: إنه يعتقد أن العثمانيين سيكونون مستعدين للتخلى عن كل الشروط المدرجة فى الاتفاق المقترح باستثناء مسألتى تسيير السياسة الخارجية وإدخال الوكلاء والرعايا الأجانب، وقال: إنه يعتقد أن هذين هما مطلباهما الرئيسيان وأنه إذا أقر بهما فإن من المحتمل أن يوافق الباب العالى على تركه بسلام كحاكم بحكم الأمر الواقع، فكيف ستنظر الحكومة البريطانية إلى اتفاق كهذا؟ ثم أكد ابن سعود ضرورة الاستعجال فى إعطاء جواب محدد على المقترحات العثمانية فى موعد مبكر وقال: إن المراسلات جارية منذ رمضان الماضى الموافق أغسطس 1913 لكنه أخر القيام بذلك أملا فى احتمال أن يسفر الاجتماع المقترح مع المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى عن تفاهم ما. ويقول شكسبير: إننا اقترحنا عليه بالنظر إلى أننا لسنا فى مركز لعرض موقف الحكومة البريطانية من المقترحات المقدمة إليه من الحكومة العثمانية، وأنه قد يكون من الممكن بالنسبة إليه أن يؤخر إعطاء جواب محدد إلى مجرد حقيقة الاجتماع من شأنها أن تجلب له قدرا معينا من اللوم من العثمانيين مما يعيق تقدم المفاوضات التى بدأها[4].

لم تصل ردود من الحكومة البريطانية حول طلب ابن سعود الحماية بعد

ذلك الاجتماع فكتب إلى الوكيل السياسى البريطانى فى 26/ 6/ 1914 يستعجل الرد بقوله: أتشرف بإعلامكم أننى منذ مفارقتكم فى «العقير» لم أتسلم منكم أية رسالة أرجو أن يكون المانع خيرا وبعد، يجب أن أعلمكم أنه فى هذه الأيام جرت المفاوضات بينى وبين الحكومة وأن مدة الشهور الثلاثة التى حددت بينى وبين جانبكم توشك على الانتهاء أرجوكم أن تكتبوا بما هو مطلوب، لأنه ليس بإمكانى تأخيرهم أكثر من المدة المعلومة لأكون على بصيرة من الأمر(5). وقد ردت وزارة الخارجية البريطانية على وزارة الهند فى 7/ 3/ 1914 حول تلك القضية بقولها: إشارة إلى المراسلات السابقة حول ابن سعود وعلاقته مع الحكومتين العثمانية والبريطانية أوعز إلى الوزير السير «أدورد غرى» أن أرسل إليكم لعرض ذلك على وزير الهند النسخة المرفقة من محضر كتبه المستر «باركر» وسجل فيه حديثا مع حقى باشا. وقد طلب إلى أن أقول إن السير «أدورد غرى» يرى أن تكون المعلومات المتصلة بالاجتماع الأخير بين ضباط بريطانيين وابن سعود قد وصلت إلى علم الحكومة العثمانية تجعل من الضرورى ممارسة أقصى الحذر فى ما يتعلق بأية اتصالات فى المستقبل مع ذلك الشيخ، لأنه من الواضح أن لغة حقى باشا فى مثل هذه الاتصالات تميل فى الواقع إلى إثارة شك خطير من جانب الحكومة العثمانية، كما أن السير «إدورد غرى» يرى أن من الضرورى عند النظر إلى لغة صاحب السمو مراعاة أقصى الحذر فى المقابلات التى ستتم مع حقى باشا الأسبوع المقبل من أجل تطمين الحكومة العثمانية لموقف حكومة بريطانيا، ويعتقد السير «أدورد غرى» أن الحكومة العثمانية إذا عوملت بصراحة ستبدى استعدادها لتلبية المتطلبات المعقولة لحكومة بريطانيا، لكنه حريص على تبديد أى انطباع مغلوط يمكن ان يكون قد نشأ بأن السياسة البريطانية موجهة نحو إضعاف السلطة العثمانية فى نجد، لأن مثل هذه السياسة ستكون غير متفقة مع سياسة التمسك بوحدة أراضى الدولة العثمانية والتى أشرتم إليها فى رسالتكم المؤرخة فى 1/ 9/ 1913(6).

جاء فى محضر المستر «باركر» فى 7/ 3/ 1914 قوله: زرت «حقى باشا» اليوم فى ما يتصل بالمفاوضات العثمانية - الألمانية فانتهز الفرصة ليقول لى، بناء على تعليمات لديه أن تقارير متكررة من «البصرة» أفردت بأن حكومة صاحب الجلالة قد دخلت عن طريق معتمديها فى الخليج العربى فى علاقات مباشرة مع ابن سعود الذى زعمت التقارير أن اجتماعا قد عقد معه وقد أوجد هذا انطباعا مؤلما جدا فى إسطنبول، لأن الحكومة البريطانية قد اعترفت اعترافا كاملا بأن الأراضى الواقعة إلى الغرب من الخط الأزرق المرفق بالمعاهدة الموقعة فى 29/ 7/ 1913 وإلى الشمال من ذلك الخط (أى الإحساء ونجد) باستثناء الكويت هى أراض تركية وتشكل جزءا من مقاطعة عثمانية وبناء على ذلك فإن الحكومة العثمانية تشعر بقلق عظيم لما بلغها من إجراء اتصالات من جانبنا مع أحد الرعايا العثمانيين فى منطقة معترف بأنها عثمانية ومن أن أية اتصالات لم توجه إلى الحكومة العثمانية[7]. ويقصد بذلك المباحثات التى جرت فى «العقير» على ساحل الإحساء بين الضباط البريطانيين وابن سعود الذى كانت بريطانيا تعتبره أحد الرعايا العثمانيين. وعدم إعطاء أى انطباع للحكومة العثمانية بأن بريطانيا تتدخل فى شؤونها الداخلية عن طريق تلك المفاوضات مما يعنى إثارة المشاكل بعد اعترافها لابن سعود بالتبعية العثمانية.

جاء فى مذكرة الخارجية البريطانية فى 9/ 3/ 1914 عن صيغة اتفاق العثمانيين مع ابن سعود بأنه نظرا لتعقد الموضوع بدا من الأنسب وضع مذكرة غير رسمية لمعلومات حقى باشا واستخدامه الشخصى، وإننا نعلم من معلومات محلية موثوقة، أن الحكومة العثمانية كانت تحاول فور تبادل هذه الاتصالات أو ربما قبله ترتيب شروط مع ابن سعود كان بعضها موجها بصورة واضحة ضد الحكومة البريطانية والمصالح البريطانية، وكذا فإن الشروط التى حاول الباب العالى فرضها على ابن سعود ثمنا لحكمه الذاتى الجزئى هى وفقا لمعلوماتنا ما يأتى[8]:

1 - إعادة إدخال الحاميات العثمانية إلى منطقة الإحساء وساحلها كما كان الحال سابقا.

2 - تعيين القضاة والموظفين القضائيين العثمانيين بموجب «فرمانات» صادرة عن السلطان.

3 - دفع ابن سعود عوائد سنوية مقدارها 3000 جنيه عثمانى.

4 - إحالة كل الاتصالات من الحكومة الأجنبية أو ممثليها على السلطات العثمانية لاتخاذ ما يلزم بشأنها.

5 - استبعاد جميع التجار والوكلاء الأجانب من المنطقة.

6 - تعهد من ابن سعود بعدم منح امتيازات لأية شركات أجنبية لبناء السكك الحديدية أو خدمات السيارات.

أبلغ وزير الداخلية منذ ذلك الحين سفير بريطانيا فى 1/ 12/ 1913 بأن الحكومة العثمانية قد قررت الاعتراف بالأمر الواقع الأخير فى نجد والإحساء بتسمية ابن سعود متصرفا لتلك المنطقة، وتشير المواد الثلاثة الأولى من الشروط الستة المذكورة أعلاه إلى مسائل لسنا معنيين بها مباشرة، ولكن بالنظر إلى الإعلان الصريح الذى أعطى لحقى باشا فى أغسطس من وزارة خارجية بريطانيا فإنه ليس من غير الطبيعى أن تكون الحكومة البريطانية مندهشة جدا من الشروط الثلاثة الأخيرة، خاصة الشرطين 4 ، 5 وإذا تبين أن المعلومات صحيحة فلابد أن تشعر أنها مرغمة على الاحتجاج عليها بقوة. يبدو أن التفسير الوحيد لمثل هذه الشروط هو أن الباب العالى لا يثق بالتأكيدات التى قد قدمت بشأن استعدادنا للتعاون وأنه لا يقدر المصاعب التى نزج فيها نتيجة استمرار الأوضاع الحالية غير المرضية بيننا وبين ابن سعود[9].

نعترف تماما بأن نجد منطقة عثمانية ولا رغبة لدينا فى التدخل فيها، ولكننا للأسباب التى سبق أن أبديت لا نستطيع تجاهل ابن سعود وهو الآن يحتل الخط الساحلى (ساحل الإحساء على الخليج العربى). إن متطلباتنا ليست سرا وما نطلبه من أجل المحافظة على مصالحنا وحمايتها هو:

1 - أن عليه شأن الشيوخ الآخرين فى الجانب العربى من الخليج العربى بما فيها ساحل عمان وقطر وهو المحافظة على المصالح البريطانية ورعايتها وحمايتها.

2 - أن عليه شأن الشيوخ الآخرين فى الجانب العربى من الخليج العربى، أن يتعاون من أجل مراعاة الهدنة البحرية والمحافظة عليها أى قمع القرصنة والتقاتل بين القبائل بمرور المراكب المسلحة فى البحر.

3 - أن عليه أن يتعاون من أجل قمع تجار الأسلحة وتهريبها.

4 - أن التجار البريطانيين يجب إدخالهم إلى القطيف بحرية ومعاملتهم معاملة سليمة خلال وجودهم هناك.

لا يوجد فى هذه الشروط ما يمكن أن يعترض عليه من جانب ابن سعود أو الباب العالى اعتراضا مشروعا، ومن الطبيعى فى الوقت ذاته أن يكون ابن سعود يعبر عن استعداده لقبول الالتزامات التى تنطوى عليها هذه الشروط راغبا فى المساعى الودية للحكومة البريطانية فى تسوية نزاعه مع السلطات العثمانية وأن يطلب البينا ردع الشيوخ الذين لهم علاقات معنا عن إيواء أعداء معارضين له من القبائل العربية.

لا رغبة لدينا نحن فى إقحام أنفسنا ولكن الشروط التى يسعى الباب العالى كما نسمع إلى فرضها على ابن سعود، تظهر قدرا ضئيلا جدا من المودة نحونا ومن المستحيل الإذعان لها إلى درجة أننا مضطرون للعودة إلى الموضوع. ويهمنا بالدرجة الأولى أن تسحب الشروط الثلاثة الأولى ولكن سيسرنا أيضا أن يتوصل الباب العالى إلى ترتيب مرض مع ابن سعود يتعين عليهم بموجبه كنتيجة طبيعية لقرارهم باعتبار ابن سعود بحكم منصبه، كمتصرف للإحساء، أن يقبلوا منه تعهدا بالانصياع محليا لرغبتنا المذكورة تفاصيلها أعلاه ومع احتفاظهم بحق اتخاذ أى إجراء يرونه مناسبا فى آخر الأمر فإنهم على سبيل التعاون الودى مع الحكومة البريطانية للحفاظ على السلم والنظام فى الخليج يجب أن يوافقوا على الامتناع عن

الأعمال العدوانية بطريق البحر ضد ساحل الإحساء بدون التشاور معنا مسبقا وإعطائنا فرصة للوساطة الودية إذا كانت ممكنة[10].

يلاحظ من التقارير السابقة ما مدى قوة الاستخبارات البريطانية التى استطاعت الحصول على معظم المعلومات عن الاتفاقية العثمانية المرتقبة مع ابن سعود، وبغض النظر عن محتوياتها والتى سوف نناقشها فى حينها، فإنها تدل على مدى تغلغل النفوذ البريطانى فى داخل الدوائر الرسمية العثمانية وسرعة حصولها على المعلومات اللازمة، ومن ثم كيفية اتخاذها الطريقة الوقائية تجاه تلك المعلومات، ومن هذا المنطلق نجد أسلوب التعامل البريطانى مع ابن سعود يختلف باختلاف الوضع الراهن والمصلحة العليا البريطانية، ومن ثم كيفية توجيه ابن سعود بطريقة غير مباشرة، كما لا تخلو من المخاطرة السياسية وما مدى انعكاس ذلك على الجانب العثمانى، ولكنها فى صالح بريطانيا أو على الأقل لا تضر بمصالح بريطانيا، كما نجد الخطوط العريضة التى تضعها وزارة الخارجية البريطانية فى لندن للسياسة التى يجب على وزارة الهند اتباعها عن طريق المقيم السياسى والمعتمد السياسى فى الخليج العربى والبحرين والكويت مع ابن سعود فى الفترة المقبلة بناء على المعطيات الجديدة التى طرأت من جراء توقيع اتفاقية 1913 الأنجلو - عثمانية.

بناء على تلك الأوامر والتعليمات الصادرة من وزارة الخارجية البريطانية فقد تم اتخاذها موضع التنفيذ وأصدر المقيم السياسى البريطانى تعليماته إلى المعتمد السياسى فى البحرين بقوله: أتشرف أن أبعث لاطلاع حكومة الهند نسخة من الرسالة التى وصلت من المعتمد السياسى فى البحرين والتى تفيد أنه من المرغوب فيه إبلاغ نيات حكومة بريطانيا إلى ابن سعود قبل أن يتحرك الأخير شمالا ويدخل فى مفاوضات مع العثمانيين[11].

بعث المعتمد السياسى فى البحرين برسالة إلى المقيم السياسى البريطانى فى 8/ 3/ 1914 يقول فيها بأنه قد سمع إشاعة مفادها أن ابن سعود قادم إلى الإحساء

أو أنه على أى حال قـد يتوجه إلى الشـمال الغربى فى وقـت قريب، وعندئذ لن يتمكن من تأجيل مفاوضاته مع السلطات العثمانية، ولذلك فإن كان لدى الحكومة البريطانية ما ترغب أن أقوم بإبلاغه إلى ابن سـعود فلابد أن يتسلم التعليمات على الفور لكى أتمكن من إيصالها إليه قبل أن يصبح الاتصال معه متعذرا[12]. ثم بعث المعتمد برسالة أخرى فى 9/ 3/ 1914 يقول فيها: نظرا لاحتمال بدء المفوضات بين ابن سعود والعثـمانيين في وقت قريب وإمكانية التوصل إلى تسوية مـا قد تتضمن شرطا باسـتبعـاد التجار والوكـلاء من الأجانب، أود أن أبدى أنه إذا كان اقـتراح تعيين وكيل محلي فى القطيف قد اقـترن بالموافقة فـيكون من المستحسن تـعجيل الأمر وإرسال شخص يتم اختياره إلى القطيف بدون إبطاء[13]. وقد تبنت حكومة الهند الفكرة وبعثت برقية إلى لندن جاء فيها:

استفسر ابن سعود من المعتمد السياسى فى البحرين فيما إذا كان من المحتمل أن تثمر المحادثات الدائرة حاليا، وألمح إلى أنه سيكون مضطراً من أجل مصالحه أن يتعامل مع العثمـانيين مباشرة فى وقت قريب، كما أبلغ المقـيم السياسى البريطانى أن قوات عثمـانية عددها ثمانمائة رجل قد وصلت إلى البصـرة لتوها على الباخرة «ساراتوف» وأن صحف البصرة علقت على الاجتـماع الذى عقده الميجر «تريفور» مع ابن سعود مـؤخرا أنه يؤكد على أن من المرغوب فيـه إرسال ممثل إلى القطيف بدون تأخير وسأكون ممتنا إذا تسلمت تعليمات عاجلة فى هذا الشأن[14].

جاء رد وزير الهند فى لندن إلى نائب الملك فى الهند حـول مطالب الأخير فى 16/ 3/ 1914 بقـوله: وضع ابن سعـود هو الآن تحت البـحث مع حقى باشـا الذى أبلغ بصورة غيـر رسمية بمطالبنا وهو ينتظر رأى الباب العـالى، يجب إخبار ابن سعود بأن حكومة بريطانيا تحاول اتخاذ ترتيبات مع الحكومة العثمانية وينذر بأن لا يتصرف مستقبلا، وترى حكومة بريطانيا عدم إمكانية إرسال وكيل بريطانى إلى القطيف خـلال المفاوضات، لـقد أكدنا على حـقى باشا أننـا لا نستطيع السـماح للبحـرين أو مياهـها بأن تستـعمل للأغراض العـسكرية ضد ابن سـعود، يجب

الإبراق بأسرع ما يمكن عن تحركات القوات العثمانية[15]. كما أبرقت الخارجية مباشرة وفي نفس الوقت إلى القنصل البريطانى فى البصرة بقولها: علمت أن قوة مؤلفة من ثمانمائة جندى قد وصلت إلى البصرة، والأرجح أن المقصود بها القيام بعمليات ضد ابن سعود، أبرقوا بأية معلومات تتعلق بتحركاتها[16]. ويتضح من ذلك مدى قلق بريطانيا من استخدام تلك القوات تجاه حليفها ابن سعود مما يعنى ضربة لمصالحها فى المنطقة فى حين كان العثمانيون يستخدمون تلك القوة كأداة ضغط على ابن سعود لفرض شروطهم عليه وإلا التلويح باستخدامها ضده بالاشتراك مع حليفهم ابن رشد زعيم قبائل «الشمر». المعادية للنفوذ البريطانى فى المنطقة.

الموقف البريطانى من الضغوط والسياسة العثمانية تجاه ابن سعود:

بعث وزير خارجية بريطانيا إلى سفيره فى إسطنبول فى 26/ 3/ 1914 حول الضغوط العسكرية العثمانية ضد ابن سعود بقوله: تعلم بالمناقشات التى دارت مع حقى باشا فى ما يتعلق بابن سعود أترك لسعادتك تقدير ما إذا كنت ستعبر للحكومة العثمانية عن الأمل فى أن لا تثير عمليات عسكرية ضده قبل السماح أولا لحكومة بريطانيا باستخدام مساعيها الحميدة من أجل تشجيع تسوية مرضية للطرفين كليهما، ونحن لا نرغب فى تأمين أى منفعة ضد الدولة العثمانية، وكل ما نريده هو الحيلولة دون حدوث اضطرابات وسفك دماء وهو ما يرجح أن يؤثر بصورة خطيرة على أمن مناطق الساحل حيث لنا حقوق خاصة ويمكن فى الأغلب تجنبه بواسطة حكيمة وغير رسمية وإذا أقدمت الدولة العثمانية على عمل بالقوة ضد ابن سعود فستقع قلاقل واسعة الانتشار فى شرق الجزيرة العربية، علما بأن «النشات» ذات محركات قد شحنت إلى البصرة من شركة «ثورنيكروفت» للحكومة العثمانية[17]. وجاء السفير البريطانى لوزير خارجيته مطمئنا بأنه لا تكاد معلوماتى تشير إلى عمليات عسكرية فورية ضد ابن سعود وأن الداخلية أبلغتنى بصورة سرية فى 24/ 3/ 1914 أنه يعمل من أجل تسوية ودية بمساعدة شيخ

عربستان والكويت والسيد طالب النقيب وقال: إن الحكومة توصلت إلى اتفاق مع العرب[18]. وأضاف بقوله: إذا ألححنا فى وساطتنا فستبدو للعثمانيين وكأنها محاولة لانتهاك اتفاق 29/ 7/ 1913 الذى يعترف «بنجد» على أساس أنها عثمانية تماما، وفى هذا الخصوص لأفهم على أى أساس يمكننا أن نبرر اعتراضنا على الشرط الرابع المذكور فى المذكرة المرسلة إلى حقى باشا فى مارس وعلى الرغم من الإزعاج الواضح والخطر المحتمل فإن ثمة مبررا ما فى الظروف الراهنة للسماح للعثمانيين باستعادة السيطرة فى الإحساء بطريقتهم الخاصة[19].

أرسل السفير البريطانى بإسطنبول ببرقية إلى وزير خارجيته فى 29/ 3/ 1914 يقول. وجدت فرصة الليلة الماضية لأذكر ابن سعود لطلعت بك الذى أكد معلوماته السابقة إلا أن والى البصرة الجديد يرتب مع شيخى الكويت وعربستان والسيد «طالب النقيب» و «كوزليب» الحصول على مساعدتهم فى التوصل إلى تسوية سلمية مع ابن سعود[20]، فى حين ذكر القنصل البريطانى فى البصرة أنه قابل السيد طالب النقيب وأنه يميل إلى تأكيد معلوماتك وقال: إنه وشيخ الكويت يسعيان إلى تسوية مطالب ابن سعود الذى يريد نوعا من الزعامة القبلية المستقلة لكنه يرفض قوات عثمانية، ومن المتوقع التوصل إلى حل سلمى[21]. ونتيجة لتلك المعلومات فقد أرسلت الخارجية البريطانية مذكرة إلى وزارة الهند فيها التعليمات التى يجب اتباعها فى سياستها مع ابن سعود فى المرحلة القادمة وهى أنه: نظرا لأهمية التوصل إلى اتفاقية ناجحة نتيجة للمفاوضات الجارية الآن بين الحكومة العثمانية وابن سعود من خلال شيخ الكويت والسيد طالب النقيب فإن السير «أ. غرى» بعد التأمل يشك كثيرا فى الحكمة من تحذير ابن سعود من التصرف مستقلا عن حكومة بريطانيا كما هو مقترح، وصحيح أن مفاوضات مباشرة بشكل رسمى إطلاقا قد جرت بين الحكومة البريطانية والحكومة العثمانية، ولكن «أ. غرى» (وزير خارجية بريطانيا) يشعر أن هذا فى ظل الظروف الحالية ليس مبررا كافيا، لأن نطلب من مواطن تركى (ابن سعود) أن لا يتفاوض

مع حكومته وخاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار شروط المعاهدة البريطانية - العثمانية، الحديثة العهد والموقعة فى 29/ 7/ 1913، فإذا كانت كما قد تدرك حكومة الهند الشروط التى يتفق عليها بين الحكومة العثمانية وابن سعود والتى لا تتماشى مع الحقوق البريطانية أو غير عادلة بالنسبة لمصالح بريطانيا التجارية، أو تعارض واجبات بريطانيا السياسية فى الخليج العربى، فإن العلاج فى رأى السير «أ. غرى» يكمن فى مفاوضات مباشرة مع الحكومة العثمانية، أن تبنى هذه الخطوة والتوقف عن الاتصالات المباشرة ذات الطبيعة المشكوك فيها مع ابن سعود قد يسبب فى رأى «أ. غرى» بعض المضايقات المحلية الصغيرة فى الخليج العربى ولكنها على الأغلب مضايقات قصيرة المدى ومن الأفضل أن نتحملها بدلا من التعرض لمخاطر أعظم(22).

كتب السفير البريطانى فى إسطنبول برقية إلى وزير خارجيته السير «أ. غرى» يؤكد تلك التوجيهات فى 2/ 4/ 1914 بقوله: فى حديثى مع طلعت بك أوضحت له أننا على استعداد لتقديم وساطتنا وليست لنا دوافع خفية، فأجاب بأن لهم أملا كبيرا فى التوصل إلى تسوية بأنفسهم وقال: إنه يصدق كلمة الحكومة البريطانية، ومن المفضل فى هذه الظروف أن نراقب الموقف وننتظر مزيدا من التطورات، وقد أوعزت إلى القنصل فى البصرة أن يبقينى دائما على علم وأن يعرض وساطته إذا كانت تشير إلى أن ذلك مرغوب فيه(23). وكتب المقيم السياسى فى الخليج العربى إلى حكومته فى الهند بهذا الخصوص بقوله:- لا أميل إلى الاتفاق مع المعتمد البريطانى فى الكويت فى رأيه الوارد فى الجزء الأخير من رسالته حول رجاحة الطلب إلى الباب العالى أن يؤجل اى إجراء حتى تظهر نتيجة المباحثات مع سعادة حقى باشا بخصوص موقف ابن سعود وليس من الممكن إبلاغ ابن سعود بإرسال مثل هذه الرسالة وبالتالى فليس من الممكن كسب امتنانه، وأننى أستنتج من الاتجاه العام للمراسلات أن «العمل المستقل» الذى يرغب الوزير فى تحذير ابن سعود منه لا يعد من الاستعدادات الحربية التى تصد هجوما محتملا بقدر ما هو تحالف متشابك قد يضر بالمصالح البريطانية(24).

بعث المعتمد السياسى البريطانى فى الكويت إلى المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى بخمسة رسائل مهمة تتعلق بالمسؤولين العثمانيين، حيث نجح فى الحصول على تلك الرسائل بطريقته الخاصة ويقول: إن السيد عارف والى سوريا أرسل عمر فوزى الذى وصل إلى الكويت فى 15/ 3/ 1914 وغادر يوم 25 منه واجتمع بالشيخ مبارك ولكنه لم يحصل على مقابلة مع ابن سعود وكان ذلك هو الهدف من زيارته وكان الشيخ مبارك يرفض أن يعطيه خطاب توصية أو يتخذ الإجراءات لترتيب اللقاء المطلوب، كما وصل سليمان شفيق والى البصرة والسيد طالب النقيب من البصرة إلى الكويت ولكن الشيخ مبارك لم يساعد أيا من الطرفين ويرفض أن يجر إلى القضية أو يعطى أية نصيحة ومع أنه يتعاطف مع الطرفين فى رغبتهما فى تجنب سفك الدماء أو كل ما من شأنه أن يخلق العداوة بين المسلمين فإن عليه أن يبقى مخلصا لصداقته لابن سعود[25]. وكان والى سوريا بعث برسالة مع عمر فوزى إلى حاكم الكويت بخصوص الاتصال مع ابن سعود والتوسط لحل وعقد الاتفاق[26] كما بعث عمر فوزى برسالة إلى الشيخ مبارك بالمهمة التى كلف بها من قبل أنور باشا وزير الحربية لإنهاء الصعوبات وإيجاد مكان مناسب للاجتماع[27] وكان أنور باشا قد كتب رسالة إلى الشيخ مبارك يشكو من أوضاع المسلمين والفرقة والدفاع عن الإسلام ضد أعدائه[28] وهناك تناقض بين ما جاء فى هذه الرسالة وبين أعمال وممارسات جماعة الاتحاد والترقى والهدف كان هو كسب شيوخ العرب من خلال العاطفة الدينية لا غير. كما كتب والى البصرة رسالة إلى الشيخ مبارك يشكره على جهوده ويطلب منه العون والمساعدة لإنجاح المفاوضات[29]. كما كتب السيد طالب النقيب إلى الشيخ مبارك بقوله: أرجو مساعدتكم الفعالة فى هذا الأمر لكى يستطاع المضى فيها بنجاح نرجو التفضيل ببيان ما ينبغى عمله فى هذا الشأن والسلام[30]. أما الخارجية البريطانية فقد طلبت من وزارة الهند وقف التحذير لابن سعود بقولها: بالنظر إلى ما قاله طلعت بك

من أن تفاهمـا مباشـرا بين الباب العـالى وابن سعود أمـر منتظر يبدو للسـير «أ. غرى» أن من الضرورى تأجـيل التلميح الذى كان من المقتـرح نقله إلى ابن سعود بتحذيره من التصرف بصورة مستقلة عن حكومة بريطانيا إن لم يكن إلغاؤه[31].

ردت وزارة الهند على تعليمـات الخارجية بقـولها بأن الأسباب نفـسها التى أدت إلى عقد معاهدة مع الدولة العثمانية لحماية المصالح البريطانية فى تلك المناطق تبدو له مؤشـرا يدل على أن حكومة بريطانيا يجب أن تكون بوسـيلة ما طرفا فى المفاوضات بين الحـكومة العثمانيـة وابن سعود، مع أن مركـز الأخير كمتـمرد قد جعل المشاركة البريطانية بصورة رسميـة أمرا مستحيلا، ومن الخطر أن يتفاوض ابن سعود لوحده مع السلطات العـثمانية[32]. ولكن الخارجية طلبت من وزارة الهند بأن يكون ابن سعود حرا فى التفـاوض من أجل تجنب المجازفة بإيجاد الانطباع فى ذهن الحكومة العثمانية بأن الحكومة البـريطانية قد منعت فى الواقع ابن سعود حتى الآن من التـفاوض مع الباب الـعالى[33]. ومن ثم أبرق وزير الهند فى لندن إلى حكومة الهند بقـوله: علمت أن العثمانيـين يقومون بمبادرات تجـاه ابن سعود عن طريق شيخى عـربستان والكويت (وهما من أتباع بريطانيـا) إذا كان هذا هو الحال فمن الممكن إبلاغ ابن سعود بأننا أوصلنا وجـهات نظرنا إلى الباب العالى وأنه حر فى التفاوض مباشرة مع العثمانيين[34].

نلاحظ بعض الاختـلاف فى وجهات النظر بين حكومة الهند الممـثلة بالمقيم السيـاسى البريطانى فى الخليج العـربى والمعتمـدين السياسـيين التابعـين لها وبين الخارجية البـريطانية فى لندن، والتى ترى عدم الاتصال مع ابن سعـود خوفا على العلاقات الدبلومـاسية، فى حين ترى الأولى ضرورة الاتصال وإعطاء التـعليمات التى يجب أن يتبعهـا فى المفاوضات مع العثمانيين من أجل الحـفاظ على مصالح بريطانيا فى المنطقة، ولكن نجد أن كليهما، أى حكومة الهند والخارجية البريطانية، تعملان لمصلحة بـريطانيا العليا، وعندما وجدت الخارجيـة أن طريقة الاتصال بين الدولة العثمانيـة وابن سعود يتم بمساعدة شيخى عربسـتان والكويت والسيد طالب

النقيب ولهم علاقات جيدة مع بريطانيا، وخاصة الأول والثانى يرتبطان بمعاهدات الحماية ويرعيان المصالح البريطانية، فإن الخارجية طلبت من حكومة الهند عدم إعطاء أية أوامر لابن سعود وأن يكون حرا فى التفاوض مع العثمانيين.

كتب ابن سعود إلى طالب النقيب فى البصرة يعلن موافقته على الاتفاق مع العثمانيين ويقول: أرجوك أن تقدم أطيب تمنياتى إلى أنور باشا وزير الحربية وتؤكد له بأنى أنا أيضا أرغب فى وحدة الإسلام، كما أنى أود أن أعرب عن امتنانى إليه لإيفاد سعادة السيد عمر فوزى بك لإقامة علاقات ودية، وإذا كانت الحكومة ترغب فى حماية البلاد فهذا يمكن تنفيذه بالأساليب الدبلوماسية على أن يعقب ذلك إصدار بيان بهذا الخصوص وأنه يتوجب على الباب العالى أن يقوم مع الحكومة البريطانية وهم الذين بسبب خصائصهم الطيبة يساعدون على نشر الهدوء بين شعوب العالم، إننا نعرفهم ونعتمد عليهم ولا نرغب فى الإساءة إليهم بنقض عهودنا معهم، أرجوك أن تقدم احترامى إلى السيد عمر فوزى بك وتنقل تأكيداتى على صداقتى إلى جميع الجهات المعنية[35]. كما بعث ابن سعود برسالة إلى المعتمد السياسى البريطانى فى البحرين يبلغه بأنه يتوقع أن يقابل مندوبا عثمانيا فى مكان ما قرب الكويت فى وقت قريب[36]. وقد أرسل هذه الرسالة المعتمد السياسى البريطانى إلى المقيم السياسى البريطانى الذى بدوره يطلع حكومته لتتخذ الإجراء اللازم نحو ابن سعود وسير المفاوضات. وقد جاء فى رسالة ابن سعود إلى المعتمد السياسى فى البحرين بتاريخ 2/ 4/ 1914 ما يلى:

«أتشرف بإعلامكم بتسلم رسالتكم الكريمة رقم 512 لعام 1914 وقد فهمت ما جاء فيها، وخاصة أنه قد وصلتكم تعليمات لإخبارى بأن الحكومة البريطانية تقوم بالمساعى لاتخاذ ترتيبات مع الحكومة العثمانية، وأن المباحثات مستمرة، ولذلك فإنه من غير المستحسن أن يقوم بعمل مستقل فى هذه المسألة، ارجو أن أقول إننى ممتن لذلك وهو ما أسعى إليه، وإننى لن أتغير عما ذكرته لكم شفويا،

إن شاء الله أنا أتوقع فى الوقت الحاضر مفاوضات مستمرة مع الحكومة العثمانية بما يشرح الفؤاد.

وعلى أيضا أن أخبركم أنه فى يوم 11 من الشهر الجارى سوف أصل مفرق «جبيل» وهذه المرة تسلمت معلومات من المبعوث العثمانى الذى وصل مباشرة من اسطنبول واسمه بكباشى سيد «عمر بك ماردينى» والى البصرة سابقا والآن والى سورية، ويحمل معه رسائل شفهية وخطابات وينوى أن يتوسط بينى وبينهم، وقد وصل إلى البصرة وسوف يصل إلى الكويت وربما يكون قد وصل. وطبعا سوف يقابلنى وسأقابله قريبا جدا فى طريق الكويت إذا كتب الله ذلك. ولم أحب أن أراه حتى أخبركم لكى تعلمونى بالمطلوب وبأى شكل يكون، بالطبع فأنتم تعلمون أننى أتمسك بكلمتى، وأنا ثابت على الأمر الذى قد يقربنى باتجاه صداقة الحكومة البريطانية ويوقف اقترابى من العثمانيين إلا فى الحالات التى لا حول لى فيها، فعندئذ أسير فى طريق فيه مصلحتى، وإن شاء الله الآن تخبرونى باللازم، فقد أخذت كلامكم الأول بعين القبول، ولكنكم تعلمون أن رجل الأعمال يرغب أن يعلم الحقيقة ويحل مشكلته والنية معلومة لديكم. أرجو منكم أن تخبرونى عن طريق تابعى يوسف الذى أثق به، حتى أتفاوض مع مقامكم وحتى أستطيع أن أهتم بمصالحى. والله يحفظكم والسلام(37).

يتضح من هذه الرسالة مدى قوة علاقة ابن سعود واعتماده الكامل على بريطانيا فى خططه المستقبلية، وخاصة اتفاقه مع العثمانيين وسبب تأخر هذه الاتفاقية راجع إلى تلك العلاقة، وإلى توجيهات وتعليمات البريطانيين الذين كانوا يفكرون ويخططون لمصلحة بريطانيا العليا قبل ابن سعود. فقد كتب المعتمد السياسى البريطانى فى البحرين إلى المقيم السياسى يقول: أرسل ابن سعود رسولا سريا مع هذه الرسالة، واجتمعت به. قال إن ابن سعود يرغب فى عقد اجتماع آخر معى. وسألنى فيما إذا كنت أستطيع أن أرتب ذلك. اجبت إننى أرغب كثيرا فى مقابلة ابن سعود مرة أخرى، ولكنى لا أظن أنه من الصواب أن اذهب لمقابلته

بدون موافقــة من سلطة عليا، إذ قد يكون ذلك محل اعتــراض، بسبب المحادثات التمهيــدية التى تدور فى لندن الآن. وعلى أى حال فلا أعتقد أن لدى مــا أضيفه إلى مــا قلتــه فى اجــتـمـاعــنا الماضى وفى رســالتى رقم 514 إذ ليــست لدى أية مــعلومات جــديدة، وقلت لا يــبدو أن هناك ضرورة فــورية للوصــول إلى حل، واقترحت التأجيل، ومن الطبيــعى أن يشعر ابن سعود بالقلق، لأنه يريد أن يعرف مســبقا مــا إذا كانت الحكومة البــريطانية قد تمكنت مــن عمل أى شىء من أجله. أرجو أن تخبرونى إذا كان على أن أنفذ رغبــات ابن سعود وأجتمع به فى مكان ما على الساحل أم أن عليه أن يجتمع مع المعتمد السياسى البريطانى فى الكويت[38].

ثم بعد حصول المعتمد السياسى الــبريطانى فى البحرين على تعليمات من حكومته كتب إلى ابن سعود يقول: فى هذه الأثناء لا يبدو أن ثمة ما يدعو إلى الاستعجال وأننى أنصحكم بالانتظار، وإذا كنتم متجهــين إلى الكويت، فقد أقترح أن تتصلوا بالمعتمــد السياسى البريطانى هناك قــبل عقد الاجتــماع فعلا، وقد أجــريت حديثا حول هذا الموضوع كله مع رسولكم يوسف[39]. وبعدها أبرق المقيم السياسى إلى حكومــة الهند فى 11/ 4/ 1914 يقــول: أتشرف بأن أرفق طــيا صــورة من خطاب المعتمد السياسى فى الكويت، المرسل إلى عنوان، وهو ذو طابع مثير للاهتمام، إذ يتعلق بمحــاولات السلطات العثمــانية فى البصــرة للدخول فى مفــاوضات مع ابن سعود[40] مما جاء فى رســالة المعتمــد السياسى البريطانــى فى الكويت إلى المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى بأنه:

تسلم الشيخ مبارك أمس رسالة من ابن سعود وبطيها نسخة من رسالة كانت قد وصلته من المعتمد السياسى البريطانى فى البــحرين ويطلب فيها النصيحة، وقد سألنى الشــيخ عن الرد الذى يجب أن يبــعث به. فأجبــته أن على ابن ســعود أن يوالى العمل بنصيحــة تريفور (المعتمد السياسى البــريطانى فى البحرين) وأن يمتنع عن القيام بأى عمــل فى الوقت الحاضر، ثم أخبرنى سعادتــه بصراحة أن ما يريده ابن سعــود هو نفس الوضع الذى وفرته لشــيخ الكويت، الاتفاقــية البــريطانية -

العثمانية التى وقعت مؤخرا أى حكم ذاتى مع حماية بريطانية وسيادة عثمانية، وأضاف أن اتفاقية أخرى سينتج عنها فى رأيه مشاكل لا حد لها فى المستقبل للعرب وللعثمانيين ولنا، فأجبته أن الموضوع قد أحيل إلى حكومة بريطانيا، وأن خير فرصة أمام ابن سعود للوصول إلى حل يرضيه هو أن يتقيد ضمنيا بالتعليمات التى تسلمها، وقد وافق الشيخ مبارك على ذلك[41].

نرى من تلك الرسالة جهود الشيخ مبارك فى تقريب وجهة نظر ابن سعود مع بريطانيا بعدما لم ينجح ابن سعود فى تحقيق ما كان يصبو إليه، وهو الحصول على اتفاقية مماثلة كوضع الكويت، بأن يكون تحت الحماية البريطانية بالحكم الذاتى وبنفس الوقت يتمتع بوظيفة قائمقام عثمانى تحت السيادة العثمانية، ولكن بريطانيا رفضت رفضا قاطعا وطلبت من ابن سعود الالتزام بالتعليمات البريطانية، وقد يرجع ذلك إلى تخوف بريطانيا من أن تفقد المصالح والامتيازات التى حصلت عليها من الاتفاقية الإنجليزية - العثمانية لعام 1913 والالتزام بها وعدم إغضاب العثمانيين، لأن البريطانيين كانوا فى صدد الحصول على امتيازات سكة حديد بغداد، إضافة إلى وجود قبائل «الشمر» القوية فى شمال الرياض والمعادية لبريطانيا مما يخلق متاعب والتزامات هى فى غنى عنها من التورط فى عمق الجزيرة العربية.

أرسل المعتمد السياسى البريطانى فى الكويت إلى المقيم السياسى فى الخليج العربى يبلغه بأن خطط العثمانيين بشأن المفاوضات تغيرت مرة أخرى، وقد وصلت رسالة من السيد طالب النقيب تفيد أن هذه الأمور قد عهدت إليه، وأنه سوف يتوجه إلى الكويت بصحبة عمر فوزى رئيس أركان بغداد إلى «الصبيحة» التى تبعد عشرين ميلا جنوب مدينة الكويت للاجتماع بابن سعود[42].

دوافع اتفاقية الصبيحة:

لعبت عدة ظروف داخلية وخارجية فى اتفاقية «الصبيحة» وذلك بعد أن نجح ابن سعود فى الاستيلاء على الإحساء أثناء انشغال العثمانيين بالقضايا الداخلية والخارجية وخاصة حروبها فى أوروبا الشرقية وفى البلقان.

أولا: الدوافع الداخلية:

1 - لم تحاول الدولة العثمانية استعادة الأحساء من ابن سعود لعدم جدوى عملية الاسترجاع.

2 - استعادة الإحساء يتطلب إرسال حملة عسكرية مما يعنى إيجاد نفقات مالية باهظة التكاليف فى الوقت الذى كانت الدولة العثمانية تمر بأزمة مالية وتحاول الحصول على قروض من الدول الأوربية.

3 - أن إرسال حملة عسكرية تقليدية صغيرة قد يؤدى إلى الفشل مما يؤثر على سمعة الدولة العثمانية وبالتالى تكون لها نتائج سلبية.

4 - وإذا ما نجحت هذه الحملة فإن بقاء قوات صغيرة فى منطقة توجد بها قبائل قوية مثل «العجمان» و «المطير» و «المرة» وهم يميلون إلى الاستقلال والثورة والمقاومة أمر محفوف بالأخطار.

5 - كما أن معظم الجنود الذين كانوا تحت تصرف الدولة العثمانية فى هذه الفترة كان معظمهم من العرب وخاصة من العراق.

6 - زادت الخلافات بين العرب والاتحاديين الذين نادوا بالقومية التركية وفرض آرائهم وقوميتهم على العرب الذين قد يرفضون التدخل التركى كما حدث فى اليمن عندما رفض أئمة «الزيود» التدخل العثمانى فى اليمن.

7 - تزايد الخلافات بين العثمانيين وقبائل المنتفق فى جنوب العراق والذين كانت الدولة العثمانية تعتمد عليهم فى إرسال حملاتها إلى الإحساء، ثم إن قبائل المنتفق كانت لهم مطالب وكانوا ثائرين لأجلها فى ذلك الوقت فلا يمكن للدولة العثمانية والحالة هذه أن تعتمد على ولاء هذه القبائل فى إخلاصها إلا بعد أن تجيبهم إلى مطالبهم.

8 - لم تكن هناك فائدة من الإحساء، فالدولة العثمانية لا تجبى منها ضرائب ولا تأخذ منها جنوداً للخدمة العسكرية بل كانت تنفق عليها أكثر مما تأخذ منها فى السابق.

9 - كان جيش الدولة العثمانية فى العراق مشغولا فى ذلك الوقت بإخماد الفتن فى مناطق أخرى «كالموصل» و «البصرة» ضد المنتفق[43].

ثانيا: الدوافع الخارجية:

1 - استنزاف جبهة البلقان وخروجها خاسرة خسائر كبيرة مادية وعسكرية وسياسية.

2 - الضغط الروسى فى الشمال.

3 - تسوية الحدود وعقد اتفاقية 1913 و 1914 بين الدولة العثمانية وبريطانيا لاستقرار منطقة الخليج والجزيرة العربية.

4 - المحادثات البريطانية - الألمانية لتسوية مشكلة سكة حديد بغداد.

5 - المحادثات بين إدوارد غرى وزير خارجية بريطانيا وحقى باشا وزير خارجية الدولة العثمانية فى لندن.

6 - معارضة بريطانيا إستخدام القوة العسكرية العثمانية ضد ابن سعود وحثهما على إيجاد حل سلمى بينهما. كما منعت حملة عسكرية لمحاصرة ميناء «العقير» إذ وقفت بريطانيا ضدها ولم تسمح بإرسال سفن عسكرية من البصرة إلى الإحساء بحجة المحافظة على أمن الخليج العربى.

7 - فشلت الدولة العثمانية فى إرسال جنودها على سفينة روسية بقيادة والى البصرة سليمان شفيق باشا، إذ ما كانت هذه القوات تدخل البصرة حتى تفشت بها الأوبئة وشلت حركتها واضطر إلى توزيعها على مستشفيات المنطقة[44].

رأت الدولة العثمانية أن تعترف بالأمر الواقع، ونظرا لتلك الدوافع الداخلية والخارجية فإن الدولة العثمانية اتجهت إلى اتخاذ سياسة سلمية إزاء ابن سعود وأن تعقد معه اتفاقية الصبيحة وتجعله تحت سيادتها وموظفًا ضمن إدارتها وتحافظ على

سمعتها فى العالم الإسلامى وتستطيع أن تنصرف إلى مشاكلها الأخرى وتمنع ابن سعود من الاتصال بالحكومة البريطانية حتي لا يتسرب النفوذ المسيحى الاستعمارى البريطانى إلى منطقة الإحساء وتجنب ما حدث للكويت كحماية بريطانيا المسيحية.

موقف الشيخ مبارك من مفاوضات ابن سعود والعثمانيين:

تباينت الآراء حول موقف الشيخ مبارك من مفاوضات ابن سعود والدولة العثمانية، فقد لاحظنا من خلال الوثائق البريطانية والمراسلات العثمانية السابقة توجه الحكومة العثمانية الاستعانة بثلاث شخصيات عربية ومن بينهم الشيخ مبارك إلى جانب السيد طالب النقيب والشيخ خزعل، وفى حين يرى البعض أن الشيخ مبارك كان هو الذى يطمع فى الوساطة وحاول أن تكون الكويت مقرا للاجتماع، وكتب إلى سليمان شفيق باشا والى البصرة فى هذا الشأن ولكن الحكومة العثمانية لم تشأ أن تجعل حاكم الكويت يستغل الموقف(45). وقد نختلف مع هذا الرأى لأن مبارك كان يرفض عقد الاجتماع فى الكويت خوفا أن يستغلا ذلك لصالح السيادة العثمانية ولكن بريطانيا مارست الضغط على الشيخ مبارك لكى يوافق على جعل الكويت مقرا للاجتماع، إضافة إلى تردد الشيخ مبارك مع عمر فوزى المبعوث العثمانى الذى زاره تمهيدا للاجتماع بابن سعود، فرفض أن يعطيه توصية وإنما كتب الشيخ مبارك عبارات قصيرة لا تحمل أى نوع من التوصية، وقد جاء فى المقابلة التى قام بها المعتمد السياسى البريطانى فى الكويت مع الشيخ مبارك فى 29/ 3/ 1914 إذ قال الشيخ مبارك:

«إن ضابطا عثمانيا برتبة بكباشى وصل إلى الكويت، موفدا من قبل وزارة الحربية العثمانية فى إسطنبول يحمل تعليمات ليسعى لإقناع الشيخ مبارك، بترتيب مقابلة بينه وبين ابن سعود وإذا أمكن فى الكويت نفسها. ورد الشيخ مبارك على البكباشى قائلا: «إن هذا أمر مستحيل»، عندئذ طلب البكباشى إلى الشيخ أن يزوده بخطاب يحمله معه إلى نجد، ليعرفه ويوصى به إلى ابن سعود، أجاب الشيخ مبارك بأن كل ما يستطيع أن يفعله، هو تزويده بخطاب قصير خال من أى

توصية من أى نوع. فرد المبعوث العثمانى قائلا: إن رسالة كهذه لا نفع منها أبدا، وأجرى البكباشى بعد ذلك مقابلات أخرى مع الشيخ مبارك، ولكن حسب المعلومات التى حصل عليها المعتمد السياسى البريطانى فى الكويت فإن البكباشى حصل على نفس الأجوبة(46).

نلاحظ تردد الشيخ مبارك وتخوفه من إغضاب الحكومة الاستعمارية البريطانية فى التوسط أو عقد اجتماع فى الكويت، فقد سأل الشيخ مبارك المعتمد السياسى البريطانى فى الكويت عما إذا كان راضيا عن الأجوبة التى أعطاها للبكباشى، فقيل له، إنه فى رأى ممثل الحكومة البريطانية كان حكيما فى التخلص من الضلوع فى أمور لا دخل له فيها(47).

يرى البعض أن الشيخ مبارك حاول ألا تحدث المفاوضات بين العثمانيين وابن سعود إلا بحضوره وأنه كان يسعى إلى عدم اتفاق الطرفين مستهدفا أن يفوز هو بحكم الإحساء المجاورة لإمارته، ومن هنا كانت محاولته أن تكون له رئاسة الوفد العثمانى المفاوض ليؤمن مصالح الكويت على حساب الحقوق العثمانية ولكنه لم يستطع بدليل الرسالة التى بعث بها مع ابنه جابر لابن سعود عندما وصل «الصبيحة» يقول له فيها: إن الدولة العثمانية لا تقصد من وراء هذه المفاوضات سوى الخداع والمراوغة ولم تطلب منك ما تطلب إلا بعد أن شعرت بضعفها وبعدم تمكنها منك، بالقوة تريد أن تكبلك باتفاقية ثقيلة البنود من ورائها، اطرد الوفد العثمانى ولا تدخل معهم بأية مفاوضات كانت. بعدما قرأ ابن سعود تلك الرسالة ذهل لما جاء فيها فاختلى بجابر وأوقفه على مضمونها وقال له: «إن والدى الشيخ مبارك يحذرنى من البريطانيين ويحذرنى من العثمانيين فهل يظن أنى أتمكن من محاربة الدولتين؟» فجعل جابر فى حيرة قائلا: «كلا يا أخى انظر إلى ما فى مصلحتك واترك أقوال الناس»(48).

اشترك الشيخ مبارك فى المفاوضات فكتب إلى ابن سعود يدعوه للحضور إلى الكويت فرد ابن سعود على رسالة الشيخ مبارك قائلا:

«عندما وافقت على الحضور إلى الكويت كنت أطيع إرشاداتكم فيما يتعلق بالطاعة والخضوع لحكومتنا - ولكنكم تعلمون جيدا مدى الاحتقار والازدراء اللذين عاملنى بهما موظفو الحكومة (الحكومة العثمانية)، ولابد أنكم رأيتم كيف تحملت تصرفاتهم بصبر طيلة السنوات الماضية، ومع ذلك لم أر منهم على الإطلاق شيئا يمكن أن يواسينى. وأما الآن، ولله الحمد، فأنا فى وضع يمكننى من عمل أشياء عظيمة تصل حتى العراق، لولا أننى لا أرغب أن أكون السبب فى مزيد من الاضمحلال للحكومة وفى ثورة إضافية يقوم بها العرب.

والآن قد استعدت بلدى وأنت شاهد على ذلك يا مبارك، وكنت أنت قد ذهبت إلى الإحساء مع قوة لحمايتى ثم خنتنى بعد ذلك أنت وجنودك! وأنا أسألك هل كان صحيحا أم غير صحيح ما ذكرته عن الصعوبات التى لحقتنى من المسؤولين، وعن الخضوع والطاعة اللذين أبديتهما، وبالنسبة لحثك إياى الآن على الخضوع للحكومة، فأنا لم أعصك فى الماضى ولن أفعل ذلك الآن فإذا أعطيت الشيء الذى يضمن حقوقى ومنحت حماية أمينة لنفسى ولشؤونى عندئذ يصبح الخضوع واجبا مؤكدا علىّ فالله يحفظكم لنا»[(49)].

أصدرت حكومة الهند تعليماتها إلى المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى ورضاها عن سير المفاوضات وقالت: لما كان الباب العالى قد أخبر السفير البريطانى فى أسطنبول أنهم يعلقون آمالا كبارا على الوصول إلى تسوية مرضية مع ابن سعود بأنفسهم، فقد قررت الحكومة البريطانية لأسباب تتعلق بسياستها العامة أن لا تصر على الوساطة. وقد جاء هذا القرار نظرا لاشتراك الشيخ خزعل ومبارك فى المفاوضات حيث إن الحكومة البريطانية تثق ثقة كبيرة بهما، ونحن الآن نخولك أن تخبر ابن سعود عن طريق المعتمد البريطانى فى الكويت أنه لا مانع من أن يفاوض العثمانيين مباشرة وأن الباب العالى قد أحيط علما برأى الحكومة البريطانية وفى الوقت نفسه يجب إعلام شيخ الكويت أنه لا مانع من عرضه تقديم مساعدته فى سير المفاوضات كما يجب إعلام الشيخ مبارك أيضا بأن ينقل وجهات

نظر الحكومة البريطانية ورغباتها الأربع المفصلة في المذكرة الموجهة إلى حقى باشا بتاريخ 9/ 3/ 1914 وهى كالآتى:(50).

أ- أن لا يتدخل ابن سعود فى سياسة الحكام العرب فى الخليج العربى بما فى ذلك قطر ولا فى حدودهم.

ب - أن يتعاون ابن سعود كما يفعل الحكام العرب فى القضاء على القرصنة وفى الحفاظ على الهدنة البحرية عموما.

جـ- ويفعل الشيء نفسه فى القضاء على تجار الأسلحة.

د - وأن يسمح للتجار البريطانيين بأن يذهبوا إلى القطيف وأن يعاملوا فيها معاملة حسنة.

لإزالة شكوك ابن سعود تجاه الشيخ مبارك واشتراكه فى المفاوضات كتب وزير خارجية بريطانيا إلى سفيره فى اسطنبول يقول: حكومة الهند لا ترغب أبدا أن تخلق فى ذهن ابن سعود الانطباع أن حكومة بريطانيا غير مهتمة به وتشك فى قيام المفاوضات حقيقة بواسطة شيخ الكويت.

اجتماع الصبيحة:

جاء ابن سعود فى مساء 26/ 4/ 1914 إلى «الصبيحة» بصحبة جمع كبير، وفى وقت مبكر من صباح 27/ 4/ 1914 أرسل الشيخ مبارك سكرتيره ليخبر المعتمد السياسى البريطانى فى الكويت أنه طلب من ابن سعود أن يحضر إلى منطقة «ملح» وهى فى منتصف الطريق بين الكويت و«الصبيحة» من أجل الاجتماع معه، كما بعث ابن سعود برسالة إلى المعتمد السياسى البريطانى فى الكويت يقول فيها بأنه سيحضر إلى «ملح» صباح اليوم التالى ويأمل أن يستطيع المعتمد البريطانى الحضور، إذ أنه حريص جدا على الاجتماع به بأسرع وقت ممكن، وقد ذهب المعتمد السياسى البريطانى فى الكويت لمقابلة ابن سعود قبل اجتماع «الصبيحة» وقال:

بعد الاستفسارات الودية المعتـادة بدأت أنا المقابلة ولم يكن معنا أحد شارحا لابن سعود الجـزء الذى يخصه من تعليـمات الحكومة البريطانيـة وقد لاحظت أنه أصيب بخـيبة أمل وكان فى البـداية ميالا إلى التـفكير بأنه قد سـمح له بأن يتبنى آمالا ما كان يكتب لها أن تتحقق، ولكننى لم أجد صعوبة فى إزاحة هذا الرأى إذ شرحت له أن الحكومة العثمانيـة هى التى رفضت عرضنا للتوسط وأن الحكومة لم تستطع أن تفرض عليهم المساعدة التى لم يريدوها، وقد أخبرته بموجب التعليمات أنه ليس هناك ما يمنع مـن قيام مفـاوضات مباشـرة بينه وبين العثمـانيين وأن آراء الحكومة البريطانية نقلت إلى الباب العالى[51]. ويقول المعتمـد السياسى البريطانى فى الكويت فى تقرير عن مقابلته مع ابن سعود، بأنه من المؤكد أن الشيـخ مـبارك وغيره من الأصدقاء قد أوحى إليه بتلك الثقة فـينا وهذا ما يفتقده فى العثمانيين، ولكن ابن سعود بدا خائفا من أنه فى حالة غياب وعـد محدد، كما هو مشار إليه أعلاه، فقد يترك فى مـواجهة عمليات هجومية من البحـر ومن البر وقد يشعر أنه مجبر على القبول بأفضل الشروط الممكنة لنفسه فى المفاوضات الوشيكة[52].

وصل الوفد العثـمانى إلى الكويت وكان يتكون من السيـد طالب بك نقيب زاده رئيسـا والبكباشى بهـاء الدين بك رئيس الأركان فى بغـداد والبكباشى عـمر فوزى بك رئيس الأركـان فى البصـرة وقد سبق له أن زار الكويـت وسامى أفندى متصـرف الإحساء يرافقه عـمر بك ومحام من البصـرة ومحمد النعمـة من أعيان العرب ومن ذوى الأملاك، وعـبد الوهاب المنديل وعبد اللطيف المـنديل وكلاهما من الأعيـان ومن ذوى الأملاك ويمـثلان ابن سـعود كوكـلاء فى البصـرة وكانت تعليمات اللجنة هى أن تتوصل إلى حل ودى للمشكلة[53].

لم يتم الاتفاق على تسوية لكن مطالب ابن سعود بالاستقلال الداخلى تحت ظل العلم العثمانى قـد رفعت إلى الباب العالى[54]. وسافر السيد طالب النقيب إلى اسطنبول للتبـاحث مع حكومتها والاتفاق على البنود المتعلقـة بالأحساء، وقد لاحظ العثمانيـون أن المعتمد السياسى البريطانى فـى الكويت زار ابن سعود مرتين

أثناء المفاوضات[55]. مما جعل وزير الهند فى لندن يرسل برقية عاجلة إلى نائب الملك فى الهند يستفسر عما حدث ويقول: «يرجى إعلامنا بأسرع ما يمكن فيما إذا كان المعتمد السياسى البريطانى فى الكويت قد زار ابن سعود خلال المفاوضات ولأى غرض وفى أية فترات»[56]. وكان من الطبيعى أن يتستر نائب الملك عن ذلك حتى لا يتم تصعيد الموقف وأن تسير المفاوضات بشكل تام وأرسل برقية إلى وزير الهند فى لندن ينكر ذلك بقوله: «إن المعتمد السياسى البريطانى فى الكويت لم يجر مقابلة أخرى مع ابن سعود وما زعم فى هذا الشأن لا أساس له»[57].

دارت المفاوضات فى «الصبيحة» حول وضع الإحساء ووضع حامية عثمانية وغيرها من امور وهى: [58].

أولا: أن يقبل سيادة الدولة العثمانية عليه وعلى بلاد نجد.

ثانيا: أن يكون متصرفا للإحساء عشر سنوات من قبل الدولة العثمانية ويجوز تجديد هذه المدة.

ثالثا: أن يؤدى ستة آلاف ليرة إلى خزانة البصرة.

رابعا: أن يوافق على أن ترابط حامية عثمانية فى العقير لتحصين القلاع وبسط الأمن فى داخلية البلاد.

خامسا: أن لا يبرم معاهدة مع دولة ما وأن يخضع للمعاهدات التى تعقدها الدولة العثمانية.

لم تكن المفاوضات بين الجانبين سهلة لاختلاف وجهات النظر، فالحكومة العثمانية تريد إعادة الحاميات العثمانية إلى الإحساء وعودة السيادة العثمانية على نجد بشكل رسمى، أما ابن سعود فهو يريد أن ينفرد بحكم نجد وأن يصير متصرفا على الإحساء فى الوقت نفسه، ولكن العثمانيين طلبوا من ابن سعود:

أولا: أن يعيدوا حامياتهم فى «القطيف» و«العقير» وأن يقيموا مراكز جديدة فى منطقة الإحساء لتعزيزها.

ثانيا: عليه أن يلغى كافة مراكزه فى الإحساء والعقير.

ثالثا: عليه أن يسلم كافة الأسلحة التى غنمها.

رابعا: عليه أن يتعهد بألا تكون له علاقات مع أى شخص أجنبى أو حكومة أجنبية. وبالمقابل عرض العثمانيون على ابن سعود أن يعترفوا له بالحكم الذاتى، ويسمحوا له بجباية الضرائب وما إلى ذلك وإعطاءه وعدا شفويا بالسماح له باستعادة قطر وعمان. وقد عرض ابن سعود أن يعترف بسيادة العثمانيين فى حالة الاحتفاظ «بالقطيف»و «العقير» و «الإحساء» وأن يدفع 3000 ليرة عثمانية كإتاوه سنوية وأن يساعد العثمانيين عسكريا وقت الحاجة، وقد رفض أن يسمح للعثمانيين بإعادة حامياتهم وكانت هذه المرحلة هى التى انقطعت عندها المفاوضات(59).

استمرت المفاوضات بين الدولة العثمانية وابن سعود، وأخبر وزير الداخلية العثمانية السفير البريطانى فى إسطنبول، بأنه تم التوصل مع ابن سعود الذى سيعينه الباب العالى واليا على نجد، كما أن العثمانيين لم يقبلوا أية إتاوة منه وأن ابن سعود وافق على إقامة حاميات عثمانية فى العقير والقطيف(60). وأخيرا تم التوصل إلى اتفاق بين الطرفين على أساس:(61).

1 - أن تبقى ولاية نجد تحت حكم ابن سعود ويخلفه فى حكمها أبناؤه بمقتضى فرمان سلطانى شريطة أن يظل مخلصا للحكومة العثمانية.

2 - أن يقوم ابن سعود بتعيين موظف عسكرى عثمانى، أو يمكن أن يسمى «تركيا» على أن يكون مقره فى المكان الذى يريده ابن سعود، وأن يستخدم مدربين عسكريين عثمانيين إذا شاء.

3 - أن يتمركز جنود عثمانيون وجندرمة فى المدن والموانى.

4 - أن يدير ابن سعود الجمارك والعوائد والموانى والفنارات، وذلك طبقا للأنظمة العثمانية.

5 - يرسل إلى الأستانة عشر الإيرادات المحلية والفائض من المعونة السلطانية.

6 - يرفع العلم العثمانى على المبانى والسفن.

7 - أن توجه طلبات الأسلحة إلى وزارة الحربية فى الأستانة.

8 - أن لا يسمح للوالى ابن سعود بالمداخلة فى الشؤون الخارجية أو المعاهدات الدولية أو منح امتيازات للأجانب.

9 - أن يكون اتصال ابن سعود بوزارتى الداخلية والحربية العثمانية مباشرة.

10 - إقامة مكاتب بريد فى ولاية نجد وتكون الطوابع عثمانية.

11 - فى حالة نشوب حرب بين الدولة العثمانية ودولة أجنبية إذا طلبت الحكومة من الوالى المذكور قوة تتعاون مع قواتها فعلى الوالى أن يعد قوة كافية بإمداداتها ومؤنها ويستجيب للطلب فى الحال حسب قوته وإمكاناته.

انتهت المفاوضات بين ابن سعود والدولة العثمانية إلى اتفاق تم التوقيع عليه فى 15 مايو 1914 اعترف فيه ابن سعود بالسيادة العثمانية على نجد والإحساء ويتعيينه واليا عثمانيا على نجد طيلة حياته على أن يرثه فى الحكم اولاده وأحفاده وأشار الاتفاق إلى أجداده على أنهم من الولاة. وتعهد ابن سعود بأن لا يحل أو يتعامل فى الشؤون الخارجية وأن لا يعقد معاهدات دولية أو يمنح أية امتيازات إلى الأجانب. واستلم الشيخ مبارك رسالة من البصرة جاء فيها بأن قضية ابن سعود مع الحكومة العثمانية تمت تسويتها حسب رغباتها، وتم دعم السلام بين الطرفين وحقنت دماء المسلمين وعين واليا وقائدا عاما على نجد بدون تدخل، وسيكون فى يديه تجميع الرسوم والضرائب، ومنها يدفع نفقات البلاد وما زاد يرسل إلى الأستانة كما هو مطلوب، وأن يطلب من الحكومة أن ترسل مدافع وأسلحة صغيرة عند اللزوم وتكون مراسلاته مباشرة مع وزارة الداخلية ووزارة الحربية وليس من خلال والى البصرة وعليه أن يرفع الأعلام العثمانية فى كل بلدة فى نجد قريبها وبعيدها وسيصدر عن الباب العالى فرمان بهذا المعنى(62).

صدر فرمان سلطاني في 8 يوليو 1914 بمقتضى اتفاق «الصبيحة» منح فيه ابن سعود لقب باشا ولقب والي نجد والإحساء وورد فيه «أن جلالة السلطان واثق من حمية ابن سعود وصدق عثمانيته وأنه يمنحه سلطة تجنيد الجنود وتسليحهم والمحافظة على الأمن والنظام وإجراء العدل بين القبائل واكتساب ولائها للعرش العثماني»[63]. وقد بعث السفير البريطاني في أسطنبول برقية إلى وزير خارجيته في 9 يوليو 1914 جاء فيها «عين ابن سعود واليا على نجد أمس، وقال لي وزير الداخلية إنه وفقا للاتفاق الذي تم التوصل إليه معه لا يستطيع الدخول في علاقات مباشرة أو توقيع معاهدات مع دول أجنبية»[64]. وأرسل وزير خارجية بريطانيا برقية إلى سفيره في إسطنبول بتاريخ 13/ 7/ 1914 بأن حقي باشا وزير خارجية الدولة العثمانية أدلى في لندن بالتصريح الرسمي الآتي:

«صدر فرمان إمبراطوري يسمي ابن سعود حاكما عاما وقائدا للقوات في نجد وله سلطات والٍ وحق إيجاد ميليشيات محلية لحفظ النظام والأمن العام في نجد. سيتم إنشاء حاميات على الساحل وسيزداد عدد جنودها إذا ما طلب ابن سعود ذلك ولن يكون لابن سعود الحق في عقد معاهدات أو الدخول في ارتبطات مع دول أجنبية ولن يكون له الحق في منح الامتيازات. وأنه ملزم دائما باحترام المعاهدات بين الدولة العثمانية والدول الأخرى، والأجانب في نجد يحق لهم أن يقدموا طلبات في ما يتصل بمصالحهم وعملهم وفقا لنصوص المعاهدة إلى السلطات المحلية وإلى ابن سعود بصفته واليا[65].

بعث أنور باشا وزير الحربية برقية إلى ابن سعود بمناسبة صدور الفرمان بقوله: «يسعدني جدا أن أبارك لكم وأهنئكم ، وادعو الله أن يتوج كافة أعمالكم بالنجاح لتعزيز الدين الإسلامي وأن يقويكم في خدمة الدولة العثمانية المجيدة، كما أرجو لكم السعادة والنجاح في كافة أموركم، ولكم أن تأمروني في كل شيء»[66].

تقييم اتفاقية «الصبيحة»:

قبل ابن سعـود ذلك الاتفاق برحابة صدر مع أنه لم يدفع للدولة العثـمانية شيئا من المال فيما بعد نظرا للعـجز المالى الذى كانت تعانيه نجد، إضافة إلى ذلك فإن ابن سعود سـيحصل على 250 جنيها عثـمانيا على اعتبار أنه والـى عثمانى ومتصـرف الأحساء وعليه القـيام بتحصيـل الرسوم الجمركيـة مقابل تسديد قـيمة عشرها للحكومة العثمانية من هـذه الرسوم وأصبح اتصاله مباشرة بأنور باشا وزير الحربية العـثمانى وكان على ابن سعـود أن يبقى على عهده مع الدولة العثـمانية، فحاول تجميع الزعماء وشيوخ القبائل للعمل تحت سلطان الدولة العثمانية بناء على رغبة والى البصرة العثمانى. كما ضمن ابن سعود حسب اتفاقية «الصبيحة» مصدرا آخر للسلاح وكان العثمانيون حريصون على الوفاء به(67).

نجد أن ابن سعود قبل اتفاقية «الصبيحة»، كان يطمع أن يصبح تحت الحماية البريطانية وقد سعى لها بكل جهوده، وذلك لعدة أسباب أهمها:

أولا: يتمتع بعدة مزايا من أهمـها أنه لا يدفع رسوم وإيرادات نجد والأحساء إلى بريطانيا، على عكس مـا كان يدفعه للدولة العثـمانية التى كانت تعتـبر جمع الأموال من أهم أعمال السيادة الداخلية، أما بريطانيا فإنها سوف كانت تعطيه المال والسلاح كما تفعل مع حكام شرق الجزيرة العربية.

ثانيا: يضمن لنفسه ولأسرته حكما وراثيا تحت حـمايتها، كما حدث لحكام المشـيخـات فى شـرق الجزيـرة العربيـة، والذين حـمـتهم بريطانـيا من الثـورات والانقلابات لأكثر من قرن ونصف ولا زالت تحميهم، على عكس العثمانيين الذين لا يتدخلون فى الشؤون الداخليـة مثلما حدث فى قطر والكويت ونجد، فـتخوف ابن سعود كان ناتجا من قبائل «الشمر» القوية فى شمال الرياض وتهديدهم الدائم، وكذلك قبائل «العجمـان» القوية فى شرق «الرياض» فى الأحساء والذين كانوا فى حرب ضد آل سعود منذ عهد جده فيـصل بن تركى، إضافة إلى تهديد العثمانيين وعدم الثقة فيهم من أن يقوموا بحملة ضد ابن سعود كما فعلوا ضد عمه عبد الله

ابن فيصل الذى كان قائمقام عثمانى على نجد والأحساء ثم مع عمه الثانى سعود ابن عبد الله عام 1871.

يقول المؤرخ البريطانى «لزلى مكلوغلن» فى كتابه «ابن سعود مؤسس مملكة»:

«فى وسعنا أن ندرك وفق سجلات الكابتن «شكسبير»، مقدار إلحاح ابن سعود على إقامة علاقات رسمية مع بريطانيا، وكانت المباحثات بينهما تتناول إمكانيات مختلفة، من المساعدة المالية البسيطة إلى وضع الحماية الرسمية، لكن «شكسبير» كان مزودا على الدوام بتعليمات صارمة من لندن، وخصوصا من مكتب وزارة الخارجية البريطانية وأنه يجب ألا يحدث ما يزعج العثمانيين تحت أى ظرف من الظروف، فقد كانت بريطانيا خلال العام 1913 منغمسة فى محادثات مكثفة مع العثمانيين بهدف الوصول إلى اتفاق رسمى لحل المسائل كافة العالقة بين البلدين فى منطقة الخليج والجزيرة العربية، على خلفية الاستقطاب الذى بدأ يتجه بأوربا نحو معسكرين متضادين، كانت كل الجهود مبذولة لمنع سقوط الدولة العثمانية فى أحضان معسكر دول المحور النمسا - هنغاريا وألمانيا، وبناء عليه كان الخط الذى رسمه مكتب وزارة الخارجية وفق تعبير مسؤول رفيع المستوى فى مكتب "الهند كان هذا الخط يقوم على «التظاهر وكأن ابن سعود غير موجود»[68].

وجدت هناك خلافات حادة فى وجهات النظر بين مسؤولى حكومة الهند ووزارة الخارجية البريطانية، بحيث إن وزير الخارجية البريطانية نفسه «سير إدوارد غراى» اضطر أن يتدخل فى النقاش حول مسألة الجزيرة العربية بينما هو منهمك ليل نهار فى معالجة تهديد الحرب العالمية الأولى الذى كان يدق أبواب أوربا فى 18 مايو 1914 أى قبل ستة أسابيع من اغتيال الدوق «فرديناند» فى «سراييفو» وكان «سير إدوارد غراى» مجبرا أن يطبق القانون وبحسب الاتفاق المعقود بين بريطانيا والدولة العثمانية والذى كان ابن سعود بموجبه ضمن الأراضى العثمانية وخاضعًا

تحت السيادة العثمانية ويجب أن يعامل كذلك باعتباره «بمثابة موظف عثمانى ولا شيء سوى ذلك» حسب تعبير الحكومة البريطانية(69).

يبدو أن ابن سعود لم يكن يعرف ماذا تعنى اتفاقية 1913 بين بريطانيا والدولة العثمانية، كذلك بالمباحثات الألمانية - البريطانية حول سكة حديد بغداد وشركة النفط العثمانية فى شمال العراق ومصالح بريطانيا فى الدولة العثمانية إضافة إلى الأجواء المتوترة والتحالفات والأوضاع فى أوربا، وقد يكون ابن سعود يدرك ذلك ويريد التخلص من واقع الاتفاقية الأنجلو - العثمانية لعام 1913، والتى تجعل منه «موظفا عثمانيا»، والدخول تحت الحماية البريطانية وبالتالى يتمتع بمزايا أكثر استقلالية فى شؤونه الداخلية، وعندما نفد الصبر لدى ابن سعود وأنه لم يجد الرد البريطانى الإيجابى، توجه إلى العثمانيين مرغما حيث لم يكن أمامه طريق سوى الرضوخ للأمر الواقع.

لم يتأخر ابن سعود كثيرا فى فهم طبيعة الرسالة غير المباشرة التى نقلها إليه الضابط البريطانى «شكسبير» فعلى الرغم من عبارات شكسبير اللطيفة والمنمقة فقد كان ملزما، تطبيقا لسياسة لندن الصارمة، أن يبقى كل اتصال بابن سعود فى حده الأدنى كما يجب ألا تلقى طموحاته فى الاستقلال عن الدولة العثمانية أى تشجيع، ولا يستبعد بأن تكون هناك صفقة بين بريطانيا والدولة العثمانية، تقوم بموجبها بريطانيا بالتخلى عن دعمها للشيوخ العرب المعارضين للحكم العثمانى مثل مبارك وابن سعود وجعلت من الأول تحت حمايتها وفى نفس الوقت تحت السيادة العثمانية فى حين رفضت أن تعامل ابن سعود مثل مبارك بل مارست ضغطها على ابن سعود لكى يدخل فى اتفاق «الصبيحة» ويقبل السيادة العثمانية ويدخل فى الإدارة العثمانية «كموظف تركى» حسب التعبير البريطانى مقابل تسوية الحدود فى الخليج العربى والجزيرة العربية والانسحاب من قطر وعدم المطالبة بالسيادة العثمانية على البحرين والدخول فى مفاوضات للحصول على امتياز سكة حديد بغداد، إضافة إلى تسلح وتقديم الأسلحة البحرية من المصانع البريطانية

وخاصة الفرقاطات والزوارق الحربية للقوات البحرية العثمانية والاعتراف التركى بالاحتلال البريطانى لمشيخات شرق الجزيرة العربية وعمان وحضرموت وعدن بشكل رسمى عن طريق الاتفاقيات.

اهتمت بريطانيا بمصالحها فى شرق الجزيرة العربية فى الأحساء واستخدمت ابن سعود لهذا الهدف عن طريق الاجتماعات المباشرة التى كانت تعقد عن طريق ضابطها فى البحرين وعقدت عدة اجتماعات فى الأحساء مع ابن سعود وخاصة فى «العقير» كنوع من الضغط على الدولة العثمانية لتستجيب لمطالبها وأهدافها، وهذا ما أثار فى الدوائر الرسمية العثمانية، وكذلك الخارجية البريطانية خوفا من تأثيرها على مجريات الأحداث والمباحثات الجارية بينهما فى لندن حول المصالح المشتركة بينهما، فقد بعث السفير البريطانى فى إسطنبول برسالة إلى وزير خارجيته فى لندن بتاريخ 12/ 5/ 1914 يقول فيها:[70].

أولا: ضمان حرية دخول الرعايا البريطانيين إلى نجد وحسن معاملتهم هناك وخاصة فى المناطق الساحلية (الأحساء).

ثانيا: الحيلولة دون أية تطورات فى المنطقة من شأنها أن تعكر صفو السلام العام فى الخليج العربى أو تحول دون أداء الالتزامات البريطانية فى المنطقة.

ثالثا: منع أو على الأقل تأجيل أى أحداث قد تؤدى إلى تحركات عربية عامة تهدد سلامة الممتلكات العثمانية فى آسيا.

وبما أن الحكومة البريطانية قد اعترفت بنجد والأحساء أنهما تحت السيادة العثمانية بموجب اتفاقية 29 يوليو 1913، فإنه يبدو أن الأهداف الثلاثة المذكورة لا يمكن اتباعها بصورة تتفق مع تلك الاتفاقية إلا بالسماح للباب العالى بأن يفرض على ابن سعود الوضع الذى سمح له باتخاذه نظريا على قدر تعلق الأمر بالأحساء، كما هو الحال بيننا وبين الحكومة العثمانية، وبعبارة أخرى أن يطلب إليه إدارة الأحساء بصفة «موظف تركى» أو الموافقة على أن يقوم الأتراك بإدارته

بأنفسهم، وبالنسبة للهـدف فإن ابن سعود بوصفه حاكما يتمـتع باستقلال ذاتى قد لا يعامل الرعـايا البريطانيين بصـورة أفضل من معاملـة تركيا إياهم، أما بالنسـبة للهدف الثانى، فقد تكون هناك مزايا مـتنافسة فى كل من البلدين ولكنى أعتقد أن هنالك ما يدعـو له جميع الـتعامل مع حكومـة اعترفت الآن بمركـزنا الخاص فى الخليج العـربى فيـما إذا كـانت الحكومـة قادرة على ممارسـة سـيطرة فعـالة على الأحسـاء. وإذا انتقلنا إلى الهدف الثـالث، فمن الظاهر أنه من المستـحيل التكهن بمجرى الأحداث فى العالم العربى العثمانى بصورة عامة، ولكن أرى بوجه عام أنه من المحتمل حدوث اتفاقيـات بدلا من تناقصها لو تمكن زعيم ذو نفوذ وفى وضع مركـزى مثل ابن سـعود من تعزيـز سلطته وتوسيـعهـا بصورة دائمة إلى المـنطقة الساحلية[71].

قمت بتحليل ما أتصور لأهداف السياسة العامة للحكومة البريطانية فى نجد، لأنه يظهر لى أن الإجراءات البريطانية الأخيـرة قد تثير المخاوف فى نفوس الوزراء العثمانيين وأن حكومـة بريطانيا تسعى فى الواقع وراء هدف آخر وهو أن تقيم مع ابن سعود علاقات من شأنها أن تضعف مركـزه وتجعله شبه معتمد على بريطانيا، ويجب أن نتذكر أن سلسلة من المصادمات التى حدثت ربما كـانت سببا فى تشجيع هذا الشك فى نفوس الأتراك قبل شهر من نزول ابن سعود إلى الأحساء، لقد زاره داخل البلاد المعتـمد السياسى البريطانى فى الكويت وفى البحـرين، كما زاره فى مطلع عام 1914 عدد من الضـباط البريطانيـين مما أدى إلى صدور تعليـمات إلى حقى باشا بتقديم شكوى إلى لندن، ثم تابع السفير البريطانى قوله:

«ليس لى الحق لإقرار مدى قوة الشكوك التركـية حتى لو كانت موجودة ولما أبرمت اتفاقـية يوليو 1913 التى تؤمن لنا مكاسب قـوية مقابل بعض الامتـيازات المحدودة للباب العالى فإنه يظهر لى بأننـا فى الوقت الحاضر لا نستطيع القيام بأى عمل يمكن اعتباره دعما لابن سعود ضد الحكومة العثمانية»[72].

تؤكد تلك الرسـائل الرسمية البريطـانية وجود صفقـة لعقد وإنجاح اتفـاقية

«الصبيحة» كما نجد أن البريطانيين يثقون في العثمانيين أكثر من ابن سعود وذلك على ضوء تجاربهم ومعاملاتهم الماضية، على عكس ابن سعود الذي يثق بالبريطانيين أكثر من العثمانيين وهذا ما سبب بعض الإشكالية وبالتالي أدى إلى تأخير اتفاقية «الصبيحة» بعض الشيء نتيجة لتلك السياسة البريطانية المزدوجة تجاه كل من ابن سعود والدولة العثمانية وإن كانت تميل إلى الأخير، وربما في اليوم نفسه الذي كان فيه «السير ادوارد غري» يصدر تحذيره الصارم بخصوص مسألة ابن سعود، كان العثمانيون يوقعون اتفاقا مع ابن سعود في «الصبيحة»(73).

لم يكن عند ابن سعود أي خيار بعدما تخلت عنه بريطانيا، سواء بعقد اتفاقية 1913 والتي أصبح بموجبها «موظفا تركيا» حسب التعبير البريطاني، أو لرفض بريطانيا عقد معاهدة الحماية على غرار اتفاقية الحماية مع الشيخ مبارك حاكم الكويت، ومن الواضح أنه بعدما فشلت كل مساعي ابن سعود في التفاهم مع البريطانيين لم يبق لديه إلا التوقيع على اتفاقية «الصبيحة». وقد دفع ابن سعود دفعا إلى الاتفاق مع العثمانيين، كما لاحظ «كوكس» بعد انكشاف مشروع الاتفاق وبفعل الموقف السلبي الدائم للحكومة البريطانية(74).

بذلك أرغم ابن سعود على توقيع اتفاقية «الصبيحة»، في الوقت الذي كان البديل لدى العثمانيين هو الحل العسكري بعدما حشدت قواتها في «البصرة»، وطلبت من حليفها ابن رشيد أمير حائل وشيخ قبائل الشمر القوية التعبئة العامة وممارسة الضغط على ابن سعود، في الوقت الذي كانت بريطانيا تعارض الحل العسكري وتمارس ضغطها على ابن سعود لقبول الحل السلمي والخضوع طوعا للحكم العثماني، وبالتالي لم يكن أمام ابن سعود أي خيار سوى الإذعان لمطالب العثمانيين وهذا ما نتج عنه اتفاقية «الصبيحة» التي كانت في صالح العثمانيين مع حفاظ ابن سعود على وضعه كزعيم قبلي على نجد وكموظف عثماني تحت السيادة العثمانية.

المراجع والهوامش:

(1) د. جمال زكريا قاسم - دراسة لتاريخ الإمارات العربية 1840 - 1914 دار البحوث العلمية - الكويت - ص313.

(2) سجلات الخارجية البريطانية (6117)-F.O.424/251

تقرير من «الميجر أ. ب. تريفور» المعتمد السياسى البريطانى فى البحرين إلى المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى - حول سفره إلى «العقير» برفقة «شكسبير» المعتمد السياسى البريطانى فى الكويت لمقابلة ابن سعود بتاريخ 15، 16 ديسمبر 1913.

(3) نفس المرجع - (6117)-F.O.424/251

(4) نفس المرجع - (6117)-F.O.424/251

(5) سجلات حكومة الهند - L.O.R. - R/15/5/27

رسالة إلى الميجر «تريفور» المعتمد السياسى البريطانى فى البحرين حول المفاوضات بينه وبين الحكومة العثمانية بتاريخ 26/ 2/ 1914

(6) سجلات الخارجية البريطانية (10244)-/F.O.-371/2123

رسالة من وزارة الخارجية إلى وزارة الهند - حول علاقات ابن سعود مع الحكومتين العثمانية والبريطانية بتاريخ 7/ 3/ 1914.

(7) سجلات الخارجية البريطانية. (10244)-/F.O.-371/2123

محضر كتبه المستر «باركر» سكرتير وزارة الخارجية المساعد - عن مقابلة حقى باشا حول علاقات بريطانية مع ابن سعود بتاريخ 7/ 3/ 1914 وزارة الخارجية البريطانية.

(8) سجلات الخارجية البريطانية (10569) -F.O.- 424/1251

مذكرة أبلغت إلى حقى باشا حول علاقات بريطانية بابن سعود نظرا لارتباط ذلك بمصالحها فى الخليج العربى وعن المعلومات التى وصلت إلى بريطانيا عن محاولات الحكومة العثمانية للتوصل إلى شروط مع ابن سعود موجهة ضد مصالح بريطانية بتاريخ 9 مارس 1914.

(9) نفس المرجع. (10569)-F.O.-424-1251

(10) نفس المرجع. F.O.-424-1251-(10569)

(11) سجلات حكومة الهند. L.O.R.-R/15/5/27

الرقم 774 - رسالة من الميجر «س. ج. نوكس» - المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى بالوكالة - إلى سكرتير الشؤون الخارجية لحكومة الهند بالوكالة - «دلهى» - بتاريخ 15/ 3/ 1914.

(12) سجلات حكومة الهند. L.O.R.-R/15/5/27

الرقم 255 - رسالة من المعتمد السياسى البريطانى فى البحرين إلى المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى - البحرين فى 8 مارس 1914 - يبدى فيه أنه من المرغوب فيه إبلاغ نوايا الحكومة البريطانية إلى ابن سعود قبل أن يتحرك نحو الشمال ويدخل فى مفاوضات مع الأتراك.

(13) سجلات حكومة الهند. L.O.R-R/15/5/27

الرقم - 285 - رسالة من المعتمد السياسى البريطانى فى البحرين إلى المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى حول تعيين وكيل محلى لبريطانيا فى القطيف - البحرين فى 9 مارس 1914

(14) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.371/2123-(12320)

برقية من نائب الملك فى الهند - إلى - وزير الهند - بتاريخ 15/ 3/ 1914 حول استفسار ابن سعود عن احتمال نجاح المحادثات الدائرة حاليا وتلميحه إلى أنه سيضطر إلى التعامل مع العثمانيين فى وقت قريب تأمينا لمصالحه، ووصول قوات عثمانية إلى البصرة بطلب تعليمات الحكومة.

(15) سجلات الخارجية البريطانية. F.O- 371/2123- (12320)

سرى - برقية من وزير الهند إلى نائب الملك فى الهند بتاريخ 16 مارس 1914 - جوابا على برقيته، تتضمن معلومات عن موقف الحكومة البريطانية وسياستها تجاه ابن سعود حاليا، تطلب إلى ابن سعود أن لا يتصرف مستقبلا.

(16) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.-371/2123-(12320)

برقيــة من وزارة الخارجيــة البريطانية إلى القنصل البـريطانى فى البصرة - حــول وصول قــوات عثـــمانيــة إلى البــصــرة، تطلب أية مــعلومات تتــعلق بتــحــركاتهــا - بتــاريخ 16/ 3/ 1914.

(17) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.-242-251-(13135)

الرقم 164 - برقية - من السير «ادوارد غراى» وزير الخارجية البريطانية إلى السير «لويس ماليت» السفير البريطانى فى إسطنبول - وزارة الخارجية فى لندن بتاريخ 26 مارس 1914 - حول ابن سعود ومساعى بريطانية لحل مشكلة مع الدولة العثمانية.

(18) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.-424-251-(13604)

رقم 193 - برقية من السيــر «ل. ماليت» - إلى «ادوارد غراى» إسطنبول فى 27 مارس 1914 - معلومــات من القنصل البريطانى فى البصرة عن عــدم القيام بعمليــات عــسكرية ضد ابن سعود.

(19) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.-424-251-(13605)

رقم 194 - برقيــة من السير «ل. ماليت» إلى «الــسير إدوارد غراى» - اسطنبــول بتاريخ 27 مارس 1914 - حول علاقات ابن سعود مع الحكومة العثمانية.

(20) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.-424-251-(25831)

الرقم 198 - برقية من الســير «ل. ماليت» - إلى السيــر «ادوارد غراى» - أسطنبول فى 29 مارس 1914 - يبدو فيــها أنه فاتح رئيس الوزراء بموضوع ابن ســعود والتوصل إلى تسوية سلمية معه.

(21) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.424-/25/-(14280)

الرقم - 201 - برقية من السير «ل ماليت» - إلى السير «ادوارد غراى» أسطنبول فى 30 مارس 1914 - نص برقية موجــهة إليه من القنصل البريطانى فى البصــرة حول مقابلة له مع السيد النقيب بشأن ابن سعود وشيخ الكويت.

(22) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.371/2123-(12320)

رسالة من وزارة الخــارجية البريطــانية - إلى وزارة الهند - لندن فى 1/ 4/ 1914 - حول

علاقات بريطانية مع الحكومة العثمانية وموقفها من ابن سعود.

(23) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.371/21/2123-(14632)

الرقم - 214 - برقية من السير «ل. ماليت» إلى السير «ادوارد غراى» إسطنبول فى أبريل 1914 - حول - مفاتحة رئيس وزراء الدولة العثمانية باستعداد بريطانية لتقديم وساطتها.

(24) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.371/2123-(21167)

الرقم - 1036 - سرى - رسالة من «ميجر س. جى. نوكس» - القائم بأعمال المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى - إلى حكومة الهند - إدارة الشؤون الخارجية والسياسية فى سملا - بتاريخ 8/ 4/ 1914 بوشهر.

(25) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.371/2123/-(21167)

الرقم - 11 - س - رسالة من الكولونيل «و. ج. غراى» - المعتمد السياسى البريطانى فى الكويت - المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى - بوشهر - فيما يتعلق بالأحوال الراهنة فى نجد - الكويت بتاريخ 2/ 4/ 1914

(26) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.371/2123-(21167)

رسالة من سعادة سيد محمد عارف بن يوسف والى سورية - إلى سعادة الشيخ مبارك الصباح بتاريخ 12 ربيع الأول - 1332 - الموافق 9 فبراير 1914.

(27) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.371/2123-(21167)

رسالة من البكباشي السيد عمر فوزى بن عارف ممثل وزير الحربية العثمانى إلى سعادة الشيخ مبارك بتاريخ 21 ربيع الآخر 1332 الموافق 19 مارس 1914.

(28) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.371/2123-(21167)

رسالة من سعادة أنور باشا وزير الحربية العثمانى - إلى سعادة الشيخ مبارك الصباح.

(29) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.371/2123-(21167)

رسالة من سعادة سليمان شفيق والى البصرة - إلى الشيخ مبارك الصباح بتاريخ 1 جمادى الأولى 1332 الموافق 28 مارس 1914.

(30) سجلات الخارجية البريطانية (F/O.371/2123-(21167

رسالة من السيد طالب النقيب - البصرة إلى الشيخ مبارك الصباح 11 جمادى الأولى الموافق 28 مارس 1914.

(31) سجلات الخارجية البريطانية. (F.O.371/2123-(14632

رسالة من وزارة الخارجية إلى وزارة الهند - حول العلاقات بين ابن سعود والحكومة العثمانية حول احتمال التوصل إلى تفاهم مباشر بين الباب العالى وابن سعود - لندن بتاريخ 3/ 4/ 1914.

(32) سجلات الخارجية البريطانية. (F.O.371/2123-(15023

الرقم - 9 - الهند بتاريخ 4 أبريل 1914 - من ،زارة الهند إلى وزارة الخارجية حول علاقات ابن سعود مع الحكومة العثمانية والتوصل إلى ترتيب يحقق مصالح الطرفين.

(33) سجلات الخارجية البريطانية. (F.O.371/2123-(15023

وزارة الخارجية فى لندن 6 أبريل 1914 - من وزارة الخارجية البريطانية إلى وزارة الهند - حول علاقات ابن سعود مع الحكومة العثمانية وأثر دخول بريطانيا فى أى تعاقد مع ابن سعود مع رعايا بريطانيا ومصالحها.

(34) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.424-/252

برقية من وزارة الهند فى 7 أبريل 1914 - من «ماركيز كرو» وزير الهند إلى حكومة الهند - يبدوا أنهم علموا بأن الأتراك يقومون بمبادرات تجاه ابن سعود وأنه حر فى التفاوض معهم مباشرة.

(35) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.371/2123

رسالة (غير مورخة) من ابن سعود إلى السيد طالب النقيب فى البصرة حول موقفه من الدولة العثمانية وولائه لها.

(36) سجلات الخارجية البريطانية. (F.O.371/2124-(22425

(الرقم: 383) - البحرين فى 6 أبريل 1914 - رسالة من الميجير «أ. ب تريفور» المعتمد السياسى البريطانى فى البحرين - إلى الميجر «س ج نوكس» القائم بأعمال المقيم السياسى

البريطانى فى الخليج العربى - بوشهر.

(37) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.371/2124-(22424)

رسالة من ابن سعود أمير نجد - إلى الميجر «أ. ب. تريفور» CIE المعتمد السياسى البريطانى فى البحرين - بتاريخ 6 جمادى الأول 1332هـ الموافق 2 أبريل 1914 - يدل على أنه يتوقع أن يقابل مندوبا عثمانيا فى مكان قريب من الكويت.

(38) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.371/2124-(22424)

الرقم - 404 - البحرين فى 10 أبريل 1914 - من الميجر «أ. ب. تريفور» المعتمد السياسى البريطانى - البحرين - إلى الميجر «س. ج. نوكس» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى - بوشهر - رد على رسالة ابن سعود التى طلب فيها الاجتماع به يطلب تعليمات بشأن الاجتماع.

(39) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.371/2124-(22424)

الرقم (614) - رسالة من المعتمد السياسى فى البحرين إلى ابن سعود أمير نجد.

(40) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.371/2123

(الرقم 1070) - سرى - برقية - من الميجر «أ. س. ج. نوكس» المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى - إلى - حكومة الهند - دائرة الشؤون الخارجية والسياسية - سملا - عن محاولات السلطات العثمانية فى البصرة للدخول فى مفاوضات مع ابن سعود - بوشهر فى 11 أبريل 1914.

(41) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.371/2123

(رقم: سى - 12) - سرى - الكويت بتاريخ 7 أبريل 1914 - رسالة من لفتانت كرنل «د. ج. غرى» المعتمد السياسى البريطانى فى الكويت - إلى المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى - بوشهر - يتضمن مزيد من المعلومات فى موضوع ابن سعود والحكومة العثمانية ومحاولات الأخيرة للدخول فى مفاوضات معه.

(42) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.371/2124-(24823)

(الرقم - سى - 13 - الكويت فى 14 أبريل 1914 - من لفتانت كولونيل «دبليو. جى.

غرى L.A - المعتمد السياسى البريطانى فى الكويت - إلى الميجر - أ. س. جى. نوكس، C.I.E - المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى - بوشهر - يتضمن معلومات إضافية عن ابن سعود والحكومة العثمانية، وأن العثمانيين غيروا موقفهم من المفاوضات مرة أخرى.

(43) د. جمال زكريا - المرجع السابق ص314.

(44) د. جمال زكريا - نفس المرجع ص314.

(45) د. مصطفى النجار - التاريخ السياسى لعلاقات العراق - ص102.

(46) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.371/213-(21324)

(الرقم 23 - البصرة فى 7 ابريل 1914 - من القتصل البريطانى فى البصرة (كرو) إلى السفير البريطانى فى إسطنبول - ينقل فيه نبذة من مفكرة المعتمد البريطانى فى الكويت لشهر مارس حول محادثاته مع شيخ الكويت.

(47) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.371/213-(21324)

نفس المرجع

(48) د. عبد الله سراج عمر منسى - المواجهة العثمانية البريطانية فى الخليج العربى القاهرة 1994 - ص234.

(49) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.371/2124

(الرقم 2560) - برقية من سكرتير حكومة الهند (إدارة الشؤون الخارجية والسياسية) سملا - إلى المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى - بوشهر - تخوله ابلاغ ابن سعود أنه لا مانع لديها من أن يفاوض العثمانيين مباشرة وإبلاغ شيخ الكويت أنه لا مانع من عرض مساعداته مع الشروط التى تتطلبها بريطانيا «سملا» فى 25/ 4/ 1914.

(50) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.371/2123-(16801)

(الرقم 205) - سرى - وزارة الخارجية لندن فى 23 ابريل 1914 - من السير «إدورد غراى» وزير الخارجية البريطانية - إلى - السير «لويس ماليت» - السفير البريطانى فى إسطنبول - يطلب إليه مفاتحة الحكومة العثمانية، ويبدوا أن من المستحسن تأجيل منح

الوسام للشيخ مبارك إلى ما بعد إنتهاء المفاوضات مع العثمانيين ونشر الإتفاقية، والحكومة البريطانية لا ترغب أن توحى لابن سعود بأنها غير مهتمة به.

(51) سجلات الخارجية البريطانية. f.o.371/2124-(24823)

(رقم C,16) الكويت فى 29 ابريل 1914 - تقرير من كرنل «و. جى. غرى» المعتمد السياسى البريطانى فى الكويت - إلى المقيم السياسى البريطانى فى الخليج العربى - بوشهر - حول موضوع ابن سعود والحكومة العثمانية ومقابلة المعتمد السياسى البريطانى فى الكويت لابن سعود «الصبيحة».

(52) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.371/2124-(24823)

نفس المرجع السابق.

(53) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.371/2124-(25950)

(الرقم: 26) - القنصلية البريطانية فى البصرة بتاريخ 2/ 5/ 1914 - تقرير من القنصل البريطانى فى البصرة - إلى السفير البريطانى فى إسطنبول حول اللجنة العثمانية الموفدة لحل مشكلة الأحساء مع ابن سعود وأعمالها.

(54) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.371/2124-(20672)

(الرقم 281) - إسطنبول فى 9 مايو 1914 - برقية من السير «لويس ماليت» السفير البريطانى فى أسطنبول إلى - السير «إداورد غراى» - وزير الخارجية البريطانية ينقل فيها برقية من القنصل فى البصرة حول عودة اللجنة العثمانية من الكويت، لم يتم الإتفاق على تسوية لكن مطالبه ابن سعود بالاستقلال الداخلى تحت العلم العثمانى رفعت إلى الباب العالى.

(55) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.371/2124-(20672)

نفس المرجع

(56) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.371/2124-(22262)

لندن فى 11 مايو 1914 - برقية من وزير الهند إلى الملك فى الهند يستفسر فيها إذا كان المعتمد السياسى فى الكويت زار ابن سعود خلال المفاوضات ولأى غرض.

(57) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.371/2124-(22958)

سملا فى 21 مايو 1914 - برقيـة من نائب الملك فى الهند - إلى - وزارة الهند - ينفى فيها مقابلة المعتمد السياسى البريطانى فى الكويت لابن سعود.

(58) د. جمال زكريا قاسم - المرجع السابق ص315.

(59) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.371/2124-(23753)

سملا فى 23 مايو 1914 - برقية - من حكومة الهند إلى «ماركيز كرو» - وزير الهند فى لندن - تتضمن معلومات عن الطلبات التى وجهتها الحكومة العثمانيةِ إلى ابن سعود.

(60) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.424/252-(29380)

الرقم 391 - اسطنبول فى 9 يونيو 1914 - من السير «لويس ماليت» السـفير البريطانى فى إسطنبول إلى - السير «إدوارد غراى» وزير الخارجـية البريطانية - لندن يبدى أن وزير الداخلية العثمـانية أخبره بأنه توصل إلى إتفاق مع ابن سعود الذى سيـعينه الباب العالى واليا على نجد.

(61) د. فتحية النبراوى - د. محمد نصر مهنا - الخليج العربى - دراسة فى تاريخ العلاقات الدولية والإقليمية - منشأة المعارف الإسكندرية - ص 332.

(62) سجلات وزارة الخارجية. F.O.371/2124-(34347)

رسالة تسلمها الشيخ مـبارك من البصرة - بتاريخ 26 يونيو 1914 حول قضية ابن سعود مع الحكومة العثمانية وشروط إتفاقه معها.

(63) د. عبد الله سراج منسى - المرجع السابق ص 228.

(64) سجلات الخارجية البريطانية. F.O424/253-(31139)

(الرقم 421) إسطنبول 9 يوليو 1914 - برقـية - من السـير «لا. مـاليت» - السـفيـر البريطانى فى أسطنبول - إلى - السير «إدوارد غراى» وزير الخارجية البريطانية يعلمه فيها بتعين ابن سعود واليا على نجد.

(65) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.424/255-(31123)

(رقم - 306) - وزارة الخارجـية لندن فى 12 يوليو 1914 - برقـية من السـير «إدوارد

غراى» وزير الخارجية البريطانية إلى - السير «ل. ماليت» السفير البريطانى فى إسطنبول - حول تصريح أدلى به حقى باشا فى لندن أعلن فيه صدور فرمان إمبراطورى يسمى ابن سعود حاكما عاما وقائدا للقوات فى نجد ومنحه سلطات والى.

(66) سجلات الخارجية البريطانية. F.O. 371/2124-(34347)

إسطنبول بتاريخ 28 يوليو 1914 - (برقية) من أنور باشا وزير الحربية فى الدولة العثمانية إلى سعادة حاكم نجد والقائد العام بن سعود باشا - يهنئه بمناسبة تعيينه حاكما عاما وقائدا عاما فى نجد.

(67) د. عبد الله سراج منسى - المرجع السابق ص229.

(68) لزلى مكلوغلن - ابن سعود مؤسس مملكة - شركة المطبوعات للتوزيع والنشر - بيروت 1995 - ص 69.

(69) لزلى مكلوغن - نفس المرجع - ص69

(70) لزلى مكلوغن - نفس المرجع - ص70.

(71) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.371/2124-(22042)

(الرقم 335) سرى - تقرير - من السير «لويس ماليت» السفير البريطانى فى إسطنبول - إلى السير «إدوارد غراى» وزير الخارجية البريطانية - حول علاقات الحكومة البريطانية مع نجد من وجهة نظر الحكومة العثمانية.

(72) سجلات الخارجية البريطانية. F.O.371/2124-(22042)

نفس المرجع.

(73) لزلى مكلوغن - المرجع السابق - ص70

(74) لزلى مكلوغن - نفس المرجع - ص70

الفصل السابع



رحلة الساكوب إلى جزيرة السقطرة
للمؤلف حمد بن عبد الله الساكوب
«تحقيق مخطوطة»

نشر هذا البحث فى مجلة دراسات تاريخية - مركز بحوث الإنسانية - جامعة قطر - يناير 1990.

مقدمة:

صلة العـرب بالبحـر صلة قوية تمتـد إلى أعمـاق التاريخ، ذلك أن مـوقع بلادهم على العديد من البحار أتاح لهم فرصة ركوبها والتمرس بأخطارها واشتهر من بين العرب فى ركوب البحر أهل حضرموت وعمان وشرق الجزيرة العربية قبل الإسلام وبعده، فـبينما كان عرب حـضرموت يقومون بدور الوسـيط التجارى بين بلاد الشرق الأقـصى والصين وأندونيسـيا والهند وشرق أفـريقيا من جـهة، وبلاد وادى الرافدين والشام من جـهة أخرى، كان إخوانهم عرب عـمان وشرق الجزيرة العربيـة ينقلون تجارة الشرق عـبر ميـاه المحيط الهندى والخليج العـربى إلى منطقة الهلال الخصيب عن طريق البصرة ومنها إلى حلب وإلى أوربا.

ندرس فى المخطوطة التى بين أيدينا وهى لحـمد الساكوب أحـد أبناء ساحل عمان يقوم بالتجارة ويسجل كشـاهد عيان لتلك التجارة والمخاطرة التى تهددها من العوامل الطبيعـية وقسوتها وكيف يمكن اجتيـازها وقد قمنا بدراسة المخطوطة عن طريق أولا :- تعريف بصـاحب المخطوطة، وثانيا تعريف بالمخطوطة نفـسها وذلك عن طريق دراسة أهمية المخطوطة وقيمتها العلمية والتعريف بالمخطوطة نفسها، ثم وصف المخطوطة وكذلك لغة المخطوطة ثم محتويات المخطوطة والخاتمة. علما بأن مـؤلف المخطوط لم يضع عنـوانا لهـذا المخطوط فـوجدنا أنـه من المناسب وضع العنوان أعـلاه حـيث إن المخطوط يتناول الرحلـة من ساحل عـمـان إلى جـزيرة «سقطرة» التـى توقف المؤلف عن الكتابة برغم أن الرحلة اسـتمـرت إلى سواحل حضرموت فى مدينة المكلا ثم عاد إلى ساحل عمان.

دراسة المخطوط

أولا: تعريف بصاحب المخطوطة:

هو حـمـد بن عبـدالله بن حـمـد بن سلطان بن سـعـيد ويلقب بـحمـد «الساكـوب»، ولد فى ساحل عمان مـشيخـة عجمان حـوالى عام 1906، تلقى

تعليمه فى الكتاب فقرأ القرآن وتعلم القراءة والكتابة وبرزت موهبتة الشعرية فى شعر العامية منذ الصبا وكان يرتاد مجالس الشعراء التى كانت يومئذ بمثابة صالونات أدبية لدى مجالس القبائل العربية فى ساحل عمان.

اشتغل بصيد الأسماك والغوص على اللؤلؤ لأعوام طويلة حيث كان يعتبر المصدر الرئيسى للرزق فى ساحل عمان، تزوج ورزق بولد أسماه عبدالله وقد توفى شابا، وتوفيت بعده أمه، ولحمد الساكوب قصائد فى رثاء ولده عبدالله، ولكن لم يبق منها شيء إذ أتلفتها إحدى قريباتة إنهاء لأحزان الوالد المفجوع بولده الوحيد، تزوج للمرة الثانية لكن لم يرزق بأولاد، وطلق الزوجة التى تزوجها فى الهند.

سافر إلى الهند وسقطرة وزنجبار فى شرق أفريقيا، وكان كثير الأسفار بقصد التجارة والرحلات، كما حج إلى بيت الله الحرام أكثر من مرة، وعاش مع زوجته الثالثة دون أن ينجب أولاداً كان شيخا كبيرا ضعيف البصر قبل أن يتوفى مؤخراً.

أهمية المخطوطة وقيمتها العلمية:

ترجع أهمية هذه المخطوطة لعدة أسباب:

أولا: لأنها من المخطوطات القلائل التى كتبت فى ساحل عمان، وذلك نظراً للظروف المعيشية الصعبة، حيث كان معظم السكان يعملون ستة أشهر فى البحر للغوص على اللؤلؤ فى فصل الصيف، ثم ستة أشهر فى صيد الأسماك وبعض الزراعة والرعى إضافة إلى التجارة، وبالتالى لم يكن هناك وقت فراغ للتعليم أو الدراسة أو الكتابة، والسبب الثانى عدم وجود مدارس رسمية أو حديثة وإنما بعض الكتاتيب البسيطة، يتعلم فيها الطالب قراءة القرآن وحفظه، وأحيانا بعض الإلمام بشؤون الحساب حسب احتياجات السوق المحلية البسيطة لتجار اللؤلؤ. نجد من هذا المنطلق صعوبة وجود الأدباء والمؤرخين فى هذه الفترة، وإن وجدوا فإنهم قلة لا يتعدون عدد أصابع اليد الواحدة ومن ضمن هؤلاء، حمد

الساكوب، صاحب هذه المخطوطة، كما يلاحظ كثرة الأخطاء الإملائية و اللغوية، فقد كتبت باللغة العربية المختلطة بالعامية، وظهرت فى فترة تندر فيها تلك الكتابات والمخطوطات المحلية عن الرحلات فى ساحل عمان، وهنا تكمن أهمية هذه المخطوطة التى جاءت فى تلك الظروف المعيشية الصعبة لسكان المنطقة.

ثانيًا: سكان المنطقة يرحلون فى سبيل التجارة، كان التجار يحملون متاجرهم وسلعهم إلى حيث يربحون الربح الوفير، ودوّن كثير من الرحالة العرب أخبار أسفارهم وتنقلهم فذكروا المدن والموانئ التى هبطوها والمسافات التى اجتازوها والصعوبات التى تغلبوا عليها وقيدوا مشاهداتهم، ولاسيما أن صاحب المخطوطة كان يعمل فى التجارة البسيطة، حيث كانت لديه بضائع قليلة يبيعها إلى الموانئ التجارية فى حضرموت.

ثالثًا: النسخة التى اعتمدت هنا فى نشر المخطوط لم يعهد بها المؤلف إلى ناسخ ليقوم بذلك وإنما كتبها بخط يده مما جاءت بأخطاء إملائية ولغوية مما يزيد أهمية المخطوط.

رابعاً: ذكر صاحب المخطوط الموانئ والمحطات التى نزل بها ركاب السفينة وزودنا بمعلومات عن خط سير الرحلة من ساحل عمان إلى جزيرة «سقطرة»، وفى ذلك إشارة إلى تلك الطرق التى كانت تسلك منذ القرون القديمة حتى القرن العشرين الميلادى للتنقل بين موانئ الخليج العربى إلى بحر العرب فى حضرموت ومنها إلى شرق أفريقيا حيث كان يذكر اليوم ووقت المغادرة والوصول إلى المكان مما يمكننا أيضا من تحديد الوقت الذى كانت تستغرقه الرحلة البحرية من ميناء إلى آخر.

خامسا: تكشف لنا المعلومات التى جاء بها صاحب المخطوط، عمق الروابط التجارية القوية بين ساحل عمان (دولة الإمارات العربية المتحدة حاليا) وساحل حضرموت، واعتاد المؤلف تقديم بعض المعلومات الملاحية وطرق سير المراكب والموانئ التى زارها مؤلف المخطوط فى رحلتة، وأعطانا وصفا جغرافيا لموانئ

وجزر فى المنطقة الساحلية الممتدة من ساحل عمان إلى حضرموت حتى جزيرة «سقطرة»، كما قدمنا معلومات ملاحية وبحرية تتعلق بتلك المناطق التى زارها، واتبع صاحب المخطوط منهج كتابة الأحداث وفقا للحوليات، وهو بذلك أشبه ما يكون بالمذكرات اليومية عن الرحلة البحرية.

سادساً: كتبت من قبل شخص شارك شخصيا فى الرحلة البحرية، وجاءت ملاحظاته واضحة، من شخص اعتمد على المشاهدة الشخصية وعنايته بالمسالك والطرق والمسافات، ولذا فإنه عاصر لأحداث الرحلة ومتاعبها. وجاءت مشاهدته ومعرفته الشخصية المباشرة، كشاهد عيان على وقائع الرحلة ووصفه حالة الطقس والخوف والهلع من العواصف والأمواج العاتية، وكذلك ظروف الرحلة ومشقة السفر والمتاعب التى عاناها هو وزملاؤه فى السفينة، ووصفا تفصيليا للموانئ التى فيها المركب، إضافة إلى وصفه وصفا دقيقا للرحلة.

بذلك انفرد مؤلف المخطوط بذكر معلومات دقيقة عن معاناة السفر والمسافرين فى البحر، وهذه المعلومات يصعب الحصول عليها من المصادر المحلية الأخرى. ونلاحظ فى المخطوطة أن صاحبها كان أمينا فى ما كتبه وما شاهده، وقد لا نلومه فى المبالغة بالنسبة للأمواج العاتية والعواصف البحرية والرياح القوية، وإذا ما تصورنا كيف كانت الرحلة وكذلك السفينة الخشبية التقليدية الصغيرة، بين أمواج المحيط الهندى العاتية، لأمكننا معرفة ما مدى تلك المشقة وكذلك وصفه لتلك الأهوال البحرية، كما لا يوجد فى أسلوبه التكلف أو الاصطناع أو وصف الأمور غير الحقيقية، وإنما انطباعاته جاءت نتيجة لما شاهده وكتبه، ولكن نجد ندرة الإحصاء إن لم نقل انعدامه.

سابعاً: جاءت عبارات صاحب المخطوط مقتضبة على وجه العموم فلم يطلق لقلمه العنان ليصف لنا الأماكن والبلدان التى توقفت فيها سفينة الرحلة ولا الغرض من نزولهم فيها إلا ما ندر، ولعلنا نجد له عذرا وهو أنه ارتاد تلك المناطق مرات عديدة فلم يكن بحاجة إلى وصفها وقد تكون معروفة لديه ولدى غيره من

ربابنة السفن فى تلك الفترة، ولعل السبب فى كونه خص هذا السفر بالكتابة عنه هو كثرة الأهوال والمصائب التى تتابعت عليه فيه، فهى أقرب إلى مذكرات أو حوليات خاصة به لتقييد تلك الحوادث من الإفلات، ولكن مؤلف المخطوط كان حريصا على تحديد أوقات الرسو والإقلاع وهبوب العواصف غالبا.

ثامناً: تأتى أهمية المخطوطة للفترة التى فيها فى 1949، وهى فترة ما قبيل النفط، بالنسبة لساحل عمان (دولة الإمارات العربية المتحدة حاليا)، وتغير الحياة الاقتصادية التى انعكست على الحياة الاجتماعية والفكرية والعلمية، ويمكن مقارنة فترة ما قبل الخمسينيات إلى ما بعدها، من خلال أسلوب وكتابة المخطوط فى الفترتين، كما أن صاحب المخطوط كان مخضرمًا عاش المرحلتين ما قبل النفط وفترة النفط.

لعل هذا نص المخطوط الذى بين أيدينا نموذج ممتار نسبيا لما كتب البعض ممن حظوا بتعليم القراءة والكتابة فى وقت كان فيه هؤلاء ناخرين فى المجتمع فى مجال أدب الرحلات خلال العقد الخامس من هذا القرن العشرين. ومن هنا تكتسب هذه المخطوطة أهمية خاصة، وتنير الطريق لدراسة تاريخ ساحل عمان.

التعريف بالمخطوطة:

تجمع هذه المخطوطة التى كتبها حمد بن عبدالله الساكوب، بين الندرة والطرافة، فأما ندرتها فتأتى من أننا لا نكاد نعثر على أثر مكتوب فى مجال أدب الرحلات لدى أبناء ساحل عمان (دولة الإمارات العربية المتحدة حاليا) رغم ما عرف عنهم من مهارة فى فنون الملاحة وخبرة واسعة بالبحر، ورغم كثرة أسفارهم ومغامراتهم وارتيادهم بسفنهم سواحل الهند وسيلان وشرق أفريقيا. ولم يبق من تلك الأخبار إلا أحاديث وذكريات تدور فى المجالس على ألسنة المسنين والمغامرين القدماء ثم لا تلبث أن يطويها النسيان بانتقال أصحابها إلى الدار الآخرة دون أن تحظى باهتمام جاد من قبل المعنيين بالتراث.

ترجع طرافة هذه المخطوطة، إلى كـونها مليئة بالأهوال والأخطار، وكتـبها المؤلف على ظهر السفـينة والأمواج تتقاذفها ذات اليـمين وذات الشمال، ورغم أن المؤلف لـم يطلق العنان لقلمـه إلا أن هذه المذكرات تعطينا فكرة جيـدة عن المعاناة والشدائد التى كان سكان شرق الجزيرة العربيـة يصارعونها فى أسفارهـم ورحلاتهم التجارية كما أنها كتبت بلغة هى بين الـعامية والفصحى، وحفلت المخطوطة بكثير من المصطلحات الملاحية المتداولة آنذاك.

وصف المخطوطة:

تقع مخطوطة حمد «الساكوب» فى 14 ورقة من القطع المتوسط مقاسها 21 × 18,5 سم، مسطرتها عشرون سطرا منزوعة الجلد، وهى فى الأصـل دفتر لتقييد المبيعات والمشتريات والديوان.

تحـتل المخطوطة مـذكـرات الرحلة التى خطهـا حـمد السـاكـوب بقلمـه، الصفحات 3، 4، 5، 6، فى حين تحتوى الصفحة رقم (1) قائمة بالمشتريات التى اشتراها الساكوب من جزر «الحلانيات» و «سدح» و «مرباط» ويبدو أنه تم شراؤها فى رحلة أخرى إذ يرد فى خط سير سفـينة الرحلة أنها توقفت فى «الحلانيات» أو «مرباط» أما الصفحة رقم (2) فهى فارغة تماما يليها بقايا ورقتين مبتورتين.

يبدأ سـرد الرحلة من الصفـحة رقم (3) وينهيـها فى الصفـحة رقـم (6)، ورغم تعـرض أسـفل الصفـحـات لبلل إلا أن الكلمـات لم تطمس تمامـا. وفى الصفحتين رقم (7) و (8) نجد بيانا بالمجارى على البوصلة، وقد كدست الكلمات والعبـارات فيهـا دون مراعاة للتـرتيب أو التنسيق، وفى الصفـحة رقم (9) ثلاثة أسطر هى قيد بسلـع مشتراة. ثم يبدأ بعـد ذلك فراغ تام يستغرق الصـفحات من رقم (10) إلى صفحة رقم (20)، وفى الصفحة رقم (21) قائمة بالسلع والأمتعة التى شـحنها حـمد السـاكوب فى سـفينة الـرحلة للاتجار بهـا فى سفـره (الملحق الأول)، أما الصفحة رقم (22) فارغة تماما.

تضم الصفـحات من رقم (23) إلى رقم (28) قيودا بديون عـلى أشخاص بأعينهم.

لغة المخطوطة:

قرأت النص الذى كتبه حمد السـاكوب وكانت القراءة خطوة شاقة ذلك أنه كتب بخط سقيم مع عدم مراعاة للترتيب أو تخصيص للعبارات وإنما كتبت حسبما اتفق بسبب ظروف كـتابتها الصعـبة، وظروف العصر الذى كـان سائدا فى ساحل عمان لعدم وجود مدارس أو متعلمين نظرا للبيـئة الطبيعية القاسية التى كان يجب التعـامل معـها لأجل الحصـول على لقمـة العيش، حـيث لم يكن لديهم الوقت الكافى للقراءة أو الكتابة وغيرها.

نسخت المخطوطة بخط بدائى تصـعب قراءته أحيانا، بواقع واحـد وعشرين سطرا فى الصـفحـة وبمعدل سـبع إلى تسع كلمـات فى كل سطر، تميزت بكثـرة الألفاظ العامية والتى كانت سمـة الكتابات فى تلك الفترة، وحرصا على المحافظة على لغة المخطوطـة فقد أوردت النص الأصلى كـما هو وصححـت فى الهامش. وهناك بعض الإشارات إلى اللغة والطريقة التى كتبها صاحب المخطوط، فقد قلب التاء المربوطة بالتاء المفـتوحة مثل «صحبت» بدلا من صـحبة، و «شدت» بدلا من شدة والصلات بدلا من الصلاة، كمـا أورد المؤلف بعض الكلمات التى تنتهى بتاء المربوطة إلا أنه كـتبهـا من دون نقط لتقـرأ «هاء» مثل صقطره بـدلا من سقطرة، «السفينـه» بدلا من السفينة كمـا قام صاحب المخطوط بتوصيـل الألف واللام معًا مثل الأحد فقد كتبها الحد.

نلاحظ بأن الأخطاء الإملائية واللغوية متفشية بشكل مريع، فنجد أحيانا أن كلمتين متتاليتـين قد شبكهما حمد الساكوب فى مخطوطته فأصبـحتا كأنهما كلمة واحدة، وأحـيانا نجـد كلمة واحـدة قد شطرت شطرين، كـتب أولهما فـى نهاية سطر، والثانى فى بداية السطر التالى.

نجد الخلط بين الفتحة والألف، والكسرة والياء، والضمة والواو، والسين والصاد، وكتابة التاء المربوطة تاء مفتوحة، وحذف اللام الشمسية فهذا مما لا تكاد تخلو منه جملة. إضافة إلى ذلك كانت النسخة قد تعرضت للإصابة بالبلل حتى كادت بعض الكلمات تختفى مما زاد فى صعوبة استخلاص النص.

تمكنا بعد جهد وتدقيق من استخلاص النص فكان بعد ذلك إعادة كتابة النص بشكل سليم مع الإبقاء على نص المخطوطة كما هى فى الأصل حفاظا على النص الأصلى. أما تغير الكلمة أو استبدال كلمة أخرى فقد وضعناه فى الهامش مع شرح للمصطلحات الملاحية الواردة فى نص رحلة للمخطوطة.

محتويات المخطوطة:

كتب مؤلف المخطوط الأحداث بسرد دون تعليق أو تحليل أو أية تقسيمات أو عناوين جانبية وتنقسم المخطوطة إلى الأقسام التالية:

أولا: وصف الرحلة وهو الجزء الرئيسى من المخطوطة.

ثانيا: بيان بقائمة الأمتعة والسلع التى شحنها مؤلف المخطوطة فى سفينة الرحلة، وهى محتوى الصفحة رقم (2أ) من المخطوطة.

ثالثا: بيان بالمجارى على البوصلة، وهى بمثابة مرشد ملاحى للمسافرين من ساحل عمان وعمان إلى حضرموت وجزيرة سقطرة الذى يتصف الطريق ويقف كبوابة العبور من بحر العرب إلى ساحل شرق أفريقيا.

الاستعداد للسفر:

نقرأ فى الصفحة رقم (2أ) من المخطوطة أن المؤلف قام بشحن الأمتعة الخاصة به فى السفينة يوم العاشر من صفر والذى يصادف يوم الاثنين، أى قبل البدء فى الرحلة بعشرة أيام، ولعل سبب بقائها كل هذه المدة إنما هو الاستعداد وشحن الأمتعة ورتق الأشرعة وإصلاح ما قد يكون بالسفينة من عطل والتزود بالمؤن والماء، فهذه المستلزمات يحتاجها المسافر طوال الطريق فى مشقة.

يبدأ عـادة الاستعداد لرحـلات السفن الشراعيـة الموسمية فى شـرق الجزيرة العربية من شهـر سبتمبر وكان يطلق على تلك الرحـلات «السفر» وهى التى تقوم بهـا سفن المنطقـة الشراعـية إلى مـوانئ الهند وشـرق أفريقـيا عن طريق سـاحل حضرموت، لنقل البضائع من وإلى هذه الموانئ.

يبدأ المؤلف مخطوطته بالصلاة على الرسول محمد ﷺ ثم يقول سافرنا مع صحبة أى برفقة النوخذا حمـد بن عبيد بن سلطان، والنوخذة تعنى ربان السفينة، وهى كلمة «فـارسية» أصلهـا «ناوخذا» أى السفـينة وتجمع على نواخـذة. ويقول المؤلف: بدأنا الرحلة فى «خشبة البدور» أى فى السفـينة الخشبية، «فالخشب» تعنى السـفينة والبـدور نسبـة «لآل بدر» وهـم من تجـار مدينة دبى فى سـاحل عمـان، وأبحرت السفـينة يوم الأحد 20 صفر عام 1369 والذى يوافق 21 ديسمـبر عام 1949، وكانت متجهة من «عجمان» فى ساحل عمان إلى جزيرة «سقطرة» التابعة لحضرمـوت من منطقة «المهرة»، حيث معظم سكان جـزيرة «سقطرة» من «المهرة» والتى تقع فى شـرق حضرمـوت ومحاذية لـظفار، مما يؤكد الارتبـاط الوثيق بين سواحل شرق الجزيرة العربية وسواحل حـضرموت فى جنوب الجزيرة العربية على بحر العرب فى المحيط الهندى.

اتجهت السفينة بقيادة «النوخذة» أى الربان حمد بن عبيد بن سلطان، وتحمل بضائع للاتجار بها إلى جزيرة «سقطرة» التى كانت منتـعشة ومزدهرة نظرا لوقوعها على الطريق الملاحى بين الخليج العـربى وبحر العـرب والبحر الأحـمر من جـهة وساحل شرق أفريقيا من جهة أخرى.

اشتهر حمد الساكـوب مؤلف المخطوط الذى كان أحد الرجال البارزين على متن سفينة «البـدور» بكثرة أسفاره للتـجارة بين ساحل عمان والهند وحـضرموت وسقطرة وزنجبار.

أقلعت سفينة «البدور» من ميناء «عجمـان» فى ساحل عمان واتجهت شمالا حتى مـضيق «هرمـز» ثم توجهت جنوبـا بحذاء السـاحـل الشمالى والشـرقى من

عمـان، ونجد السـفينة تتوقـف فى بعض الموانئ الساحليـة بعمان مـثل «أم العنة» و«صحار» و «السـويق» و «أدوام» و «مسقط». حيث يقول الساكـوب: وسرنا ليلا ونهارا، فلمـا كان اليوم الخامس نتـخنا «أم العنة»، وأقمنا فيهـا ثلاثة أيام. وكلمة «نتخ» تعنى «نتح» أو «ظهر» البر إذا برز وانكشف للبحـارة وهم على ظهر السفينة ويقصد «بنتخنا أم العنة» أى توجـهنا إلى «أم العنة» الذى قد يكون ميناء «شناص» أو أحد الموانئ بالقرب منهـا فيما بين ميناء «خورفكان» و «صـحار»، أو قد تكون قرية ساحلـية صغيرة للصـيادين، وبالتالى حدث الوقـوف اضطراريا بفعل الرياح والعـواصف أو نقص المواد الغـذائـية، لأن الـسفـن عـادة لا تقف إلا فى الموانئ الرئيسية والمعروفة فى حين نجـد «أم العنة» أو هذا الاسم غير معروف على الخارطة الساحلية ولا فى الكتب القديمة أو الحديثـة، وبذلك فإن الساكوب وركاب السفينة توقفوا فى ذلك الميناء ثلاثـة أيام ثم توجهوا إلى ميناء «صحـار» الذى وصلوا إليها بعد يومين وأقاموا فيها أربعـة أيام ينتظرون أصدقاءهم وهم عبد الرحمن الدوسرى وعبـد العزيز بوسعود اللذين وصـلا يوم الجمعـة وفى اليوم التالى السبت سـافروا جميعا، حيث يقول الساكوب:

«وسافرنا وأخذنا مدة يومين إلى أن وصلـنا بندر «صحار» وأقمنا فى صحار أربعة أيام ننتظر أصدقاءنا، عبد الرحمن الدوسرى وعبد العزيز بوسعود، فلما كان يوم الجمعة جاء أصدقاؤنا وسافرنا ليلة السبت».

تعنى كلمة «بندر صحـار»، ميناء «صحار» و «البندر» كلمة فـارسية إلا أنها مستعملة فى العربية منذ القدم بمعنى «الميناء» و «مرسى السفن». يتضح مما سبق أن المؤلف كان أحد المسافرين بصحبة ربان السـفينة حمد بن عبيد والذى قد يكون من أصدقائه المقربين، وأن الرحلة استغرقـت من عجمان إلى «أم العنة» خمسة أيام أى من يوم الأحد إلى يوم الخميس وأن الإقامة استغرقت ثلاثة أيام إلى يوم الأحد ثم السفر يومين إلى صـحار والإقامة فيها اربعة أيـام، مما يعنى أن الرحلة كانت شاقة مما اقتضى الأمر الإقـامة لهذه الفترة من الزمن للراحة والاستـعداد للرحلة القادمة

إضافة إلى الانتظار للأصدقاء الدوسرى وأبى سعود اللذين يحتمل أن يكونا قادمين من البحرين واتفقا على اللقاء فى ميناء صحار الذى كان من أهم الموانئ على خليج عمان بعد مسقط، ثم سافروا جميعا إلى ميناء «السويق» وأن المسافة كانت بمقدار ليلة واحدة ونهار أى أربعة وعشرين ساعة وأن الرحلة استغرقت يوما كاملا بليل ونهار معا، ويقول المؤلف:

«وسافرنا من «السويق» الساعة الخامسة من النهار والساعة سبع وصلنا ميناء «أودام» وأقمنا فيها يومين»، ولابد أن يكون الإقلاع من «السويق» الساعة الخامسة عصرا والوصول إلى «أودام» الساعة السابعة مساء لأن المسافة بينهما قصيرة جدا وبالتالى فإن الرحلة استغرقت حوالى ساعتين، ثم استمروا سائرين لمدة يوم كامل بليل ونهار حتى وصلوا إلى ميناء مسقط وأقاموا فيه يومين ثم سافروا بصحبة سيف بن على القيوانى لمدة يوم كامل حتى وصلوا إلى ميناء صور حيث يقول المؤلف «أرفأ صور» وتعنى كلمة «أرفأ» أى طوى الأشرعة كناية عن التوقف. وبعدها استمروا فى المسير لمدة أربعة أيام حتى وصلوا إلى جزيرة «مصيرة» ومنها بعد ثلاثة أيام وصلوا «مدركة» التى تبعد أربعين ميلا عن مدينة «قريات» ومائة ميل عن «غبة حشيش» ويشكل أقصى الطرف الغربى لخليج «مصيرة» وبعدها ينحرف الساحل بحدة فى اتجاه الغرب ويسمى العرب «رأس مدركة» وهو بروز داكن وتوجد جزيرة صغيرة بالقرب منه ارتفاعها 480 قدما ويعتبره جميع الملاحين علامة ملاحية لرواد البحر وعلى الجانب الشمالى منه يوجد نبع ماء عذب كما يوجد نبع آخر فى الشق الواقع بين رأس مدركة و «رأس ذلة» يقول المؤلف:

«وأخذنا يومين حتى وصلنا «قرواو» و «الشربتات» وسافرنا من «الشربتات» العصر والهواء اخواهر «كوس». واخواهر لفظ يطلق على هواء البحر إذا هدأ وسكن أما «كوس» فهى رياح تهب من جهة الجنوب. وتقع «قرواو» و«الشربتات» إلى الجنوب من «صوقرة» وهى أكبر خور على هذا الساحل وطوله حوالى 64 ميلا، ويوجد فيه شعب مرجانية، وطوله عشرون ميلا وعرضه خمسة عشر ميلا

وقد أطلق العرب اسمه على الخور كله ويعتقد الملاحون أن هذه الشعب المرجانية خطر على الملاحة إلى حد كبير وهم يتفادون دخوله بقدر الإمكان وخلال فصل الرياح الموسمية الجنوبية لا تقترب منه أية سفينة على الإطلاق لأن الأمواج تتكسر عليه بشدة فائقة، وتفصل بين «رأس صوقرة» و «رأس شربتات» مسافة 15 ميلا والساحل هنا عبارة عن جرف شديد الانحدار بمعدل ارتفاع قدره ستمائة قدم على الساحل، ويشكل رأس «شربتات» مع «رأس قرواو» و«رأس عيجة» بروزا مثلثا غير متناسق بسعة ميلين فى طرفه الشرقى من خور «كورياموريا»وله مقدمة شديدة الانحدار وهو كرأس «قرواو» مليء بالكهوف والمغارات وبعضها كبيرة جدا وقد حفرها البحر تماما. وأقام السكان العرب متراسا من الأحجار الخشنة يراقبون منه الأفق انتظاراً للسفن، بينما تلجأ السفن العربية إلى المنطقة الغربية من «رأس قرواو» ويسمى المرفأ «بندر شربتات» ويقع على بعد ميلين شرقا. وفى بعض القوائم بأسماء المناطق يتبين أن اسمى «شربتات» و «قرواو» قد تغيرا فأصبح الاسم الثانى يطلق على الطرف الشرقى.

غادرت سفينة المؤلف «قرواو» و «الشربتات» العصر ولم يمر بضع ساعات أى الساعة السابعة مساء حتى هبت عليهم عواصف وأمواج قوية وأصبح الركاب يؤذنون ويصلون من شدة الرياح ومن العذاب والخوف، وكما ذكرنا سابقا أن هذه المنطقة منطقة رياح وأمواج، واستمرت السفينة تقاوم الأمواج وعندما ازداد الخطر عليهم قرروا بأن يخففوا من حمولة السفينة خوفا من الغرق وذلك برمى بعض البضائع الثقيلة فى البحر، وعادة عندما تزداد أمواج البحر غالبا ما يقوم البحارة بتفريغ البضائع ورميها فى البحر لكى تخف حمولة السفينة ولا تغرق وهذا ما لجأ إليه ركاب سفينة المؤلف فى هذه الظروف الصعبة فالأرواح أغلى من البضائع التى يمكن تعويضها ولكن الأرواح لا يمكن تعويضها، وبعد قليل وجدوا أمامهم جزيرة «الحاسكية» فاتجهوا إليها وتوقفوا عندها. حيث يقول المؤلف: «أرفأنا الشراع وخلينا جيب ودير بنا إلى أن وصلنا »، و«الجيب» بكسر الجيم وهى الشراع

الصغير، أما «دير» معناها ادار دفة السفينة لتتجه نحو المكان المقصود، وبذلك يعنى أنزلنا الشراع الكبير الذى يستخدم فى عرض البحر وأبقينا على الشراع الصغير حتى وصلنا مرسى جزيرة «الحاسكية» حيث يتابع المؤلف قوله:

«فلما أقبلنا عليها وقاربناها فإذا هى تفور كأنها ماء على نار وقد صار ما صار عندنا من الخوف ولم نزل فى خوف وشدة حتى وصلنا المرسى ورسينا فى بحر أربع وعشرين باع وهو ليس بمرسى طيب ولكن العدم أحوجنا إلى ذلك والحمد لله على ذلك فهو الذى نجانا من تلك الشدة». و «الباع» هو مقياس معروف للأطوال ويستعمل لعمق البحر وهو امتداد يدى الرجل مبسوطتين.

تقع جزيرة «الحاسكية» ضمن مجموعة جزر «كوريا موريا» التى تتكون من مجموعة قمم عمودية منفصلة عن بعضها البعض وتمتد لمسافة خمسة وثلاثين ميلا فى خط متواز مع وإلى الشرق من «حاسكى»، وهى قمم لسلسلة جبلية يغطيها الماء وعلى الناحية الجنوبية من حاجز خور كوريا موريا والتى تبعد عن ساحله الشمالى أكثر من خمسة وعشرين ميلا، و «الحاسكية» هى أقصى جزيرة غربية بين المجموعتين وترتفع خمسمائة قدم عن سطح البحر، ويزيد طولها عن ميل واحد.

أقام المؤلف مع ركاب السفينة أربعة أيام فى جزيرة «الحاسكية» فى ظروف صعبة، وقد أخبر أحد رفاق الرحلة وهو سيف بن عبيد بن سلطان شقيق «النوخذ» ربان حمد بن عبيد بأن نزولهم إلى جزيرة «الحاسكية» كان بسبب شح الماء واضطروا بعدها للعودة إلى «سدح» للتزود بالماء، وفى اليوم الخامس سافروا من «الحاسكية» الساعة الواحدة ظهرا فوصلوا إلى «سدح» الساعة السادسة وأقاموا فيها ثلاثة أيام، وسافروا من «سدح» والجو مناسب ليس فيه رياح والبحر ساكن ومن ثم بدا البحر فى هياج وأمواج عاتية لمد خمسة أيام قبل أن يتغير الجو فى اليوم السادس.

يقول المؤلف: «وياوشنا خمسة أيام» وتعنى «انياوش» من «اليوش» وهو حبل من حبال اشرعة السفينة، وقولهم «ديوش» أى أدار حبل اليوش لكى تتجه

السفينة إلى عرض البـحر، وهو هنا السير فى اتجاهات متعاكسة مع الاقتراب من الهدف وذلك عند اشتـداد العواصف. وبعد اليوم السادس «ارفـينا الشراع وحطينا الجيب» أى الشراع الكبير ورفع الشراع الصـغير ثم ساروا فى البحر ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع ظهرت جزيرة «عبد الكورى» التى تقع أمام سواحل حضرموت وعندما أرادوا الوصول إليهـا فإذا بعواصف شديدة وأمواج عاتيـة ويقول المؤلف: « وأقبلنا عليه بمياه والأمواج تتلاطم كأنها نار، يعجز الواصفون عن وصفها وقد كادت تلك السفينة أن تغـرق فى ذلك الموج وصار عندنا ما صار من الشـدة والعذاب، وسرنا فى تلك الشـدة قـدر ساعـتـين حـتى خلصنا من تلك الشـدة وذرينا فى جـزيرة عـبدالكـورى وطرحنا دون البندر وبتنا إلى الصـبح ولما كـان الصـبح خطفنا نريد البندر»

يعنى المؤلف من كلـمة «ذرينا» أى حـمـينا أنفـسنا، و «طرحنا» أى رسـينا بالسفينة ، وسفن «طارحة» أى راسـية، أما كلمة «خطفنا» تعنى «خطف» أى أقلع بالسفينة، والخطفة أى رفع الأشرعة إلى أعلى «الدقل» أى السارية، ويقصد المؤلف أنهم من شدة الأمواج احتـموا بجزيرة «عبد الكورى» ولم يستـطيعوا الوصول إلى ميناء الجزيرة فباتوا إلى الصباح بالقـرب منها، ومن ثم رفعوا الأشرعة ووجدوا فى الميناء سفنًا كثيـرة راسية تحمل الركاب وبضائع كثيـرة منها الملح إلى سواحل شرق أفريقيا وقـد قدر المؤلف عدد المسافرين بحوالى أربعمـائة شخص من الجنسين من الرجال والنساء، وعندما اقتربوا من تلك السفن وتوقفوا بجانبها، صعد إليهم ثلاثة أشخاص وبعد أن علم المؤلف استفسـر عنهم وعن أحوال الميناء والجزيرة فأخبرهم بأن كل شىء على مـا يرام وبعد أن مكثـوا فى الميناء ثلاثة أيام سـافروا منهـا يوم الجمـعة ليلة الخميس قـاصدين إلى جزيرة «السـعادة» التى تقع أيضا أمـام ساحل حضـرمرت، واستـقروا فى إبحارهم يومًـا كاملاً بليل ونـهار حتى أقـبلت عليهم «القلنصية» استمر كذلك إلى آخر النهار مع بداية الليل حتى الساعة السادسة مساء وصلوا ميناء «القلنصية» وناموا فيها حتى الصباح.

هبت عاصفة قوية فى الصباح وأظلم الجو من شدة الغيوم حتى أصبح كأنه ليل وتعالت الأمواج وتلاطمت وقد كادت تلك السفينة أن تغرق ثانية من شدة العواصف وقال الربان للركاب يسأل ما العمل «وكيف الفكر والحيلة؟» فقالوا له ليس هناك شيء سوى الصبر، أما سمعت قول صاحب المثل «عواقب الصبر تنجو من يلازمها». ويقول المؤلف:

«وقد حضرنا وتشاورنا وانقضى رأينا على أننا نشل العتاد وتعنى كلمة «العتاد» الحبل الذى يربط السفينة بالمرساة أو رصيف الميناء و«نشل العتاد» أى نرفع الحبل من الرصيف فى الميناء، وبعدها توجهوا إلى «رأس بيدو» ولما اقتربوا من مينائها وجدوا «أربع سواع» وكلمة «سواع» تعنى نوعًا من السفن، ولما اقتربوا من تلك السفن وقفوا بقربهم فإذا الجو ينقلب عليهم بأمواج من جديد وعواصف قوية حيث يقول المؤلف:

«فلما دنونا من تلك السواعى أرفينا قربهم، وطرحنا وانقلب علينا ذلك البندر وقد ركب الموج من التفر وقحم من الصدر» وكلمة «التفر» تعنى مؤخرة السفينة و «الصدر» مقدمة السفينة أى أن مياه الأمواج دخلت إلى السفينة من المؤخرة والمقدمة، ويقول «وقد طحنا طيحة واحدة» أى أنهم وقعوا وقعة واحدة ولم يستطيعوا النهوض من أماكنهم من الساعة السادسة حتى الساعة الحادية عشرة من شدة الأمواج وأنهم لم يروا العذاب أكثر من ذلك حيث يقول: «من شدة ما رأينا من العذاب» ثم أقاموا فى الميناء ثلاثة أيام وبعدها فرج الله عنهم وسهل طريقهم وهدأ البحر وسكن وانتهت الرياح، وبعد ذلك واصلوا مسيرهم حتى وصلوا إلى جزيرة «سقطرة» ويختم مخطوطته بالصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطاهرين ويقول إن الفترة التى استغرقتها الرحلة فى البحر كانت شهرين وسبعة أيام «وطول مدتنا فى البحر شهرين وسبعة أيام».

وقد وضعنا جدولا تقريبيا لتلك الرحلة وهى كما يلى:

	من	إلى	مدة الرحلة	مدة التوقف فى الميناء
1	عجمان	أم العنة	5 أيام	3 أيام
2	أم العنة	صحار	2 يومين	4 أيام
3	صحار	السويق	1 يوم	1 يوم
4	«السويق»	«أودام»	نصف يوم	2 يومين
5	أودام	مسقط	1 يوم	2 يومين
6	مسقط	صور	1 يوم	غير معروف مدة التوقف وقد يكون بضع ساعات
7	صور	مصيرة	4 أيام	غير معروف مدة التوقف وقد يكون بضع ساعات
8	مصيرة	مدركة	3 أيام	غير معروف مدة التوقف وقد يكون بضع ساعات
9	مدركة	قرواوو شربتات	2 يوم	غير معروف مدة التوقف وقد يكون بضع ساعات
10	شربتات	الحاسكية	2 يوم	4 أيام
11	الحاسكية	سدح	نصف يوم	3 أيام
12	سدح	عبدالكورى	10 أيام	ثلاثة أيام ونصف اليوم
13	عبدالكورى	السعادة	1 يوم	نصف يوم
14	السعادة	القلنصية	نصف يوم	نصف الليل (ست ساعات)
15	القلنصية	رأس بيدو	نصف يوم	ثلاثة أيام ونصف الليل وثلاثة أيام)
16	رأس بيدو	ميناء سقطرة	7 أيام	غير معروف مدة الإقامة
	16 ميناء للتوقف		41 يوم + 27 يوم = 68 يوم (المجموع)	

بتوقف سفينة «البدور» فى «رأس بيدو» بجزيرة سقطرة يتوقف حمد الساكوب عن الكتابة لينهى مذكرات طريق الرحلة، ذاكراً أنه مع أصحابه قد يسر الله سبيلهم إلى ما يحبون ثم يختتم بحمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيه ﷺ وعلى آل بيته الطاهرين وهنا توقف الساكوب عن وصف الرحلة برغم أن الرحلة استمرت فقد علمنا من الساكوب وسيف بن عبيد بأن السفينة خشبة «البدو» بعد

وصولها إلى سقطرة بقيت مدة غير وجيزة، ثم غادرتها إلى سواحل حضرموت فرست فى ميناء المكلا وعلى متنها المسافرين ومع بعضهم زوجاتهم اللائى تزوجوا بهن فى سقطرة ثم عادت السفينة إلى ساحل عمان محاذية للسواحل الشرقية والشمالية لعمان.

نستدل من ذلك بأن السفينة قد استغرقت فى السفر أكثر من عام وبأن أحد المسافرين قد ولد له مولود فى طريق العودة من زوجته السقطرية ولم يذكر حمد الساكوب بالطبع تاريخ العودة وإنما فقط أنها استغرقت من ساحل عمان إلى سقطرة شهرين وسبعة أيام، ولو واصل الساكوب الكتابة لجاءت الرحلة متكاملة، وقد يرجع ذلك إلى انشغال الساكوب بعملية البيع والشراء والاتجار.

ثانيا: بيان بقائمة الأمتعة والسلع:

وضع المؤلف قائمة تشمل البضائع والسلع والأمتعة التى تم شحنها مع المؤلف فى سفينة الرحلة وهى محتوى الصفحة رقم (21) من المخطوطة وقد ذكرنا النص كاملا وشرحناها فى الهامش، ويتضح من بيان القائمة بأن معظم السلع كانت تشترى من البصرة وبعض مدن شرق الجزيرة العربية وتباع فى مدن وجزر حضرموت مثل: - «المكلا» «قشن» «سيحوت» و«شحر» و«جزيرة سقطرة»، إضافة إلى بعض السلع التى تستهلك أثناء الرحلة للأكل والاستخدامات الأخرى، والبضائع المشحونة عبارة عن أحد عشر وعاء يكنز فيها التمر ويسمى «القلة» من تمور البصرة إضافة إلى خمسة وعشرين «جراب» أيضا يكنز فيها التمر وكانت من الباطنة فى عمان أى أن مجموع التمر حوالى ستة وثلاثين وعاء، وكيسين كبيرين ونصف كيس من أرز البصرة وكيس طحين أيضا من البصرة، وأربعة لفايف من القماش من نوع «كورة» أى من الثياب يكون خشنا وغليظا وهما لونان أبيض وأسود إضافة إلى برميلين خاليين وكيس فيها أربعة علب كبيرة خالية. وقد تكون الأدوات الأخيرة للاستخدام أثناء الرحلة.

ثالثا: بيانات بالمجارى على البوصلة:

كتب مـؤلف المخطوطة بيانات بالمجارى عـلى البوصلة، وهى بمثابة مـرشد ملاحى للسفن والربان المسافرين من شرق الجـزيرة العربية إلى حضرموت وساحل شرق أفريقـيا. ومعظم مصطلحـاتها بحرية يستـخدمها الملاحون فـى تلك الفترة. وفيهـا وصف الطريق البحرى من «رأس الحد» مـن المنطقة الشرقيـة فى عمان إلى جزيرة مصيـرة، والمجارى معناها الطرق البحرية المستـخدمة عن طريق النجوم فى الملاحة الليليـة أو البحرية القديـمة، ويمكن القول بأن المجارى هى الجـهات على البوصلة، وقد أطلقوا على تفاصيل درجاتهـا المعتمدة على النجوم التى يهتدى بها فى ظلمات البر والبحر ما يلى:

الياه أو «الجاه» وهو اتجاه الشمال الجغرافى.

«القطب» وهو اتجاه الجنوب الغربى.

«مطلع» وهو اتجاه الشرق الجغرافى.

«عيون مطلع» أى شمال شرق.

«عقرب مطلع» أى جنوب شرق.

«عيوق مغيب» أى شمال غرب.

«عقرب مغيب» أى جنوب غرب.

أما الدرجات فقـد قسموها حسب أسماء النجـوم والطوالع من الشمال إلى الجنوب وأضـافـوا لها كـلمتى مـطلع (أى شرقـى) ومغـيب (أى غـربى) وهى: فرقدين، خـان، نعش، ناقة، واقع، السمك، الثريا، التيـر، الأكليل، حمارين، سهيل، سلبار.

يتضح من البيـان بالمجارى للطرق الملاحية البحرية بين مـوانئ شرق الجزيرة العربيـة وشرق أفريقـيا والدقة فى الوصف وقـد قمنا بكتابة نـص المخطوطة وقمنا بشرح والتصحيح والتعديل فى الهامش محافظة على نص المخطوطة.

المخطوطة:

بسم الله واصلات[1] على من لا نبى بعده اما بعد فقد سافرنا مع صحبت[2] انوخذ[3] حمد بن عبيد بن سلطان فى خشبت[4] البدور[5] سنة 1369[6] فى شهر صفر 20 يوم الحد[7] وقصدنا الى صقطره[8] وسرنا ليل ونهار[9] فلما كان اليوم الخميس نتخنا[10] ام العند[11] واقمنا فيها ثلاث ايام وسافرنا وخذنا[12] مدت[13] يومين الى انوصنا[14] بندر اسحار[15] واقمنا فى اسحار اربع ايام ننتضر أصدقانا[16] عبد الرحمن الدوسرى وعبد العزيز بو اسعود فلما كان يوم الجمعة جاء[17] واصدقاءنا وسافرنا ليت اسبت[18] كنا نجد اليل ولنهار[19] الى مدت[20] يوم الاووصلنا[21] اسويق[22] واقمنا فى اسويق.

وسافرنا مما[23] السويق الساعة «5» من النهار ولساعة سبع وصلنا مبندر اودام[24] واقمنا فى ادام يومين ولم نزل ليلا ونهار[25] حتى وصلنا بندر مسقط واقمنا فى مسقط مدت[26] يومين وسافرنا من مسقط وصحبنا سيف بن على القيوانى ولم نزل ساءرين[27] ليل ونهار حتى وصلنا بندر صور[28] وصاحبنا سيف ارفا[29] فى «صور» نحنو[30] طوفنا ولم نزل ساءرين[31] بين مدت[32] اربع ايام حتى وصلنا «مصيرة»[33] واخذ[34] ثلاث ايام حتى وصلنا مدركة وأخذنا يومين حتى وصلنا كروا[35] والشربتات[36] وسافرنا من الشربتات العصر والها[37] اخواهر كوس[38].

ولم نزل ساءرين[39] الى الساعة سبع بما اليل[40] فلما كانت الساعة سبع[41] قد ادركنا الهواء ايلات[42] وقد صار عدنا[43] شدة وعذاب وقد ضجوا[44] اصحابنا بقوات يؤزنون[45] من شدت[46] مارءو[47] من العذاب وقد كاد ان يقضى علينا من شدت[48] مارءينا[49] من العذاب ولم نزل ساءرين[50] فى ذلك الشدة[51] ولوقت[52] مظلما[53] كنه 5 ليل[54] حالك وقد حضروا لخواننا[55] وتشاورو[56] على أنهم يرمو بعظ[57] الحمول وقد رمو من بعض البراميل الخالى[58] قدر خمس.

وقاما وحد[59] من لخواننا[60] يا اخواني اني ارالكم[61] جزيرة وهي الحاسجية[62] وقمنا وشفناها وحمدا لله على ذلك وقد ارفينا الشرع وخلينا جيب ودير بنا[63] إلى انوصلناه[64] وفلما اقبلنا عليها وقاربناه[65] فئذهيا[66] تفور كثنها[67] ماء على نار قد[68] صار ما صار عندنا من الخوف.

ونزل[69] في خوف وشدة حتى وصلنا المرسا[70] ورسينا في بحر اربع وعشرين باع[71] وهو ليسا[72] بمرسا[73] طيب وللاكن[74] العدم[75] احوجنا الا[76] ذلك ولحمد لله[77] على ذلك الذي[78] انجاءنا[79] ذلك[80] الشدة ولمحنا[81] واقمنا فلحا سجية[82] اربع ايام ونحن في معيشت[83] ضنكاء[84] ولما كان اليوم الخامس سافرنا من لحاسجية[85] قاصدين سدح[86] الساعة وحدة[87] وصلنا سدح ساعة 6[88] واقمنا في سدح ثلاث ايام

وسافرنا من سدح ولهوكوس[89] اخواهر[90] وياوشنا[91] خمس ايام ويوم اسات[92] الساعة 7 من ليل[93] واذا لهواء[94] قد جاانا[95] ايلات الشديد وارفينا الشراع وحطينا الجيب وسرنا ثلاث ايام ولما كان اليوم الرابع الساعة 9 من انهار[96] راينا الجزيرة وهي عبد الكوري[97] ونتخانا جانب الياه[98] وقبلنا فل مجرا[99] ولما جئنا الرسا[100] الذي يصور من المطلع واقبلنا عليه فئذ[101] بمايت[102] والامواج تتلاطم كنا[103] نار يعجز الواصفون عن وصفها[104] قد كادت ذلك[105] السفينة في ذلك الموج[106] صار عندنا ما صار من الشدة ولعذاب[107].

وسرنا في ذلك[108] الشدة قدر ساعتين حتى خلصنا من ذلك[109] الشدة وذرينا[110] في جزيرت[111] عبد الكوري وطرحنا دون البندر[112] وبتنا الأصبح[113] ولما كان اصبح[114] خطفنا نريد البندر[115] قد سارنا[116] قدر ساعتين ورذا بابندر[117] قد اقبل علينا وفي ذلك ابندر[118] خشبتا كبيرة طارحتا[119] وفيها من الحمول ركبانا[120] وملح قاصدتا[121] الى السواحل[122] وعدد الركبان[123] الذي فيها قدر اربع ماية نفس[124] من ذكور وانثا[125] ولما دنونا[126] من ذلك[127] ارفينا

وطرحنا قربها[128] وجاؤنا[129] منها عدد ثلاث انفار[130] وركبوا عندنا وتوجهنا واياهم[131] وتمخابرنا واياهم[132] ولخبار[133] بنى واياهم[134] كلها خير واقمنا فى ذلك البندر ثلاثث[135] ايام وسافرنا من ذلك البندر يوم الجمعة ليلة الخميس قاصدين الى جزيرت السعادة[136] ولم نزل ساءرين[137] ليل ونهار[138] واذا الجزيرة قد اقبلت علينا[139] وهى القلنصية[140] وسرنا آخر النهار واول الليل فلما كانت الساعة ست[141] من الليل وصلنا بندر القلنصية وبيتنا الى الصبح[142] فما[143] أصبحنا واذا بلهوا[144] قد اقبل علينا وهو ريح عاصف وهنلم الجو[145] علينا كانه لسيل حالك وفار البحر وتلطمت[146] الموج[147] وقد كادت ذلك[148] اسفينة[149] التغوص[150] عنا من شدت[151] الريح ورتعد[152] قلب النوخذ وكاد ان يوغتا[153] عليه من شدت[154] ما عين وقال يا اخوانى كيف الفكر ولحيل[155] فقلنا له ما هنا الا اصبر[156] اما سمعت قول صاحب المثل عواب[157] الصبر تنجو من يلازمها وقد خطرنا[158] وتشاورنا واتقظا[159] رأينا على اننا نشل العتاد ونخطف وخطفنا قاصدين الى راس بيدو[160] نريد البندر فما[161] اقبلنا عليه فيذا[162] فى ذلك البندر قدر اربع سواعى[163] فلما دنونا من ذلك[164] السواعى ارفينا قربهم[165] وطرحنا ونقلب[166] علينا ذلك البندر وقد ركب علينا الموج من اقفر[167] وقحم من الصدر[168] وقد طحنا طيحة واحدة من الساعة ست[169] من النهار الى الساعة احد عشر[170] من الليل[171] من شدت[172] ما راينا من العذاب واقمنا فى ذلك البندر ثلاث ايام وبعد اثاث[173] فرج الله عنا وسهل الله طريقنا وتيسرنا وسهل الله طريقنا وتيسرنا الى ما نحب والحمد لله الذى فرج تلك[174] اكروبات[175] والجانا من ذلك[176] الهلاكات[177] ومن جميع البليات[178] وصلات وسلام[179] على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين.

وطول مدتنا فى ذلك البحر اشهرين[180] وسبعة ايام 1369

ثانيا: بيان بقائمة الامتعة والسلع:

بيان[181] الذى جمعناه عند حمد بن عبيد بن سلطان فى صفر 10 سنة 1369.

اول ذلك أحد عشر قلة بصرى[182]

ايضا خمس[183] وعشرين جراب باطنى[184]

ايضا جوتين[185] ونصف عيش[186]

ايضا جونية فيها طحين وفيها اربع طوايق[187] كورة[188] ثنتين[189] بيض وثنتين سود.

ايضا برمياين خالى[190]

ايضا جونية[191] فيها اربع قواطى[192] خالى[193]

ثالثا: بيان صفة المجارى:

من رأس الحد إلى الالقرون[194]: - مغيب لحمارين[195]

من لقرون[196] إلى مصيرة: - اسهيل امغيب[197]

ومصيرة[198] إلى مدركة: - امبر الحمارين امغيب[199]

من مدركة إلى صوقرا: - اعقرب امغيب[200]

من قرواو إلى نوس: - مغيب العقرب

من نوس إلى الحناتى: - لحمارين[201]

من الحناتى إلى سقطرة: - المجرا بين اسهيل وسليار[202] مغيب

من سقطرة إلى حافون[203]: - امغيب[204] العقرب

من راس خافون الى معير: - المجرا[205] بين الحمارين وسهيل

من معبر الى راس الخيل: - المجرا[206] ما بين الحمارين وسهيل

من راس الخيل الى السيف المجرا سليار[207] تسير وظح[208] وترجع الوظح[209] اثانى[210] فى سهيل مغيب وتنتج هوبية.

ومن هو ببه الى مربيح: - المجرا[211] فى سهيل مغيب

من امرييح الى اعذله: - المجرا[212] فى الحمارين ولعرب[213] ولمجرا[214] من بحر وعلى حد من قطايع لحرونى[215] وتنتح العذله.

ومن اعذله[216] الى كسر مايوه[217]: - المجرا[218] من بحر العقروب امغيب[219]

من كسر مايوه[220] يغبن جزر البايون: - المجرى مغيب الحمارين تنتخ لاموه[221]

من لاموه[222]: - المجرا[223] مغيب سلبار ترتفع قليل عن الفنوق

ورجع[224] فى مغيب اسهيل وكن على حذر من قطايع انقومينى والمجرى من هناك فى مغيب سهيل والحمارين حتى تصل جزرت[225] حزيو وهى جرت[226] كثيرت[227] الشجرات[228] زامه[229] خضراء واشجارها من بعيد ؤان[230] لك ادقالة[231] المركب اذ خلفتها[232] اقبض[233] مغيب سليار والقطب واكثر مجراك القطب حتى تظهر لك جزير ام ادجاج[234] على صدر المركب[235].

ومن بعد ذلك تاء تيك[236] فكة قليلة[237]

ومن بعد الفكة[238] تاتيك جزيرت[239] تنباتوه ساير البر على يسارك حتى ينقطع البر[240] - وتاتيك فكة[241] خور مغوى اتركها على يسارك[242] يظهر لك راس بحر[243] اعبر له[244] واتركه على يسارك قصى[245] البر البر الى ان تصل تنباتون على راسها من الغرب تاء تيك[246] جرايز[247] صغار ثلاث على يمينك.

ساير البر دانت خورية بين البر والجزر وقص[248] بطن الجزرة[249] من

الجنوب من باع[250] 12 الى باع 10 الى باع 8 تويان[251] لك رنجبـــار الى اتصل[252] عدال المتون يسترق البحر هناك وتهد[253] من حناك من الجزيرات[254] البرية فتلاقى[255] الخور باع 5 والعادة هناك مركبة يوية[256] اتركها اليومية على يمينك واقصى الخور فاءذا[257] عادلت[258] اليوية يغز[259] البحر باع 5 الى باع 6 وقبل توصـيل اليوية يويان[260] لك الغزر من الرق[261] خذ على نظر عينك، اذا عادللت[262] اليوية[263] ارتفع الى بحـر قليل[264] فـاذا عادلت راى الخـور وقطعت الرس[265] اطرح ما بين الخشب والمراكب والله أعلم.

شرح كلمات ومعانى المخطوطة

(1) واصلات = والصلاة.

(2) صحبت = صحبة.

(3) انوخذ = النواخذا.

(4) خشبت = خشـبة ويعنى لدى سكان شرق وجنوب الجزيرة «السفينة الخـشبية الشراعية».

(5) البدور اسم أحد التجار المشهورين الذين يملكون السفن التجارية فى دبى.

(6) 1369 الموافق 21/ 12/ 1949 ميلادية

(7) يوم الحد = يوم الأحد.

(8) سقطره = سقطرة.

(9) ليل ونهار = ليلا ونهارا.

(10) نتخنا = أى رسونا

(11) ام العند = أم العنة.

(12) خذنا = أخذنا.

(13) مدت = مدة.

(14) الى انوصنا = إلى أن وصلنا.

(15) بندر اسحار = ميناء صحار.

(16) ننتضر اصدقاانا = ننتظر أصدقاءنا.

(17) جاء واصدقاءنا = جاءوا أصدقاؤنا.

(18) ليت اسبت = ليلة السبت.

(19) اليل ولنهار = الليل والنهار.

(20) مدت = مدة.

(21) أى وصلنا إلى السويق وهى مدينة فى عمان وكذلك سوق تجارية قديمة.

(22) اسويق = السويق.

(23) مما = من.

(24) بندر اودام = بندر أو ميناء «أودام».

(25) ولم نزل ليلا ونهرا = أى لم نزل سائرين ليلا ونهارا.

(26) مدت = مدة.

(27) ساء رين = سائرين.

(28) صور.

(29) ارفا = نزل.

(30) نحنو = نحن.

(31) ساء رين = سائرين.

(32) مدت = مدة.

(33) جزيرة «مصيرة».

(34) واخ = أخذنا.

(35) كروا أي قرواو.

(36) الشربتات= منطقة تكثر فيها العواصف وفيها ميناء تلجأ إليه السفن.

(37) الها = الهواء.

(38) اخواهر كوس.

(39) ساء رين = سائرين.

(40) بما اليل = من الليل.

(41) الساعة سبع من الليل.

(42) الهواء ايلات= عواصف بحرية.

(43) عدنا = عندنا.

(44) ضجوا = يصحون.

(45) بقوات يؤزنون = يوذنون بقوة.

(46) شدت = شدة.

(47) مارءو = ما رأوا.

(48) شدت = شدة.

(49) مارءينا = ما رأينا.

(50) ساء رين = سائرين.

(51) ذلك الشدة = تلك الشدة.

(52) ولوقت = والوقت.

(53) مظلما = مظلم.

(54) كنه = كأنه.

(55) حضروا لخواننا = حضروا إخواننا.

(56) تشاورو = تشاوروا.

(57) بعظ = بعض.

(58) الخالى = الخالية.

(59) وقاما وحد = وقام واحد.

(60) من لخواننا = من إخواننا وقال.

(61) انى اراكم = إنى أرى لكم.

(62) الحاسجية = الحاسكية.

(63) اى اتجهنا نحو الجزيرة.

(64) انوصلناه = أن وصلناه.

(65) وقاربناه = قربنا منها.

(66) فتذهيا = فإذا هى.

(67) كتنها = كأنها.

(68) قد = وقد.

(69) ونزل = ولم نزل.

(70) المرسا = المرسى.

(71) باع = مقياس يساوى قامة الرجل متوسطة الطول.

(72) ليسا = ليس.

(73) بمرسا = بمرسى.

(74) وللاكن = ولكن.

(75) العدم = أى عدم وجود مرسى آخر جعلهم يتجهون إليها.

(76) الا = إلى.

(77) ولحمد لله = والحمد لله.

(78) الذى = فهو الذى.

(79) نجانا.

(80) ذلك = من ذلك.

(81) ولمحنا = والمحنة.

(82) فلما سجية = فى الحاسكية.

(83) فى معيشت = حالة.

(84) ضنكاء = ضنكا.

(85) لحاسجية = الحاسكية.

(86) سدح = ميناء صغير فى منطقة ظفار.

(87) وحده = الواحده.

(88) ساعه 6 = الساعة السادسة.

(89) ولهوكس = والهواء كوس.

(90) رياح قوية.

(91) ياوشنا أى تجاوزنا.

(92) اسات = السادس.

(93) ليل = الليل.

(94) لهواء = الهواء.

(95) قد جاانا = قد جاءنا.

(96) من انهار = من النهار.

(97) عبدا كورى = عبد الكورى.

(98) الياه = الجاه.

(99) وقبلنا فل مجرا = وأقبلناه فى المجرى.

(100) الرسا = المرسى.

(101) فئذ = فإذا.

(102) بمايت = بمائة.

(103) كنا = كأنها.

(104) قد = وقد.

(105) ذلك = تلك.

(106) فى ذلك الموج = تغرق فى ذلك الموج.

(107) ولعذاب = والعذاب.

(108) فى ذلك = فى تلك.

(109)ذلك = تلك.

(110) وزرينا = احتمينا أو بقينا حتى زالت تلك العواصف الشديدة.

(111) جزيرت = جزيرة.

(112) طرحنا دون البندر = وقفنا قبل الميناء.

(113) الاصبح = إلى الصباح.

(114) اصبح = الصباح.

(115) نريد البندر = ذهبنا قاصدين الميناء.

(116) قد سارنا = وقد سرنا.

(117) واذ بلبندر = وإذا البندر.

(118) ابندر = بالبندر.

(119) خشبتا كبيرة طارحتا = خشبة كبيرة طارحة أى سفينة كبيرة راسية فى الميناء.

(120) ركبانا = أى ركاب ومسافرين.

(121) قاصدتا = قاصدة.

(122) السواحل = ساحل شرق أفريقيا.

(123) الركبان = الركاب والمسافرين.

(124) اربع ماية نفس = أربعمائة شخص.

(125) من ذكور وانثا = ذكر وأنثى.

(126) دنونا = اقتربنا.

(127) ذلك = تلك.

(128) أنزلنا الشراع وتوقفنا قربها.

(129) جاؤنا = جاءنا.

(130) ثلاثة انفار = ثلاثة أشخاص.

(131) وتوجهنا وإياهم = سلمنا عليهم معانقين.

(132) تحدثنا معهم.

(133) ولخيار = الأخبار أى الحديث.

(134) بينى وبينهم.

(135) ثلاثت = ثلاثة.

(136) جزيرت السعادة = جزيرة السعادة.

(137) ساء رين = سائرين.

(138) ليل نهار = ليلا ونهارا.

(139) ظهرت أمامنا.

(140) جزيرة القلنصية.

(141) الساعة ست = الساعة السادسة.

(142) إلى الصباح.

(143) فما = فلما.

(144) بلهوا = بالهواء.

(145) وهنلم = واظلم.

(146) تلطمت = تلاطمت.

(147) الموج = الأمواج.

(148) ذلك = تلك.

(149) اسفية = السفينة.

(150) التغوص = أن تغوص.

(151) شدت = شدة.

(152) ورتعد = ارتعد.

(153) يوغتا = يغمى.

(154) من شدت = من شدة.

(155)ولحيل = الحيلة.

(156) اصبر = الصبر.

(157) عواب = عواقب.

(158) خطرنا = حضرنا.

(159) وانقظا = وانقضى.

(160) راس بيدو = ميناء فى جزيرة سقطرة.

(161) فما = فلما.

(162) فيذا = فإذا.

(163) سواعى = مراكب صغير أو قوارب.

(164) ذلك = تلك.

(165) ارفينا = أى عندما اقتربنا من تلك المراكب الصغيرة الأربعة أنزلنا الشراع حتى تتوقف السفينة ووقفنا بقربهم.

(166) ونقلب = وانقلب علينا ذلك البندر أى تغير البحر فى الميناء وأصبح ذا أمواج عالية بعد ما كان هادئا.

(167) اقفر = القفر أى من الخلف.

(168) من الصدر = من الأمام.

(169) ست = الساعة السادسة ويقول في هذه الفقرة أنهم لم يستطيعوا التحرك فوقفوا السفينة في أماكنهم من الساعة السادسة صباحا حتى الساعة الحادية عشرة مساء من شدة العواصف والأمواج.

(170) احد عشر = الحادى عشر.

(171) اليل = الليل.

(172) شدت = شدة.

(173) اثاث = الثلاث أى بعد ثلاثة أيام.

(174) تلك = ذلك.

(175) اكروبات = الكربات.

(176) ذلك = تلك.

(177) الهلاكات = الهلاك.

(178) البليات = البلاء.

(179) وصلات وسلام = والصلاة والسلام.

(180) اشهرين = شهرين وقد كتب المؤلف المخطوطة رقم 37 فوق كلمة سبعة مما يشككنا في المدة ولعل المؤلف أراد شهرا وسبعة أيام.

(181) بيان البضائع والسلع التى شحنت في سفينة الرحلة وهذه البضائع خاصة بصاحب المخطوطة.

(182) القلة أصلها «جلة» وهى وعاء يجلب من البصرة بالعراق.

(183) خمس = خمسة.

(184) جراب باطنى = وعاء مستطيل من الخوص يكنز فيه التمر والباطنى نوع من التمر يزرع في ساحل الباطنة من عمان.

(185) جوتين = جونتين معناه باللهجة المحلية كيس.

(186) عيش = أى الأرز وهو غذاء رئيسى لسكان شرق وجنوب الجزيرة العربية.

(187) طوايق = يعنى بها لفافات القماش.

(188) كورة = نوع من الملابس أو الشياب تكون غليظة وخشنة ويعنى أن لفافات من القماش الغليظ الخشن كان من نوعين اثنين ذات لون أبيض واثنين ذات لون أسود.

(189) ثنتين = اثنين.

(190) خالى = خاليين أى خاويين.

(191) جونية يعنى كيس.

(192) قواطى يعنى علب.

(193) خالى = خالية يعنى خاوية.

(194) الالقرون = إلى القرون.

(195) لحمارين = الحمارين.

(196) لقرون = القرون.

(197) اسهيل انغيب = سهيل مغيب.

(198) ومصيرة = ومن مصيرة.

(199) امجرا لحمارين امغيب = المجرى معيب الحمارين.

(200) اعقرب امغيب = مغيب العقرب.

(201) لحمارين = مغيب الحمارين.

(202) المجرا بين اسهيل وسليار مغيب = المجرى مغيب بين سهيل وسليار.

(203) حافرن = رأس حافون.

(204) امغيب = مغيب.

(205) المجرا = المجرى.

(206) المجرا = المجرى.

(207) المجرا سليار = المجرى سليار.

(208) وظح = وضح.

(209) الوظح = الوضع. وتعنى الليل كما تعنى النهار فإن كان الوضح الأول ليلا كان الثانى نهارا.

(210) اثانى = الثانى.

(211) المجرا = المجرى.

(212) المجرا = المجرى.

(213) ولعرب = والعقرب.

(214) ولمجرا = والمجرى.

(215) لحرونى = الحروتى.

(216) اعذل = أعذله.

(217) كسر مايوه = كسمايو. فى جنوب الصومال.

(218) المجرا = المجرى.

(219) مغيب من بحر المغيب.

(220) كسر مايوه = كسمايو.

(221) لاموه = لامو. ميناء إلى الشرق من كينيا.

(222) لاموه = لامو.

(223) المجرا = المجرى.

(224) ورجع = وراجع.

(225) جزرت = جزيرة.

(226) جرت = جزيرة.

(227) كثيرت = كثيرة.

(228) الشجرات = الأشجار. أشجار «القرم» التي تنبت فى مياه البحر.

(229) زامة خضراء يعنى حزام أخضر.

(230) واشجارها من بعيد ثيان = إى تلك الأشجار العالية من مسافة بعيدة فى البحر.

(231) ادقالة المركب يعنى مثل العمود الخشبى الطويل الذى توضع عليه أشرعة السفن، ودقالة جمع دقل (بتفخيم اللام) وهو صارى السفينة.

(232) اذا اخلفتها = يعنى تركتها خلفك أو تجاوزتها.

(233) اقبض يعنى اتجه.

(234) جزير ام دجاج = جزيرة أم الدجاج.

(235) أى أمام السفينة أو فى اتجاه السفينة.

(236) تاء تيك = تأتيك.

(237) فكة قليلة = فتحة صغيرة.

(238) أى الفتحة.

(239) جزرت = جزيرة.

(240) أى اجعل اتجاهك موازيا للساحل على يسارك.

(241) فكة يعنى فتحة.

(242) أى اجعلها على يسارك.

(243) لسان من البحر.

(244) تجاوزه.

(245) قصى = أقصى أى اتبع.

(246) تاء تيك = تأتيك.

(247) جزاير = جزائر.

(248) قصى = أقصى.

(249) الجزرة = الجزيرة.

(250) باع = عمق المياه بمسافة قائمة الرجل المتوسط تقريبا.

(251) توبان = تبان يعنى يظهر أمامك.

(252) إلى اتصل = أى إلى أن تصل.

(253) تهد = تهدأ أو تقلل من السرعة أو تهدئ السرعة.

(254) الجزيرت = الجزيرة.

(255) فتلاقى = فتجد.

(256) البوية = علامة أو نقطة لإرشاد السفن فى البحر كأن تكون صخرة بارزة أو بالون سميك طاف على الماء.

(257) فاءذا = فإذا.

(258) عدلت = أى استقمه.

(259) يغر = يغزر أى يصبح البحر عميقا.

(260) يويان = بيان أى يظهر.

(261) أى تستطيع ان تلاحظ وتميز المياه العميقة من المياه الضحلة.

(262) عدللت = عادلت = استقمت.

(263) اليوية = البوصلة.

(264) أى مياه ذات عمق قليل.

(265) الرس = الرأس.

الخاتمة:

يتضح من دراستنا لمخطوطة «الساكوب»، ما مدى قوة العلاقة بين شرق الجزيرة العربية، وخاصة ساحل عمان (الإمارات العربية المتحدة حاليا) وبين جنوب الجزيرة العربية فى حضرموت وخاصة «سقطرة» و «مكلا»، وكيف كان التجار والمسافرون والملاحون يواجهون المصائب ومشقة السفر، من الأمواج العاتية وهبوب العواصف الهوجاء، وبرغم تلك المشاكل والمصائب، فإنهم لم يكونوا يستسلمون لقسوة الطبيعة، بل كانوا يقاومون التحدى ويستجيبون لها بكل قوة، مما خلق معه اتصالا بشكل دائم بين تلك الجهات، ومنتظمة سنويا مع هبوب رياح الشمال الموسمية.

تعطينا تلك المخطوطة فكرة عن الطريق الملاحى والمدة الزمنية التى تستغرقها الرحلة للسفينة الشراعية من ميناء إلى ميناء آخر، وكان وصف مؤلف المخطوط دقيقا بحسب الأيام وكذلك الساعات وأحيانا يصف الليل والنهار، وبرغم أنه لم يكن يجيد الكتابة ولكنه كان يمثل التيار الفكرى السائد فى ساحل عمان فى تلك الفترة. وإذا كانت هناك ثمة كلمة أختم بها هذا العرض فهى أننا بحاجة إلى إثارة دفائن تراثنا ونفض غبار السنين عنها.

أوجه ندائى إلى المعنيين بشؤون التراث والتاريخ فى شرق الجزيرة العربية عامة ودولة الإمارات العربية المتحدة خاصة، بأن يجمعوا كل ما يمكن جمعه مما يتعلق بتاريخ وتراث منطقتنا العربية، وكم فى الزوايا من نفائس الخبايا، سواء أكانت آثارا مخطوطة أم ذكريات محفوظة، وبذلك نستدرك كثيرا من حوادث التاريخ الخاص بالمنطقة وتتوافر لنا ذخيرة وافرة للدراسة يمكن الرجوع إليها بعد نخلها وتصفيتها ووضعها للقراءة.

والله عز وجل من وراء القصد والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على حبيبنا محمد سيد المرسلين وعلى آل بيته الطاهرين ومن اتبعهم بسنته.

الفصل الثامن



نشأة الجامعات في شرق الجزيرة العربية

ألقى هذا البحث فى الدورة الربيعية الأولى للجامعات الصيفية العربية - الأوروبية - بغداد 20 - 27 مارس 1989.

مقدمة:

تتناول هذه الدراسة جانبا من أهم جوانب تنمية الإنسان العربى ألا وهو التعليم العالى المتمثل فى جامعات دول شرق الجزيرة العربية التى تقع فى الجناح الشرقى من الوطن العربى، ولها تجارب متقاربة بحكم تقارب البيئة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

نبدأ بظروف نشأة الجامعات وكيفية هذه النشأة ثم أهدافها، وبعض سماتها المشتركة وأخيرا معوقات العمل الجامعى.

ظروف نشأة الجامعات فى دول شرق الجزيرة العربية:

أدركت بعض الدول أن التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة لا تتحقق إلا بالتفاعل بين الإنسان - وهو هدف التنمية ووسيلتها - والبيئة الطبيعية، وما بين الإنسان والمعطيات العلمية والحضارية، ونتيجة لهذا الإدراك كان الاهتمام بالتعليم وخاصة التعاليم العالى[1].

من هنا كان ارتباط الجامعة بالمجتمع ارتباطا وثيقا وجزءا أساسيا من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية السائدة، وتتفاعل معها سلبا وإيجابا، ولهذا فإن إشكالية العلاقة ومعالجة أزمة الجامعات العربية التى تعيق دورها لا يمكن فهمها إلا من خلال فهم إشكالية علاقة الفعل الثقافى أو الثقافة بالسلطة فى الوطن العربى، والتى قيل عنها الكثير ولم نفعل لحلها إلا النزر اليسير، والذى لم يأت إلا متسعا مع تطلعات وحاجات أكثر نظم المجتمع قوة وسيادة[2].

هذا ما أثر فى الظروف التى أدت إلى قيام وإنشاء الجامعات فى شرق الجزيرة العربية، وفى هذا السياق نتناول تاريخ هذه الجامعات والتى مازالت فى بداية الطريق ومشوارها طويل حتى تصل إلى مرحلة الأعراف والتقاليد الجامعية المعروفة لدى الجامعات العريقة بتاريخها.

يمكننا القول إنه برغم الأموال والميزانيات الضخمة لهذه الجامعات، إلا أنها لم تصل إلى المرحلة المتقدمة والمرجوة من قيامها للمساهمة فى التنمية القطرية والإقليمية والأبحاث والدراسات والتوصل إلى معرفة الحقائق العلمية ونشرها بين المجتمع المحلى ثم الخارجى.

نجد أن الظروف التي أثرت في قيامها، هى التى فرضت عليها تركيبة من قبل القوة الاجتماعية التى لعبت دورا فى إنشائها، وهى ذات مصالح سياسية وثقافية، وإن القوى التى قامت بهذا الدور تسعى فى الاحتفاظ بولاء الجامعة لها قبل كل شىء، على عكس مهمة الجامعة التى تنحصر فى ولائها للحقيقة المحضة(3).

لو رجعنا إلى الفترة الزمنية التى نشأت فيها جامعات شرق الجزيرة العربية لوجدناها فى الستينيات والسبعينيات والمعروف بفترة الثورة الطلابية فى العالم من أجل الإصلاح الجامعى، ابتداء من اليابان والصين والهند مرورا بأوربا عامة وفرنسا خاصة، حتى الولايات المتحدة الأمريكية.

لا ننسى ظروف الأمة العربية فى أواخر الستينيات، وكيانات شرق الجزيرة العربية فى بداية السبعينيات، حيث الانسحاب البريطانى والاستقلال السياسى لدولها والفوائض المالية الناتجة من ارتفاع أسعار البترول بعد عام 1973، وازدياد حجم الإنتاج، يقابلها الخروج من التخلف بكل أبعاده إلى محاولة إيجاد تنمية غير واضحة المعالم، وفى هذه الظروف كانت نشأة الجامعات فى كيانات شرق الجزيرة العربية.

كيفية نشأة الجامعات فى شرق الجزيرة العربية:

لماذا وكيف أنشئت الجامعات؟

للإجابة على هذا السؤال يمكن القول بأن التعليم الجامعى فى دول شرق الجزيرة العربية جاء لرفع مستوى الفرد، وإن الحضارة فى عالمنا المعاصر تحتاج إلى

أعداد من القوى البشرية ذات الكفاءة العالية، ولا يتم ذلك إلا من خلال التعليم العالى.

استجابة للتطور العلمى التكنولوجى والاقتصادى السريع وتغير طبيعة العمل واحتياجات المجتمع وضخامة حجم المعرفة الإنسانية التى تنمو بطريقة سريعة، جعل المجتمعات فى المنطقة تحتاج إلى كوادر مهنية عالية التقنية والتخصص الدقيق، ولكون أبنائها المواطنون يشكلون أقلية بالنسبة إلى الوافدين، وبالتالى تحتاج هذه الكيانات إلى قيادات ذات مهارات وتعليم عال على أن يتم استخدام الوافدين كعمال وفنيين. حتى يتم إيجاد شريحة وطنية فى القطاع الأخير أيضا.

ومن هنا نشأت فكرة قيام الجامعات، ونظرا لأن دول شرق الجزيرة العربية تقوم بالتمويل الكامل الشامل، لذا فالجامعات ليست مقصورة على القلة أو النخبة من فئات المجتمع، وإنما متاحة لجميع الفئات بدون مقابل، وإن الجامعات تقدم للطلاب كافة التسهيلات بالمجان سواء الكتب والدراسة وحتى السكن والطعام فى بعضها.

يمكن القول بأن كيانات شرق الجزيرة العربية استطاعت توفير التعليم العالى الجامعى لجميع مواطنيه كحق لهم، بشرط الإجازة فى الشهادة الثانوية العامة وتحديد الكليات النظرية والعلمية وشروط الدخول حسب النسب المئوية للدرجات، فى حين استحدثت جامعة الإمارات برنامجًا تأهيليًا خاصًا يسمى التعليم الأساسى، ويدرس الطالب فيه معلومات خاصة بالمهارات الأساسية مثل اللغة العربية والإنجليزية والحاسب الآلى والرياضيات، والنجاح فيها أساس أى بمعنى آخر إعادة شهادة الثانوية من جديد لدخول الجامعة. مما يعنى ضياع وقت إضافى وصرف أموال كثيرة دون مبرر مما يعنى ضياع العمر الزمنى للطالب الجامعى.

نجد الجامعات فى كيانات شرق الجزيرة العربية ضخمة وفخمة وكبيرة الحجم فى البناء الإسمنتى، وصغيرة الحجم فى الإنتاج العلمى وما تقدمه من الفكر الإنسانى وحل مشكلات المجتمع المحلى قبل الإقليمى والعربى والقومى.

صيغت عبارات وكلمات توحى بأهمية دور الجامعات فى المجتمع وأسباب قيامها، وفيما يلى نورد ذلك من بعض الجامعات فى المنطقة وخاصة الكويت والبحرين وقطر والإمارات كمثال، علما بأن هناك جامعات أخرى مثل جامعة قابوس فى عمان وجامعة البترول والمعادن وجامعة الملك فيصل فى شرق السعودية.

أولا: جامعة الكويت:

جاء فى كتاب الدليل الدراسى لعام (1983 - 1985) لجامعة الكويت، عن تعليل قيام هذه الجامعة بأن دولة الكويت لم تدخر جهدا لمواكبة التطور العلمى الذى أصبح من سمات العصر الحديث، حتى تأخذ مكانتها اللائقة بين دول العالم المتمدن. فقبل إنشاء جامعتها المستقلة أوفد أبناؤها من الطلاب على نفقة الكويت لنيل الدرجات العلمية المتقدمة فى الجامعات الأجنبية للمشاركة فى بناء الحضارة العلمية والثقافية.

إلا أن ذلك لم يكن سهلا يسيرا، فقد واجه أبناءها فى الخارج على الكثير من المشكلات نتيجة عدة عوامل منها اختلاف التقاليد واللغة وسوء اختيار التخصص الذى يتلاءم مع ميول الطالب، بالإضافة إلى سوء التوجيه الثقافى والعلمى وعدم كفاية الكفاءات والتخصصات للحاجة الملحة للتطور الصناعى والعمرانى الضخم(4).

لذلك شعرت دولة الكويت بالحاجة إلى قيام جامعة وطنية لرفع مستوى التعليم وإمداده بالقوى العاملة الوطنية المدربة علميا وعمليا لرفع كفاءتها الإنتاجية والاقتصادية.

وضعت النواة الأولى للجامعة وتم افتتاحها فى أكتوبر 1966، بعد خمسة أعوام من تحقيق السيادة الكاملة لدولة الكويت، وذلك بتأسيس كلية العلوم والآداب والتربية وكلية البنات الجامعية.

كان قوام الجامعة الناشئة (418) طالبا و(31) عضوا فى الهيئة التدريس، إلا أنها نمت بصورة هائلة بفضل الجهود المبذولة فى سبيل نهضتها، حتى أصبحت تضم (12085) طالبا بعد سبعة عشر عاما فقط، أى أن عدد الطلبة قد تضاعف نحو(29) مرة خلال هذه الفترة.

كما ازداد عدد أعضاء هيئة التدريس خلال الفترة نفسها إلى (735) عضوا أى أنه تضاعف نحو (23) مرة.

طبيعيا أن تزداد ميزانية الجامعة، فقد ارتفعت من (1224624) دينار كويتى فى بداية الفترة إلى (47308500) دينار كويتى بعد سبعة عشر عاما، أى أنها تضاعفت نحو (44) مرة مما يدل على حرص الدولة على توفير كل وسائل التعليم الحديثة[5].

سعت الجامعة فى إنشاء المزيد من الكليات الجامعية، فقد صدر مرسوم أميرى فى أول أبريل 1967 بإنشاء كليتين هما كلية الحقوق والشريعة، وكلية التجارة والاقتصاد والعلوم السياسية، ثم صدر مرسوم أميرى فى 20 أكتوبر بفصل كلية العلوم عن كلية الآداب والتربية، كما صدر مرسوم أميرى فى 4 ديسمبر 1974 بإنشاء كلية الهندسة والبترول.

صدر مرسوم أميرى بإنشاء كلية الطب التى بدأت الدراسة فيها عام 1970 - 1977، ثم أنشئت كلية الدراسات العليا عام 1977، وفى مايو 1980 صدر مرسوم أميرى بإنشاء كلية التربية، وانتقل إليها قسم التربية من كلية الآداب فى فبراير 1980، وبدأت الدراسة فيها فى الفصل الدراسى الأول 1981 - 1982. وفى 13 أكتوبر 1981 صدر مرسوم أميرى بإنشاء كلية الشريعة والدراسات الإسلامية التى بدأت فيها فى الفصل الدراسى الأول 1982 - 1983.

ثم صدر أخيرا فى 22 يونيو 1982 مرسوم أميرى بإنشاء كلية العلوم الطبية

المساعدة والتمريض، وبذلك فصلت برامج العلوم الطبية المساعدة عن برامج كلية الطب[6].

ثانيا: جامعة الخليج العربي:

وجهت دعوة كويتية لقيام جامعة خليجية موحدة بعد الانسحاب البريطانى الذى نتج عنه قيام كيانات سياسية فى شرق الجزيرة العربية، وذلك انطلاقا من الواقع المالى والبشرى للمنطقة فى تلك الفترة. وحيث إن الكيانات حديثة العهد بالاستقلال السياسى وفى طور التنمية والخروج من التخلف الذى فرضه الاستعمار البريطانى، وتحتاج إلى خبرة فى كافة المجالات ومنها التعليم العالى. وعدم تغطية الفوائض المالية لكافة مشاريع التنمية وانخفاض أسعار البترول عالميا، وقلة عدد السكان والتكاليف العالية لإقامة الجامعات الحديثة وتشابه الخصائص الاجتماعية والثقافية لأبناء شرق الجزيرة العربية.

اقترح الأخوة فى الكويت تحويل جامعة الكويت إلى جامعة خليجية، يتم فيها قبول طلاب شرق الجزيرة العربية، ومعاملتهم معاملة إخوانهم طلاب الكويت، وتفتتح كليات متخصصة فى دول المنطقة حسب توافق البيئة واحتياجاتها مع اختصاص الكلية المقامة، وذلك بأن تفتح كلية الزراعة فى عمان أو البحرين، وكلية البترول والمعادن فى أبو ظبى، وكلية الهندسة فى قطر، ويتم توجيه الطلاب إلى هذه الكليات حسب قبولهم فيها. وكانت هذا خطوة متقدمة نحو توحيد المواطنة الخليجية لدول مجلس التعاون

أى أن فكرة جامعة الخليج كانت أقرب إلى تذويب الحدود السياسية الجغرافية لدى أبناء المنطقة، وإعطائهم مضمونا ثقافيا، ومحاولة إيجاد أرضية مشتركة للتعاون والوحدة الخليجية بين أبنائها على الأقل من الناحية الثقافية التربوية مما يسهل الوحدة السياسية فيما بعد. ولكن الفكرة الكويتية لم تلق تجاوبا وقبولا فى الأوساط المعنية، وقد قال البعض: لو أن المشروع كان قد جاءهم عن طرق فنية فلربما كان سيلاقى قبولا وحماسا[7]. وبذلك قامت جامعات إقليمية فى كل من

قطر والإمارات والبحرين وعمان، ولكن فكرة جامعة الخليج العربى بقيت برغم وجود عدة جامعات إقليمية حتى أصبحت حقيقة واقعة، وإذا كانت جامعة الخليج العربى لا يزال لها دور سياسى وحيوى فينبغى أن تؤديه هى الأخرى.

قيام الجامعات الإقليمية فى كيانات شرق الجزيرة العربية على النحو الذى قامت به، كان برهانا على فشل العمل الجماعى أو الوحدوى فى المجال الأكاديمى، وعلى هذا فإن قيام جامعة الخليج العربية الموحدة يمكن أن يواكب الوعى الآخر.. وعى الوحدة لدول المنطقة، وهكذا يبرهن على أن فكرة العمل الأكاديمى الوحدوى لم تمت ولم تفشل. وإلا فما معنى تكرار وجود الجامعات العشر القائمات بجامعات أخرى يحتمل أن تكون بدعا بين سابقاتها من جامعات شرق الجزيرة العربية(8).

جاء فى مقدمة إنشائها، أنه انطلاقا من رغبة دول شرق الجزيرة العربية فى تعزيز التعاون والتكامل بينهما فى مجالات التعليم العالى والبحث العلمى والتنمية، بما يتفق وتطلعات أبناء هذا الجزء من الأمة العربية الإسلامية إلى نهضة شاملة وتقدم حضارى رائد يعيد للأمة أمجادها ويؤكد دورها فى المساهمة فى مسيرة الحضارة الإنسانية باعتبارها أمة عربية بعقيدتها الإسلامية السامية وقيمها الأصلية. من أجل ذلك قامت جامعة الخليج العربى، وأنشئت الجامعة بقرار المؤتمر العام الخامس لوزارة التربية والتعليم والمعارف لدول شرق الجزيرة العربية والعراق، والذى انعقد فى الكويت فى الفترة من30 مارس إلى 1 أبريل عام 1980، والذى وافق على النظام الأساسى للجامعة وعلى اتفاقية إنشائها(9).

ولدت هذه الجامعة ميتة بولادة قيصرية، فقد أصبحت تعانى منذ بدء إنشائها من مشكلات إدارية وأزمات مالية لعدم سداد كيانات شرق الجزيرة العربية أقساطها السنوية، مما أدى فى النهاية إلى إغلاقها وتحويل بعض مبانى كلياتها إلى جامعة البحرين وبذلك لم ينجح حتى هذا المشروع الوحدوى الأكاديمى الثقافى بين كيانات المنطقة، فكيف بالمشاريع الوحدوية السياسية؟.

ثالثا: جامعة البحرين:

ظهرت كليتان فى البحرين، ثم انضمتا معا فى جامعة وطنية سميت بجامعة البحرين، وفيما يلى نتطرق إلى إنشاء الكليتين قبل تحويلهما إلى جامعة البحرين.

(أ) الكلية الجامعية للعلوم والآداب والتربية:[10]

أنشئت الكلية الجامعية للعلوم والآداب والتربية عام 1978، وذلك لإعداد المعلمين تربويا وتلبية احتياجات البحرين لمختلف التخصصات، وفى مرحلة الدراسات والعلوم الإنسانية والاجتماعية، تمنح درجة البكالوريوس فى الآدب وكذلك فى الدراسات العلمية تمنح درجة البكالوريوس فى العلوم.

(ب) كلية الخليج للتكنولوجيا:

افتتحت فى عام 1968 كلية الخليج للتكنولوجيا، والتى كانت تعرف حتى وقت قريب بكلية الخليج الصناعية، وكانت البداية بعدد قليل من الطلبة لا يزيد عن ثمانية عشر طالبا، وثلاثة من أعضاء هيئة التدريس. منذ ذلك الوقت وحتى العام الأكاديمى 1981 - 1982 ارتفع عدد المتقدمين فى كلية الخليج للتكنولوجيا إلى نحو (2500) طالب، ومائتين من أعضاء الإدارة فى الكلية، منهم (115) عضو هيئة التدريس.

لعبت كلية الخليج للتكنولوجيا دورا نشطا ومهما فى التعليم والتدريس لأبناء البحرين وغيرهم من أبناء الخليج العربى فى مجالات الهندسة والتكنولوجيا وإدارة الأعمال[11].

رابعا: جامعة قطر:

كانت دولة قطر من أوائل الدول المستقلة فى الخليج العربى فى فتح معاهد للتعليم العالى، وبدأت بكليتى التربية للبنين والبنات عام 1973، وفى الثامن من يونيو عام 1977 صدر عن حاكم قطر المرسوم الأميرى بقانون رقم (2) لعام 1977، بإنشاء الجامعة وإدارتها وكلياتها الخمس دفعة واحدة إضافة إلى كلية

التـربية السـادسـة، وفى النصف الثانى مـن الثمـانينيات افـتـتحت كليـة الإدارة والاقتصاد، وسميت جامعة قطر ورئيسها الأعلى حاكم الدولة[12].

تضم جامعة قطر الكليات الآتية:

1 - كلية التربية.

2 - كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية.

3 - كلية العلوم.

4 - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.

5 - كلية الهندسة.

6 - كلية الدراسات العليا.

7 - كلية الإدارة والاقتصاد.

وأنشئت أربع مراكز للبحوث هى[13].

1 - مركز البحوث العلمية والتطبيقية.

2 - مركز البحوث التربية.

3 - مركز بحوث السيرة والسنة النبوية.

4 - مركز الوثائق والدراسات الإنسانية.

ارتفع عدد الطلاب من مائة وخمسين طالبا عام 1974 إلى (5057) طالب عام (1985 - 1986)، ومنهم (371) قطريون، ويبلغ عدد أعضاء هيئة التدريس فى الجامعة (223) عضوا منهم أربعة وعشرون قطريا من حملة الدكتوراه[14].

يعلق الدكتور «محمد جواد رضا» على ظاهرة قيام جامعات إقليمية فى كل من قطر والإمارات قائلا[15]:

يبدو أن الدافعين الأساسيين اللذين وقفا وراء قيام جامعة قطر، هما الإحساس الطيب والمشروع بأن الجامعة رمز من رموز الاستقلال السياسى، ثم إن توافر الخبراء والمستشارين الموهوبين أيد القرارات السياسية بشأن الجامعة وتجميع الأدلة والبراهين على صوابها، بصرف النظر عن شروط التنمية العلمية للمجتمع.

يمكننا أن نقول: إن لم يكن هؤلاء المستشارون وراء هذه الكيانات الجامعية ذات الصبغة السياسية فمن يكون وراءها.. ثم يقول عن ظاهرة جامعة الإمارات:

«لما قامت الجامعة فى قطر، كان لابد أن تقوم جامعة فى دولة الإمارات العربية المتحدة أيضا، فالحاجة النفسية والسياسية هنا لم تكن أقل منها هناك، بل يبدو أنه كانت هناك قناعة قوية وبوجوب تزامن قيام الجامعتين أيضا».

خامسا: جامعة الإمارات:

راحت فكرة إنشاء جامعة دولة الإمارات تنمو وتتكامل وباتت تحتل الاهتمام الكبير من المسؤولين الذين كانوا ميالين إلى الانتفاع بالتجربة الجامعية الكويتية، واستدعيت إلى أبو ظبى شخصية جامعية كويتية، هى الأستاذ أنور النورى الأمين العام لجامعة الكويت، لأخذ رأيه والاستفادة من خبرته الطويلة فى إنشاء الجامعة بالمنطقة، فقام بزيارة دولة الإمارات العربية فى الفترة الواقعة بين 1 - 5 ديسمبر 1975 ليتداول الآراء مع المسؤولين فى أبوظبى حول إنشاء الجامعة الجديدة.

أصدر رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة القانون الاتحادى رقم (4) لعام 1976 وقد نص فى مادته الأولى على إنشاء جامعة الإمارات العربية المتحدة وتنظيمها، وقد جاء فى هذه المادة ما يلى:

تنشأ فى دولة الإمارات العربية المتحدة جامعة عربية إسلامية يطلق عليها اسم «جامعة الإمارات العربية المتحدة»، وتكوين هيئة علمية مستقلة ذات شخصية معنوية عامة(16).

بلغ عدد طلاب الجامعة عام 1977 عند افتتاحها (502) طالبا، و(54)

عضوا للهيئة التدريسية، وارتفع هذا العدد بعد عشرة أعوام إلى (7849) طالبا و(574) عضو هيئة التدريس منهم داخل الهيئة (349) و(98) خارج الهيئة، وقد بلغ عدد المعيدين (127) وخمسة عشر دكتور من المواطنين بعد عدة سنوات، وكان من الطبيعى أن يصاحب النمو الطلابى فى الجامعة وزيادة موازنتها السنوية توسعات كمية ونوعية فى الجهازين الإدارى والأكاديمى[17]. وعلى الصعيد الأكاديمى ضمت الجامعة أربع كليات عند تأسيسها وهى الآداب، والعلوم، والتربية، والعلوم الإدارية والسياسية، ثم تبعها إنشاء كلية الشريعة والقانون فى عام 1978، وفى عام 1980 تقرر إنشاء كليتى الزراعة والهندسة.

أنشئت عام 1981 عمادة الانتساب الموجه وعمادة الدراسات العليا والبحوث والنشر العلمى. تم افتتاح كلية الطب مع بداية العام الدراسى 1986 - 1987، وتضم الجامعة مركزا للغات الأجنبية ومركزا للحاسب الآلى ومتحفا للتاريخ الطبيعى، ووحدة لتربية الكائنات الحية[18]. كما تضم عددا آخر من المراكز العلمية مثل مركز بحوث الصحراء والبيئة البحرية، ومركز البحوث والتطور والخدمات التربوية والنفسية، ومركز البحوث الإدارية والمالية والاقتصادية[19]، ومركز البحوث التاريخية والتراث الشعبى.

سادسا: كلية عجمان الجامعية للعلوم والتكنولوجيا:

صدر المرسوم الأميرى رقم (4/ 88) بتاريخ 17 يونيو 1988 عن ديوان الشيخ حميد بن النعيمى حاكم عجمان، ونص المرسوم على مايلى:

فى هذا العصر الذى تتسارع فيه خطوات التقدم التقنى بمعدلات فائقة الحجم والأبعاد، وإذ يقف الإنسان اليوم على تخوم المعرفة يستشرف آفاقًا جديدة للعمل لا تحدها حدود، فأضحت التقنية من لزوميات الحياة وشرطا من شروط المستقبل.

ولما كان التعليم الفنى والتقنى والتطبيقى فى عالمنا العربى والعالم الثالث عموما قد تقاعس عن التعليم النظرى لأسباب معلومة حوتها قواميس الجهود

التصحيحية والتقويمية التى انتظمت النشاطات مؤخرا دولية وإقليمية ومحلية[20].

ولما كان التوجيه فى السياسة التعليمية بقيادة الشيخ زايد بن سلطان رئيس الدولة قد أفرد أسبقية عالية واهتماما كبيرا بالتعليم العالى، وقد رعى شخصيا بذرته الأولى ووجه بالتركيز على التعليم التقنى والفنى وحيث تنظم المساحة التعليمية بقيادة جامعة الإمارات العربية المتحدة حركة توعية وتعريف وتأسيس الأطر تستجيب للحاجة الملحة فى الدولة للتقنيين والفنيين والتطبيقيين من أبنائها[21].

جاء فى المادة الثانية: تؤسس فى إمارة عجمان كلية تسمى كلية عجمان الجامعية للعلوم والتكنولوجيا، يكون مقرها مدينة عجمان وتكون لها الشخصية الاعتبارية.

تحتوى الكلية على الأقسام العلمية التالية[22]:

1 - قسم العلوم الهندسية.

2 - قسم العلوم الإدارية والحاسب الآلى.

3 - قسم التربية.

4 - قسم اللغات.

5 - قسم العلوم الأساسية.

6 - الدراسات العليا بالتعاون مع جامعة عين شمس.

أهداف الجامعات شرق الجزيرة العربية:

لو نظرنا إلى الجامعات فى المنطقة لوجدناها نتاج تقاليد للجامعات الغربية وخاصة الأمريكية، وليس نموا طبيعيا أو امتداد للمؤسسات العلمية والتعليمية أو المدارس والمساجد التى نشأت وازدهرت فى ظل الحضارة العربية والإسلامية، ولم يبق من تقاليدها وعلومها الكثير، فى حين استمرت المساجد والمدارس المرتبطة بها

تعيش على هامش الحيـاة العلمية والاجتمـاعية الحديثة، بعـدما قدمت فى الماضى الكثـير من العلوم والعلمـاء، ولكن منذ التاريخ الحـديث حتي يومنا هـذا ضعف أثرها فى المجتمع.

لهذا يـجب علينا أن نعيـد النظر فى أهداف الجامـعات بما يتناسب وواقـعنا العـربى والإسلامى، والدور الذى تـقوم به فى المجـتمـع ومن يلحق بها؟ ومـاذا يتعلمون فيها؟ وكيف يتم ذلك؟ وما هى القواعد التى تحكم عملها وحياتها.

يكون من أهداف الجامـعة ووظائفـها البحث عن الحـقيقـة والإضافة إليـها والالتزام بدستور خلقى يحكم التدريس والحياة الجامعية واستقلالها من أية ضغوط داخلية كـانت أم خارجـية، والتـأكيد على الحـرية الأكاديمـية والتـفكير المسـتقل والمحافظة على المعرفة ونقلها إلى الآخرين ونـشرها بجانب البحث العلمى وخدمة المجـتمع وهو من أقـدم وظائف الجـامعـات، وأن يكون ذلك قـولا وفعـلا، لأن جامعات شرق الجزيرة العربية وضعت بعض الأهداف الجيدة ولكن ما مدى تطبيقها على الواقع مع الأخذ بطابع العروبة والإسلام لخدمة هذا المجتمع بكل أبعاده.

لكن عندما تكشف لنا أهداف جـامعات شرق الجزيرة العـربية عن طبيعـتها العلميـة وما مدى ارتباطها بدراسـة مشكلات المجتمع، نجـدها تختلف عن الأطر التى جاءت فى الأهداف وبعضها تتناقص، وبعضها الآخر يكتنفها الغموض وعدم الوضوح.

تشير نصوص عديدة إلى العلم الحديث والأساليب العلمية الحديثة وهى من أهم معطيات عصر النهضة الصناعية العلمـية الحديثة، وهى ذات طبيعة مادية تقوم على الملاحظة والتـجـريب والتطبيق واسـتـخلاص النتـائج العلمـية، ولا تعـرف بالمسلمات الفكرية المسبقة.

هذا ما نريده وهو عمل الجامعة الحديثة فى عالمنا المعاصر، ولذا فإن جامعات شرق الجزيرة العربية عندما تحصر التزامها نحوها فإنه ييسر عليها التكاليف المزدوجة

بتدخله بعض الأهداف وأن يتخذوا الحذر بقدر الإمكان لعدم الوقوع والتصادم فيما بين القوى الاجتماعية.

يتم رسم طريق الجامعة بوضوح حتى لا يتركوا بابا من أبواب الإعراب والبلاغة مفتوحا على الجامعة للتأويل منها أو عليها لما يقوله وما يفعله الجامعيون فى شرق الجزيرة العربية ضمن حدود عملهم العلمى، وإن المسؤولين فى البحرين كانوا أكثر حذرا من غيرهم لهذه الحقيقة، فابتعدوا عنها والوقوع فى شباكها اللغوية عندما رسموا أهدافها وغاياتها[23].

لم تنفرد أهداف المسؤولين فى جامعة البحرين وحدهم بوضوح الرؤية بل شاركهم فيها ثلاث جامعات فى الجزيرة العربية، مثل الجامعة الإسلامية فى المدينة المنورة، وجامعة محمد بن سعود فى الرياض.

لكن العبرة ليست فى الأهداف التى وضعتها جامعات شرق الجزيرة العربية، وإنما الأهم تطبيق ذلك على الواقع المحلى، فبعض الجامعات أهدافها جيدة ولكن لم تترجم هذه الأهداف إلى التطبيق العملي، وإنما تعمل أحيانا فى الاتجاه المعاكس لتلك الأهداف التى وضعتها.

فهل وضعت هذه الأهداف للاستهلاك أم ماذا؟

قد يكون انعدام وجود أنظمة للمتابعة والتقويم التى يتم من خلالها على ما مدى فعالية وكفاءة الجامعات ومصداقيتها فى تحقيق الأهداف الموضوعية لها من مظاهر الخلل والتخبط التى تعانى منها تلك الجامعات التى تفتقر لأجهزة المتابعة والتقويم.

هذا ما قد يحول دون توافر المعلومات والبيانات التى يمكن توظيفها، وقد تكون هناك مصالح لفئة معنية وخاصة فى الإدارة العليا مما يمنع تطوير وتحديث الجامعة حتى لا يعرضها للمساءلة والرقابة الإدارية والمالية ويكشف تورطها مع بعض الجهات التى قد تكون من خارج الجامعة وتعمل على عرقلة تنفيذ أهداف الجامعة.

وفيما يلى أهداف جامعات شرق الجزيرة العربية:

1 - إعداد القيادات وتوفيرها فى كل المجالات، وإعداد الشباب الواعى لتقاليد مجتمعه وقيمه السائدة بحيث يستطيع فهم مشكلاته والقيام بعمل فعال لأداء التغيير المطلوب.

2 - متابعة التقدم العلمى والمساهمة فى تقدمه عن طريق البحوث العلمية لحل مشكلات المجتمع وتنميته اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا.

3 - العناية بصورة خاصة بدراسات الحضارة العربية والإسلامية وشبه الجزيرة العربية والخليج العربى[24].

ثانيا: جامعة البحرين:

فيما يلى سوف نورد أهداف كليتين قبل تحويلهما إلى جامعة البحرين، لأن أهدافهما كانت منطقية وأقربها إلى الواقع لخدمة المجتمع.

أ) أهداف الكلية الجامعية للعلوم والآداب والتربية:

1 - إعداد معلمين بحرينيين لمراحل التعليم المختلفة (الابتدائية - الإعدادية - الثانوية).

2 - تأهيل خريجى الجامعات الذين يريدون العمل فى وظائف التدريس تأهيلا تربويا عن طريق منحهم دبلوما عاما فى التربية.

3 - المساهمة فى تدريب وإعادة تدريس المعلمين وغيرهم من المختصين فى مجال التربية والتعليم أثناء الخدمة.

4 - إعداد متخصصين فى العلوم والآداب حاصلين على درجة البكالوريوس فى التخصصات التى يحتاجها المجتمع البحرينى.

5 - المساهمة فى تحسين الخدمة التربوية فى البلاد عن طريق تطوير المناهج وأساليب التدريس والتخطيط التربوى ونظم الامتحانات ومحو الأمية وتعليم الكبار.

6 - المساهمة فى التنمية والتطوير العلمى والتربوى[25].

ب) أهداف كلية الخليج للتكنولوجيا:

إن النمو السريع والتطور لكلية الخليج للتكنولوجيا يوازى إلى حد كبير التطور الاقتصادى والتقنى السريع للمنطقة وهو أيضا يعطى التوقعات الطموحة لأبناء الخليج العربى، بالإضافة الى إتاحة الفرصة الكبيرة لجيل الشباب، وهى تهدف من ذلك إلى[26]:

1 - تطوير النظام التعليمى ليتناسب مع حاجات المنطقة التى يرجى أن تتولى روابط التعاون بين المؤسسات التعليمية بالمنطقة وبالتالى تجنب الازدواجية.

2 - تطوير نوعية التقنيين الوطنيين اللازمين بصفة عاجلة ليصيروا بارعين فى خدمة الاقتصاد النامى على أحسن وجه.

3 - وضع إطار مثمر لاستمرار التعليم والتدريب على مستوى دولى معترف به.

4 - ترقية وتدعيم البحث فى ميادين إدارة الأعمال والدراسات التجارية والهندسية وإدخالها طرقًا مبدعة لتواكب التغير التكنولوجى السريع الذى يواجه البلد.

ثالثا: جامعة قطر:

تهدف جامعة قطر إلى إعداد المتخصصين والفنيين والخبراء وتشجيع رقى الآداب وتقدم العلوم والفنون وتطوير المجتمع والحفاظ على العناصر العربية الأصيلة وتراثها الحضارى العربى الإسلامى العريق، وتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات والهيئات العربية والأجنبية والدولية[27].

رابعا: جامعة الإمارات:

1 - تعنى جامعة الإمارات بالثقافة والدراسات الجامعية فى فروع الآداب

والعلوم والفنون، وتعمل على إعداد المتخصصين والفنيين فى هذه الفروع وغيرها من نواحى المعرفة، كما تعمل على تكوين الشخصية العلمية والإنسانية، مرتكزة فى ذلك على القيم الإسلامية والأصالة العربية والتطوير العلمى.

2 - تقوم الجامعة على رعاية البحوث العلمية وتشجيعها، بغية خدمة المجتمع وتحقيق التطور العلمى، ويجوز تكليفها القيام بدراسات أو بحوث دينية تحقيقا لذلك.

3 ـ تولى الجامعة دراسات الحضارة العربية الإسلامية وشبه الجزيرة العربية والخليج العربى عناية خاصة.

4 - تعمل الجامعة على توثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات ومعاهد التعليم العليا والمؤسسات العلمية العربية والأجنبية، ويجوز لها عقد اتفاقيات معها لتسهيل التبادل العلمى والمساعدات فيما بينها فى حدود ما يقع ضمن أغراضها[28].

خامسا: أهداف كلية عجمان الجامعية للعلوم والتكنولوجيا:

تهدف الكلية وفى إطار تأكيد الهوية العربية والإسلامية وتجديد التراث العلمى للأمة والنهوض به إلى[29]:

1 - أن توفر للطالب فى مجالات العلوم والتقنية الإنسانية مناهج دراسية وتطبيقية ترتبط ارتباطا أكاديميا وعلميا مع واقع احتياجات تنمية التقدم العلمى، وبإشراف مشترك مع جامعات وكليات متخصصة وعريقة فى تلك المجالات فى العالم تتساوى معها فى الإجازات الأكاديمية وفى الدراسات فوق الجامعية.

2 - أن تنظم فصولا تدريبية متخصصة للتأهيل وإعادة التأهيل الفنى والعلمى المعروف يهدف إلى تخريج نوعية جديدة من الكوادر يمكنها التعامل مع النظم وأدوات التقنية الحديثة وتسخيرها لخدمة التنمية.

3 - أن تولى الاهتمام للبحوث والدراسات التطبيقية ودراسة احتياجات

سوق العمالة بالاشتراك مع المؤسسات الإنتاجية والاقتصادية لتوافق التخصص والتدريب مع الحاجة الفعلية والعلمية للتنمية.

بعض السمات المشتركة لجامعات شرق الجزيرة العربية:

أولا: جامعات حديثة النشأة:

إذا استثنينا جامعة الملك سعود (جامعة الرياض سابقا) والتى أنشئت عام 1957 فإنه يمكن القول بأن أغلبية جامعات شرق الجزيرة العربية تم إنشاؤها حديثا خلال العقدين الماضيين وخاصة فى الستينيات والسبعينيات، ما عدا بعض الجامعات التى أنشئت فى الثمانينيات.

ترتب نتيجة لظاهرة حداثة النشأة أمور كثيرة منها، أنها مازالت فى طور التجريب وفى نشأتها، بالتالى فلم تترسخ فيها بعد التقاليد الجامعية العريقة، ولم تتحدد هوية المميزة لها.

لم تحرز أى تقدم فى مجال البحث العلمى والارتقاء بالمستوى التعليمى فى حل مشكلات التنمية، وتقديم الخدمات الجيدة للمجتمع فى كافة المجالات التى تعانى فيها من التخلف والتبعية، وذلك رغم أن بعضها أصبح عمره الآن أكثر من ثلاثين عاما، وفيما يلى تواريخ نشأة الجامعات فى الجزيرة العربية:

1 - جامعة الملك سعود (جامعة الرياض سابقا، الرياض 1957)

2 - الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة (1960).

3 - جامعة البترول والمعادن، الظهران(1963).

4 - جامعة الملك عبد العزيز (جامعة جدة سابقا، جدة 1966).

5 - جامعة الكويت، الكويت (1966).

6 - كلية الخليج التكنولوجية، البحرين(1968).

7 - جامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض(1974).

8 - جامعة الملك فيصل، الهفوف(1974).

9 - جامعة الإمارات، العين (1977).

10 - جامعة قطر، الدوحة (1977).

11 - الكلية الجامعية للعلوم والآداب والتربية، البحرين(1978).

12 - جامعة الخليج العربى، البحرين (1980).

13 - جامعة أم القرى، مكة المكرمة، (1981).

14 - جامعة السلطان قابوس، مسقط (1986).

15 - كلية عجمان الجامعية للعلوم والتكنولوجيا، عجمان (1988).

ثانيا: جامعات تقلد بعضها:

من السمات المشتركة لجامعات شرق الجزيرة العربية أنها تقلد بعضها البعض، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال الأهداف والقوانين والأنظمة والهياكل التنظيمية والإدارية والكليات والبرامج والخطط والدراسات وأسس القبول ومتطلبات النجاح والتخرج وأساليب التقويم وغير ذلك. وبالرغم من مزايا احتواء الجامعة على جميع الكليات والتخصصات، إلا أن قيام كل جامعة بالتركيز على عدد محدد من مجالات التخصص والبرامج المميزة، والتى تتوافر لدى الجامعة وتستطيع أن تنفرد فيها بطريقة متكاملة ومتخصصة أفضل من غيرها من الجامعات الأخرى بسبب ظروفها وطبيعتها وإمكاناتها المادية والبشرية والتقنية لتقديمها إلى المجتمع. على أن تترك لغيرها من الجامعات التركيز على جوانب أخرى من التخصصات التى تتوافر لدى الجامعات حسب خبرتها والإمكانات المتاحة لها والمتوفرة من حولها.

يجب أن تكون الجامعة منفردة أو مميزة من حيث الرسالة التى تؤديها، وأن تبتعد عن ظاهرة تقليد غيرها من الجامعات ومجاراتها فى إنشاء الكليات والبرامج

والتخصصات، لأن نجاح أية جامعة يكمن فى التفرد والخصوصية والسمعة التى تتميز بها تلك الجامعة عن غيرها من الجامعات المجاورة لها فى المنطقة.

ثالثا: التبعية العلمية للجامعات الغربية:

بحكم حداثة نشأة الجامعات فى المنطقة فإن أنظمة التعليم الجامعى تعانى من التصلب والجمود والشكلية سواء فى هياكلها وبنائها ونظمها ومحتوى برامجها ومناهجها، أو فى الطريقة والوسائل والإجراءات التى تعتمدها نظرا لاعتمادها كما ذكرنا عند نشأة الجامعات على النماذج المستوردة من الجامعات الغربية وخاصة الأمريكية. وهذا ما جعلها تتصف بالمحافظة والتقاليدية، نظرا لعدم وجود خبرة موروثة عن المدارس والمساجد الإسلامية التى ازدهرت وقدمت الكثير للحضارة العربية والإسلامية، وتقليدها للجامعات الغربية التى تختلف مجتمعاتها الصناعية والعلمانية عن مجتمعاتنا النامية الإسلامية، وبالتالى أدى ذلك إلى عدم المرونة والمواءمة أو الموازنة بين أهداف الجامعات واحتياجات خطط التنمية القطرية الإقليمية من العمالة الفنية والكوادر المؤهلة، فالسياسات المعتمدة فى قبول الطلبة لا تقرها احتياجات خطط التنمية وإنما القيم الاجتماعية السائدة.

كما لا ننسى التبعية الوظيفية والعلمية للجامعات الغربية بكل أبعادها، مما يترتب عليها آثار سلبية ليس على قدرة الجامعة على أداء وظيفتها العلمية فحسب، وإنما على وظيفتها الاجتماعية، لأنها تمثل امتدادا للتقاليد الجامعية الأوربية والأمريكية فى التعليم الجامعى، تتفاعل مع الجامعات الغربية علميا وثقافيا أكثر مما تتفاعل مع مثيلاتها العربية. وهذا ما يفقدها طابع الأصالة العربية، والتعبير عن الخصائص الذاتية القومية للأمة العربية، لأنها تستمد معظم تقاليدها من النظم المتبعة فى الجامعات الغربية. ويمكن ملاحظة التبعية العلمية من خلال البعثات وطرق تأهيل أعضاء هيئات التدريس والنظام الدراسى والدراسات العلمية ولغة التدريس والبحث العلمى وإقامة العلاقات العلمية والثقافية مع الجامعات والمراكز الغربية[30].

بعض معوقات العمل الجامعي:

تعترض العمل الجامعي في شرق الجزيرة العربية الكثير من المعوقات التي تعثر طريقه لتقديم أفضل الخدمات العلمية للمجتمع، وذلك منذ نشأة الجامعات، وكأن هذه المعوقات أصبحت متلازمة، ولم نفعل أي شيء لحلها، وبدأت تتراكم وتهدد بإغلاق المجرى العلمي مما يعني تنظيفها من جديد لتستمر العملية العلمية والأكاديمية وتعود إلى طريقها الصحيح وليس إلى الطريق الذي يريده البعض سواء من داخل الجامعات أو خارجها. ومن هذا المنطق سوف نورد بعض هذه المعوقات، وهي لا تحتاج إلى التذكير، لأنها قد تكون واضحة للبعض، ولكن لا مانع من ذكرها ولعل الذكرى تنفع السامعين.

لبناء مستقبل أفضل للمجتمع العربي - الإسلامي، فالجامعة هي منارة الفكر ونبراس الحقيقة التي تضيء المستقبل لأجيالنا القادمة، فيجب علينا أن نجعلها كالشمعة المضيئة دائما نحو غد أفضل وللخروج من هاوية التخلف بكل أبعاده وأشكاله وتبعيته المفروضة علينا.

بلور عميد كلية التجارة والاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة الكويت، غايات الجامعة في الصيغ الثلاث التالية[31]:

أولا: على الجامعات مسؤولية قيادة المجتمع نحو حياة أفضل وأعني هنا ألا تكون الجامعة تابعة، وإنما يجب عليها أن تتبوأ مركز القيادة، وهذا لا يتم في نظري إلا بعد أن تتم استقلالية الجامعة التامة، وهنا بطبيعة الحال لا أعني أن تكون الجامعة دولة داخل دولة كما يبدو للبعض، وإنما أن توفر للجامعة حرية البحث العلمي والحرية الأكاديمية، وأن تبتعد عملية التعليم العالي عن أوجه الفساد الاجتماعي المتفشية في مجتمعنا، وهذا كله يتم إذا كان هناك وعي طلابي لمشكلات المجتمع ومشكلات الجامعة.

ثانيا: التحرر من قيود البيروباثولوجية التي تحد من حرية الحركة وتقتل

ديناميكية النظام التعليمي والبروباثولوجية هي أسوأ أنواع البيروقراطية، عندما تصل البيروقراطية إلى مرحلة كونها غاية بحد ذاتها لا وسيلة للوصول إلى غاية معينة، وهذا للأسف الشديد هو الوضع السائد في بعض جامعات شرق الجزيرة العربية.

وهنا أود أن أوضح أنني لا أعني الأفراد القائمين على الجهاز الإداري في الجامعة وإنما أعني القوانين التي وضعت عند إنشاء الجامعة عام 1966، والتي يجب تغييرها الآن إذا أردنا أن ننطلق نحو جامعة عصرية. (وخاصة أن الوضع الحالي تغير كثيرا عن الفترة التي وضعت فيها تلك القوانين، ولذا يجب على قانون الجامعة أن يواكب التطورات الحديثة والسريعة في المجتمع العربي في شرق الجزيرة العربية)

ثالثا: تبني نظم تعليمية تتميز بالمرونة والقدرة على التغيير مع تغيرات العصر الحديث، ولا يسعني هنا إلا أن أنوه بأن من مميزات القرن العشرين الرئيسية هي كثرة التغيرات والاختراعات العلمية المختلفة التي أدت إلى تغيير أسس المجتمعات الحديثة أساسيا وجذريا.. وأن التخوف من التغير هو من مميزات المجتمعات المتخلفة.

لتحقيق تلك الغايات توجد بعض المعوقات التي يجب إزالتها وحلها، وهي تكمن في الإدارة الجامعية والهيئة التدريسية واستقلالية الجامعات والحرية الأكاديمية والنظم التعليمية والبحث العلمي، وفيما يلي نتطرق إليها:

أولا: الإدارة الجامعية:

تقسم الإدارة الجامعية إلى محلية ووافدة، فالفئة الإدارية المحلية رغم تمكنها وتربعها على قمة العمل الجامعي تخشى أن يطاح بها في أي تغير قد يتطلب نوعا من التجديد والتحديث والمجيء بالدماء الشابة، وأصبحت مقتادة أكثر من أن تكون قائدة، سكونية أكثر من أن تكون فاعلية.

بعض الدماء الشابة الجديدة التي وصلت رغم معرفتها بمواطن الخطأ،

وتتغاضى عن ذلك إما لمصلحة ذاتية ورغبة فى اعتلاء السلم الوظيفى، وإما لأن الخوف قد تمكن منها، وإما لعدم رغبتها فى دخول متاهات الصراع الإدارى أو فى اختلافه، أو لأن بعضهم قد طاب له البقاء فى المنصب الإدارى، ويطمح فى المزيد، ولذا فهو يسعى ليبقى مدى الحياة ولو استدعى ذلك التضحية بكل المعايير الأخلاقية للعملية التعليمية ولهذا فإنه احتكر صناعة القرار الجامعى والغنائم الاقتصادية والاجتماعية والعلمية، وشهدت الجامعات ظاهرة تصميم بعض المناصب لتناسب أشخاصا بعينهم مكونين بذلك إقطاعية بيروقراطية خاصة بهم.

أما المجموعة الوافدة فتفتقد إلى القدرة على حسم فى اتخاذ القرار، وذلك لدرايتها بالكثير من الإشكالات المجتمعية القائمة التى يعمل فى إطارها وبفعل معرفته للعقبة الداخلية، قد أدار الصراع بالطرق التى لا تجلب له أى ضرر، والبعض منهم يقبل كل شيء حتى لو كان ذلك على حساب العملية التعليمية ونزاهة العمل الأكاديمى، والبعض الآخر آثر السكوت على الكلام والنزوح على البقاء، وإن وضعًا كهذا شكّل ولا يزال يشكّل أحد مواقع الضغوط الخطيرة فى مسيرة التعليم الجامعى[32].

قد ترجع المشكلات إلى عدم اختيار القادة الإداريين الأكفاء، وإنما يتم بالتعيين والمحسوبية وتتدخل مجموعة من العوامل السياسية والاجتماعية والشخصية، مما يترك انعكاسا سلبيا على معنويات وإنتاجية العاملين وعلى المناخ التنظيمى فى الجامعة.

يترتب على تمركز السلطة فى أيدى فئة محدودة جدا من القيادات الإدارية العليا آثار كثيرة، منها فقدان المشاركة وانعدام تفويض السلطة للحلقات الإدارية الوسطى والدنيا، مما يعنى التفرد فى صناعة القرارات وانعكاسها السلبى على كفاءة وفعالية هذه المؤسسات، وبالتالى التشكيك فى قدراتها على تحقيق أهدافها التى وضعتها والاضطلاع بمسؤولياتها[33].

ثانيا: الهيئة التدريسية:

تتكون الهيئة التدريســية من أقلية محلية حديثة العهد وأكــثرية وافدة متنوعة البلدان وربما الثقافات، وتنقــسم الفئة المحلية وخاصة دول شرق الجــزيرة العربية ما عدا السعــودية، إلى فئة أكثـرية ذات الأصول غير عربيــة قد تكون بعضهــا معادية للقوميــة العربية وهى أقرب إلى الشعــوبية، ومعظمهم من الأقليــة الإيرانية وأقلية ذات الأصول القبلــية العربية، كمــا أنها خليط من الاتجاهات والتوجــهات الفكرية والمذهبية.

تطالب فئة بتطوير مثالى للجامعــة فى حين تطمح الفئة الأخرى فى الصعود الإدارى على حساب الطمــوح العلمى الأكاديمى، نظرا لغياب المعــايير والضوابط المنظـمة للعمل الأكاديمى، وإن الإدارة المميزة والســمات الشخصية يجب أن تكون المعيار الأســاسى فى ذلك، هذا ما أردنا؛ أن تكون جامعاتنا أقرب إلى المــوضوعية ومجردة من النوازع الذاتية والمجــتمعية، وإن الصراع القــوى داخل الجامعة أثر فى عملية البناء والتحديث.

فالقوى والــبعد الزمنى اللذان تم بهمــا تأسيس الخطأ جعلا من الخطأ نــفسه حقيقة لا تقبل التبديل، ومعوقا بنائيا لأى دور ريادى يمكن أن تلعبه الجامعة، وقد لخص أحد العاملــين فى الحقل التعليمى حــال القطاع المحلى من الهيئة التــدريسية على النحو التالى(34):

«..لقد دفع اعتبــار المناصب العليا فى الجامعات الخليجية مناصــب سياسية إلى وصول عناصر إدارية وقيادية، ورغم خبرتهــا السابقة تبقى ذات خبرة محدودة فى إدارة الجامعــات، وغموض فى فهم دور التعليم العالى فى المجــتمع، مما جعل من بعض - إن لم يكن كل - الجــامــعات الخلــيجــية مــكانا خصــبــا للصراعــات والمحسوبية مما أثر بالتالى على مستوى الأداء الأكاديمى لهذه الجامعات، وبالتحديد على مستوى أداء هيئتها التدريسية المحليــة التى أصبحت ونتيجة لانشغال بعضها أو جلهــا بالصراع الإدارى وربما الاثنين أو خــلاف ذلك ذات عطاء علمى مــحدود،

وربما لا يخلو عمل بعضها من تبنٍّ واضح وغير موثق لأعمال الغير، أو أصبحت بحكم وضعها الوظيفى قادرة على دفع عناصر الهيئة التدريسية الوافدة لأن تقوم بأعمالها أو متطلباتها البحثية، ومن هنا بدأنا نسمع عن سرقات علمية هنا وهناك، وقضايا أسماها البعض بالقرصنة الأكاديمية، وقد يكون من ضمنها سرقة أفكار أو أعمال الآخرين المكتوبة وغير المكتوبة أو التدخل فى صراع اقتسام الريع البحثى».

تنقسم الفئة الوافدة إلى أقلية غير عربية وغالبية عربية، وقد يكون لديها طموح وظيفى فى الجامعات الآخذة بمواطنة المناصب الإدارية والأكاديمية، ولكن تلعب دورا أساسيا فى الجامعات الأخرى، كما لعبت هذا الدور فى بعض الجامعات قبل أن توطن، وبازدياد الفئة المحلية فإنها توارت خلف التجمعات المحلية المتصارعة على المناصب الجامعية.

تدعم هذه الفئة وجودها بعلاقات بإحدى القوى أو الجامعات المحلية ذات السيادة أو ببعض عناصرها الفاعلة فى المجتمع، وبعضها تطوع بتقديمه لكسب رضا الإدارة المحلية أو لتجديد عقدها أو لإنجاز مهمة إدارية أو اجتماعية داخل الجامعات وخارجها، ولا ننسى أن هناك بعض العناصر الجيدة من الفئة العربية ذات مستوى علمى وأداء وظيفى متقدم وصيت فى الأوساط الأكاديمية العربية والأجنبية، وساهمت فى تأسيس التعليم والتطوير، كما تتلمذ على يد بعضها الكثير من عناصر الفئة المحلية، وهى لا تريد الانزلاق إلى الصرعات المحلية وتحافظ على سمعتها العلمية.

لا يخلو الحصول على الترقيات للدرجات العلمية من التأثيرات والنزاعات الذاتية، فقرب الأستاذ من الإدارة الجامعية أو بعده عنها أو نفوذه الاجتماعى أو الاقتصادى قد يلعب دورا فى تأكيدها أو نفيها ويختلف موقف لجان الترقيات باختلاف ثقل الأستاذ ونفوذه فهناك تقف موقف المعارض فى حين تعم اللجان العليا خلاف ذلك على مستوى الجامعة، وقد يحصل عكس ذلك تماما، فقد تعارض ترقية بعض الأساتذة رغم غزارة إنتاجه العلمى وأصالته لاختلافات منهجية

أو فكرية، وتقبل الآخر رغم أنه لا يرقى إلى مستوى البحث العلمى بل أقرب إلى تقارير أو مقالات صحفية[35].

يقوم التدريس فى الجامعة إضافة إلى النقل والمحافظة بدور إبداعى فى الشك فى المعرفة الموروثة والإضافة إليها، وذلك من خلال الاستقلال والحرية الأكاديمية، ولكن يغلب فى العملية التدريسية أحيانا طابع التلقين والاعتماد على المحاضرة، وتقل حلقات المناقشة وقاعات البحث والتعليم الذاتى، ولا تزال الإفادة من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الحديثة ضعيفة، وإن نجاح الجامعة فى مهمتها يرجع إلى قدرتها فى تحويل عملية التدريس إلى عمليات التعليم وتحقيق فاعلية الطلاب ومشاركتهم وإيجابيتهم وتنمية العقل الناقد القادر على الإضافة والتجديد[36]. وألا تتحول الجامعات إلى منح الشهادات بقدر تعليم المعرفة والمهارة.

فعندما نشأت جامعة الكويت عام 1966 فانها جاءت منسوخة كما قال مديرها الدكتور حسن الإبراهيم: «صورة طبق الأصل لجامعات منتشرة فى الوطن العربى ككل، المشكلات الإدارية والأكاديمية للجامعات العربية نقلت إلى جامعة الكويت، وكانت عملية النسخ هذه من السعة بحيث غطت كل شىء من التقويم الجامعى السنوى إلى متطلبات التخرج وتخطيط المناهج وتنظيم الأقسام العلمية وتسميتها ونقل الأقدمين من أعضاء هيئة التدريس والإداريين الجامعيين، إضافة إلى جو من السلطوية فى طريقة التدريس وإدارة الصفوف، إنها كانت عبارة عن الإملاء والحفظ الصم مما لم يدع مكانا للتدريب على التفكير الناقد وروح التساؤل العقلانى».

أصبحت جامعة الكويت مع بداية 1972 تسير فى الاتجاه المعاكس مما جعل عميد كلية التجارة حسن الإبراهيم يتبنى مصير الجامعة لينقذها من الغرق ورفع المستوى الأكاديمى والعمل على معالجة مراحل التعليم من أجل فتح آفاق الطالب للمناهج العلمية والمواضيع الثقافية والمتعددة وبتعمق فى فهم الحياة العصرية

الحديثة، كما قدمت مذكرة عن الوضع القائم فى جامعة الكويت للوضع العلمى والتعليمى وخاصة إلى أربعة أسباب رئيسية وهى[37]:

1 - المشكلات الناتجة عن عملية الحفظ العقيم للمعلومات والحقائق على حساب الطرق التعليمية الأخرى والأفكار الحديثة والمتجددة والتحليل المقارن للمدارس العلمية المختلفة.

2 - المشكلات الناتجة عن وضع الطالب ضمن إطار جامد غير قابل للتغير والتنوع منذ الصف الأول الجامعى وفرض أسلوب واحد فى التعليم (المحاضرات التلقينية والملازم).

كل ذلك على حساب إعطاء الخيار للشباب والشابات فى التعرف على المدارس العلمية والفكرية المختلفة وفتح المجال لهم فى اكتشاف مواهبهم، ومن ثم اتخاذ القرار النهائى بشأن الاختصاص العلمى الذى يودون دراسته.

3 - المشكلات الناتجة عن النقص الطاحن فى منهجية النظام الحالى لترغيب وتشجيع الطالب للمناقشة أثناء الحلقة الدراسية، ودفعه إلى التعبير عن رأيه وتعليمه كيفية الربط والتنسيق بين الأفكار والعلوم المتعددة التى يدرسها داخل وخارج الجامعة، وأخيرا مساعدته تدريجيا وبصورة علمية للاستفادة القصوى من القراءات الخارجية والتقارير والبحوث.

4 - المشكلات الناتجة عن النفور الموجود حاليا لدى أغلبية الطلاب من الاستعمال اليومى والمستمر للمكتبات وما فيها من كتب ومراجع ودوريات والاعتماد بديلا عن ذلك على نظام الملازم والكتاب والمقرر اليتيم، وكأن الجامعة ما هى إلا امتداد للمرحلة الثانوية.

افتقاد الطلبة فى الغالب إلى الطموح التعليمى راجع إلى طبيعة النظام التعليمى نفسه، والقائم على الحفظ والطاعة، مما دفع هذا التعليم نتيجة لسياسات القبول المقترحة، وجماعات من الطلبة العاجزين عن مواكبة العملية التعليمية فى

مستوها الجامعي والتي تستخدم أسلوب تقديم الخدمات لبعض أعضاء هيئة التدريس أو عامل الأصول الاجتماعية كعامل ضغط وترغيب.

بذلك تلعب دور الضاغط باتجاه تخفيض المقررات الدراسية وإضعاف محتواها لتوافق بصورة يتقبلها المجتمع، وقد يتجه بعض الطلبة إلى دفع بعض أعضاء الهيئة التدريسية لإفراغ المقررات الدراسية من عناصرها الأساسية، بحجة طول المنهج الدراسي أو ضخامته.

افتتحت جامعة الإمارات بعد أحد عشر عاما من افتتاح جامعة الكويت، وتبنت نظاما أكاديميًا حديثا كافحت من أجله جامعة الكويت سنوات طويلة، وهو نظام المقررات، وكان من المفروض أن لا تقع في عثرات كلفت غيرها ثمنا ليس بالقليل، وقد اعترف الأمين العام لجامعة الإمارات أحمد أبو حسين بعد ثلاث سنوات من التجربة الجامعية عام 1980 في حديثه لمجلة الأزمنة العربية بشعور بخيبة كانت تخيم على الجامعة عندما قال[38].

ليس ثمة تفاعل بين الطالب والأستاذ خارج القاعة، ولهذا انعكاساته في الحياة الجامعية خاصة والثقافية عامة في الإمارات. وبعض الأساتذة يتناول الموضوعات التقليدية والطرق التقليدية التي ليس لها مساس فعلي بالمجتمع وبالقضايا الحيوية التي تهم الطالب، ويمكن القول إن نظام الجامعة خليط بين الحداثة والتقليد على الرغم من أن النظام حديث إلا أن الأداء تقليدي ناتج عن خلفيات الأساتذة الذين يأتون من جامعات تقليدية.

لذا يجب على جامعات المنطقة الاهتمام بإعداد الأستاذ الباحث أكثر من الأستاذ المعلم، مما يترتب عليه تدهور التدريس الجامعي!!، وإن عملية الإصلاح ما زالت في طور البداية ولم تتبلور برغم جهود بعض الجامعات.

علما بأن هذه الجامعات نشأت على الأنماط الأمريكية واقتبست نظامها الذي تميل إليه لتوسيع قاعدة المعارف العامة والدراسات المتنوعة وتأجيل التخصص

وتعدده وإعطاء الفرصة للاختيار بين موضوعات الدراسة، كما يحتاج هذا النوع إلى الإمكانيات المادية وهى متوفرة، ولكن قد ينقصها الهيئة المؤهلة للقيام بأعباء هذا النظام واستيعابه.

هذا النوع من النظام يحتاج أيضا لجهاز متخصص ومتفرغ وكاف للقيام بدور التوجيه والإرشاد للطلاب، وإن عدم توافر هذا الجهاز المتفرغ للقيام بهذه الوظيفة أدى إلى الاستعانة بأعضاء الهيئة التدريسية، وعلى أساس غير متفرغ بهذا العمل، مما أدى إلى ظهور آثار سلبية وبعض الإرباك فى عملية التوجيه والإرشاد، وهناك بعض الأساتذة الوافدين الذين جاؤوا من جامعات تعمل بالنظام السنوى وليس بنظام الساعات المقررة، مما يتطلب وقتا أكبر لاستيعاب النظام وإرشاد الطلاب.

لا ننسى الطلبة الذين يأتون سنويا من المدارس الثانوية التى تعتمد النظام السنوى ولا يعرفون الساعات المعتمدة، ولهذا فإن وجود جهاز متخصص ومتفرغ لدور التوجيه والإرشاد الطلابى ضرورى وله أثر كبير على تكيف الطلبة مع النظام الجامعى ومعرفة المتطلبات والمستلزمات التى تعتبر من مقومات نظام الساعات المقررة ومنع إهدار طاقات وأوقات الأساتذة وأعضاء الهيئة التدريسية والاستفادة منهم فى مجالات علمية أخرى.

ثالثا: استقلالية الجامعات والحرية الأكاديمية:

يعتبر استقلال الجامعات والحرية الأكاديمية من أهم خصائصها ومن أكبر إشكالياتها فى منطقتنا العربية والعالم الثالث، علما بأن الاستقلال كان من أقدم التقاليد الجامعية، إذ يرجع إلى النشأة الأولى للجامعات الأوربية. وقد يرجع إلى الجامعات والمدارس العربية - الإسلامية فى المستنصرية والقرويين والزيتونة والأزهر وغيرها، إضافة إلى تمتع العلماء والمدرسين المسلمين بالحرية العلمية واحترام الحكام العرب أمثال هارون الرشيد وغيرهم للعلماء، وكان له دور بارز فى تقدم العلوم فى تلك الفترة من تاريخ العرب وقدموا للحضارة العالمية إسهاماتهم الإنسانية

والعلمية، والتقاليد العربية معروفة منذ القدم باحترام العلماء وحرية رأيهم واستقلالية أفكارهم، إلا بعض الاستثناءات التى حدثت ولازالت تحدث كثيرا فى التاريخ العربى الحديث والمعاصر.

أ) استقلال الجامعة:

يقوم الاستقلال على أساس أن الجامعة تضم صفوة علماء ومفكرى المجتمع، وأنهم أكثر من غيرهم قادرون على تقرير الأمور فى مجال عملهم، وتحرص كثير من المجتمعات على استقلال الجامعات وتدعيمها كما يناضل الأساتذة للمحافظة على هذا الاستقلال والدفاع عنه.

لم يكن هذا الاستقلال مطلقا نظرا لاعتماد الجامعة فى تحويلها مما يعنى تدخل المجتمع والحكومة فى شؤونها، وأن تخضع للمجتمع وأحكام القضاء والقرارات الحكومية والسيادية وأن مركز السلطة من داخل الجامعة أى الأساتذة إلى المجتمع والرأى العام ومن الاستقلال إلى المسؤولية والمحاسبة، وأن تصبح الجامعة مستقلة ومركز قوة وعنصر ضبط لا إلى سلطة فوق المجتمع، مما قد يؤدى إلى إشكالية بين استقلال الجامعة وبين سيطرة الدولة.

تشكو جامعات المنطقة من ضعفها وخضوعها للسلطة السياسية والإدارية، مما قد يجعلها الذراع الأيمن للدولة وساعدها القوى والأداة المفكرة لها، ويجب حماية الجامعة من السيطرة البيروقراطية الإدارية من الحكومة عن طريق وزارات التعليم، وأن تكون العلاقة وثيقة بين الاستقلال الفكرى والعلمى وبين الاستقلال المالى والاقتصادى[39]. وعن طريق الاستقلال المادى أى التمويل الذاتى، فتستمد الجامعة استقلالها الفكرى، ولكن مع تزايد اعتماد الجامعات على الدولة اقتصاديا إن لم نقل بأن الدولة هى التى أنشأتها، وبالتالى تزايد خضوعها للسلطة السياسية، ثم مع دخول مؤسسات أخرى اقتصادية ودينية وسياسية فى العملية التعليمية وإسهامهم فى التمويل بدأت الجامعات تعانى من تدخل هذه المؤسسات فى توجيه سياستها.

لهذا تعتبر جميع الجامعات فى شرق الجزيرة العربية جامعات حكومية علما بأن جامعة الملك عبد العزيز فى جدة كانت فى نشأتها الأولى أهلية خاصة واستمرت خمسة أعوام قبل أن تصبح حكومية، وهناك كلية حديثة، وهى كلية عجمان الجامعية للعلوم التكنولوجية التى أنشئت فى شهر يونيو عام 1988 بجهود خاصة ولا تتبع للحكومة وإنما هى أهلية.

ليست هناك أية تحفظات على الجهود الحكومية لنشأة الجامعات وتقديم المساعدات المالية وغير المالية، ولكن خضوع هذه الجامعات للحكومات فى دول شرق الجزيرة العربية، جعلها تصبح كإحدى دوائرها الرسمية، وبالتالى انتقلت العدوى البيروقراطية والروتين المزمن إليها، مما أعاق تطورها وتقدمها، وأن علاقة الحكومة بالجامعة ورعايتها السياسية قد يزيد من احتمال نشوء أزمة ثقة حادة بين الطبقة المثقفة الجامعية وبين الأجهزة السياسية الحكومية. قد تنتج حساسية مفرطة لدى تلك الأجهزة من أنماط الفكر الجديد التى يحملها الجامعيون العائدون إلى وطنهم من الدول الغربية معهم، وهذه الظاهرة ليست مقصورة على الجامعات فى شرق الجزيرة العربية. وإنما هى ظاهرة عامة فى دول العالم الثالث، ومنها الدول العربية، وكان «د. متى عقراوى» قد أوضح عناصر هذه العلاقة الصعبة بين الجامعة الحكومية وحكومتها فى الدول العربية بأربع قضايا تظل نقاط احتكاك بين الجهتين وهى[40]:

1 ـ الاعتماد المالى يجعل الجامعة عرضة للضغط الحكومى.

2 ـ كما أن خوف الحكومات من نقد الأساتذة الجامعيين الداخلية والخارجية فرض عليها درجة عالية من الحساسية إزاء الجامعات.

3 ـ حقيقة أن أكثر الجامعات العربية هى جامعات صغيرة السن وكونها لم تبلور تقاليد جامعية، وحقيقة أن دور هذه الجامعات ليس دائما مفهوما من الرأى العام، وأحيانا أخرى هو ليس مفهوما من لدن الحكومات نفسها، وأخيرا كون

الزمن الذى نحيا فيه زمـان الأزمات المتكررة، كل هذه العوامل تخلق حالة رخوة فى العلاقات بين الحكومات والجامعات العربية.

4 ـ وعلى الرغم من أن الحكومات العـربية تقدر شخصـية الجامعـة الخاصة وتمنحها مراكـزا خاصا، وعلى الرغم من أن جميع قوانين الجامـعات العربية تنص على أنها جامعـات موحدة ذات حكم ذاتى بقوى خاصة وامتـيازات خاصة، على الرغم من هذا كله تظل الجامـعات العربيـة خاضعة لـسلطة الدولة، وكانت هناك حالات كـثيرة أعـفى منها رؤساء الجـامعات قـبل نهاية ولايتهم، الأسـاتذة كانوا يفصلون ويكرهون على التقاعد قبل حلول وقت تقاعدهم بأعداد كبيرة أو يكرهون على الاستقالة.

ب) الحرية الأكاديمية:

تعتبـر الحرية الأكاديمية مـن أهم سمات الجامعـة ودعامتها الأسـاسية نظرا لحاجة المجتمع إلى مـؤسسات تقوم بالتفكير والبحث لخدمتـها دون رقابة ومن غير تحفظ لكى تعمل آمنة مطمئنة من التهديد أو التـدخل الخارجى. فالحرية الأكاديمية ضمان لكفـاءة الجامعة وصـحة المجتمع فى الوقت نفسـه، ولها أسانيدها المعـرفية والسيـاسية والخلقيـة ولتأكيد دقـة وصدق المعارف والعلوم والمبـادئ التى يؤمن بها المجتمع، ويجب عليه أن يترك الحرية للباحثين لتمحيصها والشك فيها.

يقصد بالحرية الأكاديمية الحـماية من القيود والضغوط التى يمكن أن تفرض من السلطات السياسـية أو الإدارية أو الدينية أو غير ذلك من الجهـات خارجية أو داخل الجامعـة، مما قد يثير الخوف والقلق لدى العامـلين، مما يمنعهم من الدراسة والبحث فى أى مـوضوع يثير اهتـمامهم أو مناقـشته أو تدريسه أو نشـر أية نتائج يتوصلون إليها.

يجب تمييز الحرية الأكاديمـية عن الحرية المدنية التى هى حق لكل إنسان فى المجتمع، بينما الحرية الأكاديـمية مستمدة من المبادئ العلمية الأكاديمـية الجامعية،

وتعنى الحقوق والحريات التى يتمتع بها الأسـاتذة الجامعيون. فالحريات المدنية حق والحرية الأكاديمية ميزة. والحرية الأكاديمية قد يثار جدل حول طبيعتها وحدودها، حيث يرى البـعض أنها مطلقة، ويرى آخرون أنه لا توجـد حرية مطلقة سيـاسية كانت أو اقـتصادية أو أكاديمـية، وإن طبيـعة عمل الجامـعة وتأثيرها فى المجـتمع يحـتمـان وضع قيـود أو حدود لحـريتهـا، وهناك رأى آخر يربط الحـرية بالحيـاد الأكاديمى، وأن لا يستغل مكانته ويعرض طلابه لتحيزاته الشخصية، وهناك فريق آخر ينادى بأن تكون الجامعـة أداة للتغير الاجتماعى. إن أستاذ الجـامعة لا يستطيع أن يكون محايدا[41].

تمنح جامـعات شرق الجـزيرة العربية بعض الحـريات الأكاديميـة فى أضيق الحـدود، وخاصـة فى الكويت والإمارات إلى حـد ما، وهمـا أحسن حـالا من غيـرهما فى هذا المجال، وإن السلطـة السياسـية فى الكويت والإمارات قـد تقبل الحرية الأكـاديميـة أو تغمض عنهـا، ما دامت تسـير وتعـمل فى الإطار الذى لا يهددها، ولكنها لا تتردد فى فصل الأساتذة أو نقلهم إذا شعرت بأن ما يقولونه أو يفعلونه يهددها من قريب أو من بعيد.

حـدث ذلك عدة مـرات، كـما يتـخـذ أيضا مـواقف عـدائية من الحـرية الأكاديميـة، وقد تشكل ضغطًا شعـبيًا على الأساتذة وتهددهـم بشـتى الطرق منها اتهامهم بالإلحاد أو الـشيوعية أو مخالفـة الأعراف والتقاليد العربيـة - الإسلامية، وقد تتعـرض الجامعة بالتـهديد الداخلى وخاصة من الطلاب عنـدما تحارب بعض السلطات الجامعية الحرية الأكاديمية.

لذا يجب على الجامعات الا يضيق صـدرها فى المجتمع عن الأفكار الجديدة المثيرة، حتى وإن كـانت مقلدة وغير تقليدية، عليها أن تتـيح الفرصة لهذه الأفكار لأن تثبت صدقهـا وفعاليتها والا تعاقب من ينادى بهـا، والجامعة التى تمنع الآراء ولا تساير المجتمع ولا تحدث اى أثر فيه فإنها لا تؤدى عملها. وأن يكون للجامعة مواقف اجـتماعيـة ودور بناء فى المجتمع، ونحن نحـتاج إلى التجـديد والحوار،

والمكان الطبيعى هو الجامعة التى تنبت فيها الأفكار وتنمو وتزدهر أو تموت وتنتهى وتتعايش فيها المبادئ والنظريات والمذاهب وفقا لقواعد المنهج العلمى وتقاليد الجامعة، وقد تضطر الجامعة وأساتذتها إلى دفع ثمن المحافظة على الحرية الأكاديمية(42).

رابعا: البحث العلمى والدراسات العليا:

أ) البحث العلمى:

ارتقاء البحث العلمى وتطوره من الوظائف الرئيسية للجامعة، وهو معروف ومسلم به عالميا، ولكن هناك تقصير وإهمال فى هذه الناحية، وذلك من خلال ما نلاحظه فى الإنتاج العلمى السنوى للجامعات وكذلك ما يرصده له من قلة الأموال والميزانية. وإن وجدت الميزانية والأموال اللازمة فلا توجد هناك حرية العمل الأكاديمى وإنما الخوف والحذر من المؤسسات السياسية، ولذا يجب حل هذه الإشكالية حتى يتم إمكانيات البحث العلمى لما تحققه من تطور وتنمية المجتمع بكافة أبعاده.

صحيح أن بعض الجامعات أوجدت عدة مراكز للبحوث العلمية كجامعة الإمارات، وأرصدت لها مبالغ كبيرة، وكان هناك نوع من الحرية الأكاديمية، ولكن تلك المراكز لم تقدم شيئًا لعدة سنوات مما أهدر المبالغ والإمكانيات دون نتيجة تذكر، ولهذا قررت الجامعة ضمها إلى الكليات العلمية عسى أن تقدم أعمالا بحثية، وقد يرجع ذلك الى البيروقراطية وعدم اختيار القيادات الأكاديمية المناسبة لإدارة مراكز البحوث العلمية.

ب) الدراسات العليا:

نظرا لفشل الجامعات فى إيجاد المناخ الملائم للبحث العلمى، فإنها عجزت عن العمل على إيجاد الدراسات العليا، فلابد أن يكون هناك قاعدة ثابتة للبحث العلمى لتحقيق نجاحها، ومن ثم تبدأ الجامعات فى الدراسات العليا. ولكن الذى

حـدث أن بعض الجامـعـات في الجزيرة العـربيـة بادرت منذ قيـامـها إلى إيجـاد الدراسات العليا، وهى لـم تتجـاور بنيتها الأساسية، ولـم تقف بعد عـلى قدميها، وإنما تسير علـى خبرة واستشـارة الآخرين برغم وجود قيادات وطنيـة، ولكنها لم تعطها حرية الحركة والمبادرة الذاتية.

والاتجاه نحو الدراسات العليا في جامعات المنطقة مصدرها الأساسي الخبراء والمستـشارون الذين يزينون تلك القـرارات دون معرفـة أبعادها الأكاديمـية، ودور الجامعات الأساسى فى الفكر العلمى تجاه مجتمعها.

تفتقـر هذه الجامعات للكادر الأكـاديمى الوطنى ذى الخبرة والكفـاءة العالية والمستقرة فى الجامعـة للقيام بهذه الدراسات التخصصية، إضـافة إلى فقر المكتبات وعدم وجود المراجع الأساسـية والتى يمكن الاعتماد عليهـا فى الدراسات العليا، كما أن هذه الجامعـات لم تبلغ إلى درجة التقاليد والأعراف الجامعـية حتى يمكنها فتح الدراسـات العليا. فلو رجـعنا على سبـيل المثال إلى الجامـعة الأمـريكية فى بيروت والتى أنشئت عام 1866، فإنها منحت أول شهـادة دكتوراه عام 1966 فى احتفـالاتها بمرور مائة عـام على تأسيسهـا، وكان بإمكان المسؤولين فى جـامعات شرق الجزيرة العربيـة، أن يستفيدوا من تجربة الدراسات العليـا فى جامعة الكويت التى أوقفت ست سنوات بعد قيام الجامعة ولم تفتح إلا أبوابا ضيقة جدا ومتحفظة عليها كثيراً فى مطلع الثمانينيات[43].

بعد تلك الدراسة لا أريد طرح أفكار جديدة للنهـوض بالجامعات فى شرق الجزيرة العربية وإنما أتفق مع ما طرحه د. باقر النجار من بعض خطوات الإصلاح الجامعى وهى خطوات معتدلة يمكن تطبيقـها إذا ما أردنا أن نعالج معوقات العمل الجامعى، وهى ما يلى[44].

1 - ضرورة انعتاق الجامعة من الوصـاية الرسمية فى الشؤون الإدارية والمالية وضمان حرية البحث العلمى والحرية الأكـاديمية، حيث إن تطور المعرفة وارتقاءها لم يكن فى ظل غياب هامش الحرية الأكاديمية.

ويجب أن لا يفهم مـن هذا أنه دعوة مطلقة إلى الحـرية بقدر مـا هى دعوة مقيدة فى ضوء أعراف وضوابط البحث العلمى وقيم المجتمع.

2 - التحرر من القـيود الإدارية «البيروثولوجية» التى تحـد من حرية الحركة والعمل الإدارى وضبط التوسع البيروقراطى فى الجامعات الخليجية التى تحولت من جرائه إلى إمبراطوريات بيروقراطية، إذ يفوق عدد العاملين فى الجهاز الإدارى عدد أعضاء الهيئة التدريسية، وفى بعض الجامعات يفوق الطاقم التعليمى للجامعة عدد طلبتها !!

3 - تبنى نظم تعليمية تتسم بالمرونة والقدرة على استـيعاب متغيرات العصر وجديد العلم ومبتدع الثـقافة. وهذا يعنى متابعة مستمرة من قـبل الأستاذ الجامعى لكل جديد فى حقل تخصـصه، وكذلك تبنى الجامعة لأساليب وأنظمـة ومضامين تعليمية حديثة ومنسقة مع حاجات المجتمع وأفراده.

إلا أن مـا يجب فى هذا المجـال هو أن الطـمـوح الوظيـفى لدى البـعض والبحث عن بروز إعـلامى بالإضافة إلى الأعباء التـدريسية من ساعـات عمل قد تفوق (18) ساعة فى الأسبوع، وأعباء تحضيرية والتـزامات حيال متطلبات الجامعة أفقدت الكثـير من أساتذة هذه الجامـعات الرغبة فى الاسـتزادة العلمية، كـما أنها أوقـفت وربما جمـدت تطورهم الفكرى والمعلومـاتى. ومن المهم الإشـارة إلى أن مضـامين بعض المقـررات الدراسيـة يرجع إلى عقـد الخمـسينيات أو فـى أحسن الأحوال إلى عقد الستينيات، كما أن بعض الأسـاليب البحثية التى يتبناها ويوظفها بعض أعضاء الهيئة التدريسية قد عفا عليـها الزمن أو أنها نتيجة لقصور معرفته بها قد يوظفها فى غير مواضعها الصحيحة.

4 - ضرورة تبـنى الجامعـات أنظمة صـارمة فى مـسألة التنـصيب الإدارى والترقى العلمى بغير المعايير الأكاديمية والعلمية والموضوعية بديلا. وعدم قبول أية جامعـات فى المنطقة الإبحار فى المداخـلات المتعددة فى صناعة القـرار فيه أى أن جامـعات المنطقة إن فعلـت ذلك لا تسهم فى ارتقاء المعـرفة فحسب وإنما تـتحول

بذلك إلى مؤسسة قائدة لا مقودة، فاعلة لا ينتابها السكون، ونمط قابل للتبنى وإعادة الإنتاج على مستوى المجتمع ككل. ومن حسن الطالع أن حداثة نشأة جامعات المنطقة قد يكون أكبر معين على تقويم مسارها، وبالتالى على تقوية عودها ومؤسساتها وفق معايير وأنظمة موضوعية لا تقبل المساومة أو التجاوز(45).

الخلاصة:

فى ختام هذه الدراسة نكون قد توصلنا إلى عدة مفاهيم حول الجامعات فى شرق الجزيرة العربية من أهمها كيفية نشأتها، وهل أقيمت لتكون جامعات وكفى أم أنه ستكون هناك محاولات لإصلاح المسار وتخطى العقبات التى اعترضت طريقها.

ولا ننسى أنها أنشئت بقرارات سياسية، إضافة إلى أن جميعها تقريبا حكومية المنشأ، وليس لها منافس كجامعات أهلية خاصة.

ولذلك فإن لها سمات معينة تشترك فيها معا، وتتقارب همومها ومشكلاتها ومعضلاتها، وعدم مقدرتها حتى الآن على إيجاد تقاليد عريقة ومبادئ ثابتة وحرية البحث العلمى ومساهمة فعالة فى مجتمعاتها وحل مشكلات تلك المجتمعات من كافة الجوانب، وأن تحقق ما جاء فى أهدافها فعلا على أقل تقدير. فى النهاية نتمنى فى المستقبل القريب أن تتجاوز تلك المعضلات وتصبح جامعات شرق الجزيرة العربية منارة للفكر العربى الإسلامى فى مشرق الوطن فعلا.

الإحالات والهوامش

(1) د. أحمد الخطيب: التـعليم الجامعى فى الوطن العربى، التـحديات والبدائل المستـقبلية. مجلة اتحاد الجامعات العربية، العدد السابع والعشرون. يناير (1992) ص 11.

(2) د. باقر النجار: سوسيولوجية الجامعة فى الخليج العربى. المستقبل العربى العدد السادس عشر. تموز (1992) ص 86.

(3) د. محمد جواد رضا: الإصلاح الجامعى فى الخليج العربى. ص61.

(4) مكتب التربية العربية لدول الخليج العـربى دليل التعليم العالى والجامعى فى دول الخليج العربى. ص 15.

(5) مكتب التربية العربية لدول الخليج. نفس المرجع ص 16.

(6) مكتب التربية العربية لدول الخليج. نفس المرجع ص 16.

(7) د. محمد جواد رضا: المرجع السابق ص 62.

(8) د. محمد جواد رضا: نفس المرجع ص 69.

(9) مكتب التربية العربية لدول الخليج: المرجع السابق ص 539.

(10) مكتب التربية العربية لدول الخليج: نفس المرجع ص 39.

(11) مكتب التربية العربية لدول الخليج: نفس المرجع ص 46.

(12) مكتب التربية العربية لدول الخليج: نفس المرجع ص 512.

(13) وزارة الإعلام (قطر): النهضة التعليمية ورعاية الشباب ص17.

(14) وزارة الإعلام (قطر): نفس المرجع ص17.

(15) د. محمد جواد رضا: المرجع السابق ص 63.

(16) د. محمد جواد رضا: نفس المرجع ص 63.

(17) جامعة الإمارات الجامعة فى عشر سنوات ص 12.

(18) جامعة الإمارات: نفس المرجع ص 21.

(19) جامعة الإمارات: دليل الطالب ص 29.

(20) كلية عجمان الجامعية: صرح شامخ للعلوم والمعرفة ص2.

(21) كلية عجمان الجامعية: نفس المرجع ص2.

(22) كلية عجمان الجامعية: نفس المرجع ص2.

(23) د. محمد جواد رضا: المرجع السابق ص 21.

(24) جامعة الكويت: دليل الدراسى العام ص17.

(25) مكتب التربية العربية لدول الخليج: المرجع السابق ص 40.

(26) مكتب التربية العربية لدول الخليج: نفس المرجع ص 63.

(27) مكتب التربية العربية لدول الخليج: نفس المرجع ص 63.

(28) جامعة الإمارات الجامعة فى عشر سنوات ص 20.

(29) كلية عجمان الجامعية: صرح شامخ للعلوم والمعرفة ص 2.

(30) د. أحمد الخطيب: المرجع السابق ص 11.

(31) د. محمد جواد رضا: المرجع السابق ص 91.

(32) د. محمد جواد رضا نفس المرجع ص 92.

(33) د. باقر النجار : المرجع السابق ص 87.

(34) د. أحمد الخطيب: المرجع السابق ص 10.

(35) د. باقر الخطيب نفس المرجع ص 83.

(36) محمد نبيل نوفل تأملات فى فلسفة التعليم الجامعى العربى. مجلة التربية الجديدة. العدد الحادى والخمسون. السنة السابقة عشرة سبتمبر/ ديسمبر (1990)

(37) د. محمد جواد رضا: المرجع السابق ص 58.

(38) مجلة الأزمنة العربية فى الإمارات العربية العدد (49) الصادر بتاريخ (13/ 2/ 1980).

(39) مجلة الأزمنة العربية فى الإمارات العربية. الصادرة بتاريخ (16/ 1/ 1980).

(40) محمد نبيل نوفل: المرجع السابق ص 15.

(41) د. محمد جواد رضا: نفس الموجع ص 32.

(42) محمد نبيل نوفل: نفس المرجع ص 18.

(43) محمد نبيل نوفل: المرجع السابق ص 18.

(44) محمد نبيل نوفل: نفس المرجع ص 63.

(45) د. باقر النجار: المرجع السابق ص94

الفصل التاسع



التحديات الداخلية لدول مجلس التعاون الخليجي

نشر هذا البحث فى حوليات كلية الآداب ـ جامعة عين شمس ـ جـ3 ـ 94 ـ 95.

مقدمة

ستكون دراستنا عن التحديات الداخلية لدول مجلس التعاون. والتى تنقسم إلى عدة تحديات ودور القـوى الخارجية فـيها، ومنها تحديات الأمـن الديموغرافى والذى ينقسم إلى تحديات قومية وسياسيـة وعسكرية واقتصادية وثقافية. ثم ندرس تحديات الأمن العسكرى والذى ينقسم إلى عاملين الأول الطبيـعة الجغرافية والثانى القـدرات الدفـاعـيـة الذاتيـة، ثم نتطرق إلى تحـديات الأمن السـيـاسى والأمن الاقتصادى والذى ينقسم إلى قـسمين الأول عن أمن النفط والثانى عن أمن عوائد النفط، وهل هناك وجـود لأمن عوائد النفط فى الغـرب الرأسمـالى؟. ثم نتناول استثمـار عوائد النفط محليا وهل يمكن تحقيق أمن عـوائد النفط بدون أية مخاطر فى المستقبل القريب أو البعيد؟.

هذه محاولة لدراسة الجـوانب الشمولية والمباشرة للتـحديات الداخلية لدول مجلس التعاون. لتوجيه انتباه الأمة العربية فى الوطن العربى بصفة عامة، والمنطقة بصفة خاصة، من المواطنين العـرب والمفكرين والقادة لخطورة المرحلة الحالية. التى قد ترسم خريطة المستقبل القاتم أو المبشر بالخير، حسب إدراكنا واستعدادنا لمواجهة هذه التحديات القائمة فعلا، والتى قد تستـمر وتستفحل إن لم نعالجها بحذر ودقة لشدة حساسيتها وتعقيدها لدخـول أطراف خارجية عن البعد القومى لحالة التجزئة واختـلاف الرأى والمصالح الشـخصيـة، ودخولهـا الإطار الدولى وخاصـة العالم الرأسمال الغربى بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية.

ولو لم يكن هناك نفط بكميات تجارية استراتيـجية لما كان ما كان ولما حدث ما حدث.

أبعاد التحديات الداخلية لدول مجلس التعاون الخليجي:

منذ إعلان بريطانيا الانسحاب العسكرى من الخليج العربى عام 1971، ومرورا بحرب أكتوبر عام 1973 وزيادة أسعار النفط الخام. والاحتياجات المتزايدة لدول الغرب الرأسمالية، ومحاولة الاتحاد السوفيتى التقرب إلى المنطقة حتى انسحابه من أفغانستان، فإن قضية الأمن أصبحت هاجس دول مجلس التعاون.

تعزز الولايات المتحدة انفرادها بالثروة النفطية مع إبعاد الأخطار التى تواجه مصالحها فى المنطقة، مما قد يسمى ذلك تجاوزا بالأمن الأمريكى لدول مجلس التعاون. ويرغم اتباعها سياسة الوفاق مع الاتحاد السوفيتى. إلا أنها أبقت المنطقة خارج الوفاق حتى اجتياح العراق للكويت، وما نشأ عنه نوع جديد من الوفاق إلى حد ما، حول المنطقة بموجب تصريحات الزعيمين السوفيتى ـ الأمريكى، فى لقاء هلسنكى فى العاشر من سبتمبر 1990.

ندرس خصائص الوضع السياسى المحلى التى قد تكون عاملاً مساعداً للأمن من جهة، وعامل ضعف على تحقيق وبقاء هذا الأمن من جهة أخرى، من خلال واقع ما تعانيه الأنظمة المحلية من تحديات داخلية أكثر منها خارجية، والتى أصبحت تحت السيطرة الأمريكية بعد استرجاع الكويت، والوجود المسيحى الغربى العسكرى وخاصة الأمريكى فى المنطقة.

التحديات الداخلية:

يبدأ تحقيق الأمن أساسا من الداخل أولا، بغض النظر عن التحديات الخارجية مهما كان حجمها، لأن التحديات والأخطار الداخلية قد تدفع القوة الخارجية إلى التدخل سواء طلبت منها ذلك أم لم تطلب، فمجىء القوة الخارجية غالبا يتوافق مع مصالحها وليس مع مصالح الدول المعنية.

وهناك عدة تهديدات نابعة من الداخل، لا تقل خطورة عن التهديدات الخارجية إن لم تكن أكثر منها، إذا لم تعالج بشكل جيد فى المدى القريب

والبعيد، بعضها موجه ضد أمن شعوب المنطقة والبعض الآخر ضد أمن أنظمتها، ولذا يجب إيجاد حلول مناسبة بتقوية العلاقة بين الشعوب والأنظمة، والعمل معا لمواجهة هذه التحديات لأنها تشكل خطرا على تلك الكيانات بالكامل.

إن استقرار وقوة الأنظمة تنبع من الداخل بحرية شعوبها وديمقراطيتها التى تجعلها على استعداد تام للحفاظ على الأنظمة القائمة، ولكن الواقع غير ذلك، لا تضامن ولا اهتمام بالأخطار المحدقة، ولا تنسيق فى المواقف ولا اتفاق فى الرأى[1]، برغم توافر كل الإمكانيات المتاحة والثروة المادية والرخاء، والرفاهية ولكن دون الشعور الوطنى للتضحية والفداء من أجل الوطن وحماية الثروات من الاستغلال الغربى المسيحى الأجنبى.

تتمتع دول مجلس التعاون بثرائها الكبير وافتقارها لحماية نفسها مما يغرى القوى الطامعة فيها، لأنها تضم مختلف الجنسيات، القوميات والانتماءات من البشر نظرا للاتكالية والاعتماد المتزايد على مئات الألوف من العمالة الأجنبية.

السؤال المطروح: من الذى تقع عليه مسؤولية الدفاع عن أمن المنطقة هل شعوبها وهذا حالها، أم الأنظمة المنشغلة بالصراعات الجانبية؟.

كيف يمكن أن تصمد أمام الأخطار التى تهددها وليس هناك خروج من هذا المأزق إلا من خلال منظور الأمن القومى العربى. والذى هو أمن المجتمع العربى في دول مجلس التعاون وحمايته من التحديات الخارجية والحفاظ على سلامة أراضيه ووحدته الوطنية وحماية ثرواته النفطية من النهب والاستغلال الغربى المسيحى الراسمالى[2]. كذلك إلى حد التهديدات الداخلية التى يجب على الأنظمة إيجاد الحلول المناسبة لها فى أسرع وقت ممكن نظرا لخطورتها كقنبلة موقوتة لا يعرف متى انفجارها.

دور القوى الخارجية فى التحديات الداخلية:

يؤخذ الخليج العربى فى الاهتمام العالمى، ويوضع فى مقدمة السياسة

الاستراتيجية الدولية والإقليمية[3] وبالذات الدول الرأسمالية وعلى رأسها الولايات المتحدة التى تشجع بل وتعمل بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على عدم الاستقرار الكامل والدائم للمنطقة، حتى لا تتحكم شعوبها فى مقدراتها فى الوقت الذى تستمر تلك القوى فى استغلال ثرواتها النفطية وتبديد عوائدها النفطية، وبالتالى إبقاء التحديات الداخلية قائمة بطريقة أو أخرى وقابله للاشتعال متى شاءت، ليتسنى لها السيطرة والحكم بشتى أنواع المبررات، وتهدف تلك السياسة إلى ما يلى:

1 ـ سلخ كيانات مجلس التعاون غير القادرة على حماية أمنها عن باقى الدول العربية القوية غير المنتجة للنفط حتى تعتمد على الولايات المتحدة.

2 ـ ربط اقتصاديات تلك الدول بالاقتصاد الرأسمالى المسيحى الغربى، وجعلها أسواقا استهلاكية للبضائع الغربية الرأسمالية والدول التى تدور فى فلكها مثل كوريا وتايوان وتركيا وغيرها، وتشجيع تصدير العمالة من تلك الدول، حتى تستطيع السيطرة السياسية من ناحية، وتحويل الأموال والمدخرات من دول مجلس التعاون إلى أوطان الدول المصدرة للعمال من ناحية أخرى، والتى تعانى من التضخم والعجز المالى والبطالة، لكى لا تتحول عن الفلك الأمريكى، برغم وجود عدة ملايين من العمالة العربية فى حالة سيئة فى الدول الأوربية.

3 ـ بما أن كيانات مجلس التعاون قليلة السكان فإن الاستراتيجية الغربية مبنية على تشجيعها على إعطاء جنسياتها لقوميات غير عربية كالإيرانيين، لتستطيع أن تحافظ على كيانها خوفا من العرب الذين قد يطالبون بالحقوق الدستورية.

4 ـ غرس الأفكار الوطنية والإقليمية وإبعادها عن النهج القومى العربى وإحياء الشعوبية وإيجاد الفوارق الطبقية بين المواطنين من جهة وبين أبناء الدول العربية من جهة أخرى، وتفضيل الغربى المسيحى الأوربى والأمريكى على العربى.

5 ـ تكريس الطابع الغربى فى الثقافة والإعلام والمناهج التربوية والتعليمية والبعد عن المنهج العربى الإسلامى. ومن هذا المنطلق يمكننا دراسة الوضع السياسى المحلى والتحديات الداخلية.

أولا: تحديات الأمن الديموغرافى:

تعانى دول مجلس التعاون من اختلال ديموغرافى لتركيز السكان فى المدن وليس فى الأطراف أو بقية الأجزاء من الساحل والداخل مما يساعد على محاصرة المدن أثناء الغزو بسرعة دون مقاومة، ومحاصرة تلك المدن التى تعتمد اساسا على عملية تقطير مياه الشرب من البحر ومحطات توليد الكهرباء، فبدونها تصبح الحياة مهددة بالفناء.

مما يزيد من تفاقم أوضاع تلك الكيانات حاجتها المتزايدة إلى العمالة والخبراء الأجانب، مما يهدد الاستقلال السياسى والاقتصادى ويفرز مشكلات اجتماعية ونفسية وتجدهم فى القطاع العام والخاص مروراً حتى بالمؤسسة العسكرية ثمة اعتماد كبير على المرتزقة[4].

يغلب الطابع الأجنبى على العربى فى التركيبة السكانية غير المتجانسة بنسبة (70 ـ 60٪) إن لم يكن أكثر فى بعض كيانات مجلس التعاون، وفى بعضها جرت الهجرة بحجم غير عادى[5]. ويعتبر الذى جرى أكثر مما تستوعبه المنطقة فى حين تزايد اعتماد كيانات مجلس التعاون على العمالة الأجنبية والهجرة المشروعة وغير المشروعة بسبب ازدياد عوائد النفط الكبيرة التى لا تتناسب مع عدد سكانها العرب مما يشكل مضاعفات على مر الزمن من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وهذا راجع إلى عدم وجود سياسة ثابتة وواضحة المعالم للعمالة الأجنبية على الصعيد القومى العربى، وأخيرا التطور والتوسع فى المشاريع الإنشائية الصناعية وعدم الإدراك بخطورة العمالة الأجنبية.

والسؤال: ما العمل، وما هى كيفية مواجهة هذا التحدى؟

الحل الأمثل هو إحلال العمالة العربية بدلا من الأجنبية، وإعطاؤها امتيازات خاصة وإغراء بعضها بالبقاء سواء بإعطاء إقامات طويلة الأجل أو إعطاء الجنسية مما يمكن معه مواجهة هذا التحدى.

تتضح خطورة الهجرة الأجنبية باختلاف أهدافها ونواياها وهى نوعان: الأولى بدافع العمل والعودة إلى موطنها الأصلى، والثانية لأهداف سياسية واقتصادية وهى الهجرة الإيرانية التى تهدف إلى أطماع توسعية قديمة والحصول على الجنسيات العربية لدى كيانات مجلس التعاون ماعدا السعودية وعمان. وسيطرة الفئة الأخيرة على الأوضاع الاقتصادية فى بعض دول المنطقة.

يرجع ذلك لوجود مناطق مأهولة بالانفجار السكانى[6] مع الفقر فى آسيا بوجه عام، وفى إيران ذات الأطماع السياسية والاقتصادية بوجه خاص، مع الأخذ بعين الاعتبار بأن تعداد سكان إيران يبلغ أكثر من ستين مليون مقابل مليون ونصف عربى فى كيانات مجلس التعاون بدون عمان والسعودية مع وجود الثروة النفطية الهائلة.

فحولت الهجرة الإيرانية المنظمة إلى ضعف حقيقى فى البنية الديموغرافية، مما يشكل خطورة على الأمن القومى العربى فى شرق الجزيرة العربية، ويجب الإدراك الحقيقى لتلك الخطورة بإيجاد الإدارة الوطنية التى تهتم بالتماسك والتواصل مع العمق العربى[7]، عندما تستطيع مواجهة هذا التحدى.

يجب أن نتذكر الأطماع الإيرانية فى البحرين وعربستان والعراق واحتلالها للجزر العربية، وأهدافها التوسعية المستقبلية بإغراق المنطقة بالهجرة لتكوين الأغلبية الإيرانية، وإثارة النعرات الشوفينية من خلال إحياء الأحلام الفارسية القديمة للتوسع ورغبتها فى السيطرة الاقتصادية وجعلها سوقا لمنتجاتها، ولهذا فإن مخاطر الهجرة الإيرانية تأخذ أبعادا خطيرة أكثر من بقية الهجرات الأجنبية الأخرى[8].

يقول عنهم الكاتب البريطانى «جون بولوك»[9] إنهم يسخرون من إعطاء

الأولوية للعـرب عندما تصبـح الوظائف شاغـرة وهى السيـاسة التى تهـدف إلى المحافظة على نمط الحيـاة العربية وعلى اللغة العـربية وهما هدفان يستـحقان الثناء ويجب على قـيادات المنطقـة التى لـم تدرك الأخطار المحـدقة من هجـرة العمـالة الأجنبية أن تعمل جاهدة لمنع نتائج ذلك التعدى على الأمن العربى فى المنطقة نظرا لخطورتها المتفاقمة يوما بعد يوما. وجلب الأيدى العاملة العربية بدلا من الأجنبية، لأن ما تفرزه من مشكلات مـحدود جدا. وقد تتلاشى أمام أهمـية الوجود العربى حفاظا على الأمن القـومى، وعملية تطويعهـا بهدف استيعـابها دون قلاقل، وإن وجدت فإنها لا تثيـر مشكلة للانتماء العربى، أما العمالة الأجنبيـة فتحدث شرخا وتحديا لخصائص المـنطقة بظهور أقليات أجنبية لا تقـبل ولا تدين بالولاء والانتماء العربى. وتشكل العمالة الأجنبـية فى المنطقة أكبر تحدٍّ مما يكون له انعكاس خطير فى الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية نلخصها فيما يلى:

أ) تحديات قومية وسياسية

من أهم التحديات القومية والسياسية:

1 ـ تهديد الوجود القومى العربى لكيانات المنطقة بجعل السكان العرب أقلية أمام الأكثرية الأجنبية، ويقول «جون بولوك»(10).

«ففى دبى، الزائر له يعتقد بأنه موجود فى بومباى لقد استولى التجار الهنود على هذه المنطقة بكاملـها، إن عدد العمـال الأجانب فى مجمع جـبل على يفوق عدد سكان دبى قبل عدة سنوات».

2 ـ تدين الجاليـات الأجنبية بالـولاء، لدولها الأصلية مـهما كـانت أنظمة الحكم فيهـا، والتخوف من المطالبة باسـتفتاء شعـبى لتقرير المصير كـما حدث فى البحـرين عام (1970)، أو المطالبة الـسياسـية بالمساواة فى الحـقوق والواجـبات واكتـساب حـقوق المواطنة(11)، لأن المنطقـة فى حالة تغـيير، ومع مـضى الوقت يصعب الـتفريق بين المـواطنين العرب والمقـيمين الأجـانب الذين يشعـرون بأنهم

ينتمون إلى منطقة، مما يجعل فكرة العودة إلى أوطانهم الأصلية مجرد حنين إلى الماضى البعيد[12] مما يؤدى إلى خلق تناقضات قومية فى كيانات مجلس التعاون، وبالتالى إلى إضعاف الروابط القومية بين تلك الكيانات وبقية الأمة العربية.

ب) تحديات عسكرية:

عدم انصهار الغالبية الأجنبية فى المجتمعات ذات الأقلية العربية قد يؤدى إلى تدخل دولها المباشر فى شئون كيانات مجلس التعاون بإيحاء إحدى القوتين بهدف حماية جالياتها أو تدخلها المباشر لحماية مصالحها تحت ستار حماية الجاليات الأجنبية والمطالبة بتقديم التعويضات. وبتحسين أوضاع المعيشة وتنظيم اتفاقات ثنائية لتحديد أساليب التعويض وأشكاله[13].

نظرا للمبالغ الكبيرة التى يتم تحويلها من قبل العمالة الأجنبية إلى بلدانهم والتى تساهم فى اقتصادياتها الوطنية حتى أصبحت جزءا من استراتيجياتها غير المعلنة وجعلها تتنافس لتصدير العمالة إلى كيانات مجلس التعاون مما يزيد وجودهم وخاصة من شرق آسيا لأعمال البناء كالكوريون الذين يتقبلون أجورا أقل من الباكستانيين[14]. علما بأن الجالية الكورية مدربة عسكريا وأثبتت قدرتها القتالية عندما اشتبكت مع الحرس السعودى فى مدينة الجبيل الصناعية عام (1978) إضافة إلى تسلل بعض أفراد الجاليات إلى القوات المسلحة وتحويل إقاماتهم المؤقتة إلى دائمة[15].

تجنيد العمالة من قبل الحكومات الأجنبية التى لها مصالح، وخاصة الفليبينة من قبل الولايات المتحدة حيث إن معظم الخادمات والخدم والمربيات والسائقين لدى كبار موظفى الدولة من الفليبينيين والكوريين بهدف التجسس والدعاية وأحيانا التخريب.

ج) تحديات اقتصادية:

استنزاف الدخل القومى عن طريق التحويلات المالية إلى بلدانهم مما يؤثر

على اقتصاديات كيانات المنطقة، فقد بلغ مقدار هذا التحول عام (1977) أربعة مليارات دولار إضافة إلى الأعباء المالية التى تتحملها الدول من جراء تقديم المرافق والخدمات العامة فى الوقت الذى يكون مردودهم العملى ضعيفا لعدم كفاءتهم العملية والتقنية وهدر العمل، كما أن وجودهم يحول دون استخدام الأيدى العاملة العربية.

د) تحديات اجتماعية وثقافية:

يؤدى وجود مختلف أنواع القوميات بكل معانيها الاجتماعية والثقافية واختلافها الكلى عن القيم والعادات والتقاليد لمجتمع الجزيرة العربية المحافظ إلى مشكلات اجتماعية سيئة وآثار سلبية على المجتمع المحلى العربى. وإلى تفشى الجرائم والأفكار والتنظيمات السياسية الهدامة واللاأخلاقية وعمليات تبشيرية عن طريق مؤسساتها الدينية والتعليمية والتجارية.

يهدد اللغة العربية انتشار لغات أجنبية للتفاهم معهم مما يؤدى إلى ظهور لغة جديدة «مكسورة» ليس لها علاقة بالعربية وضد ما هو حادث فعلا عند مخاطبة الأجانب واحتمال أن تغطى الثقافات الأجنبية على الثقافة العربية والتراث المحلى والتخوف من فصلها عن بقية الثقافة والتراث للأمة العربية.

ويتألم المرء، أكثر عندما يجد تلك التحديات التى ذكرناها لا تجد لها أذنا صاغية، أو اهتمامًا كما يجب لحجم هذا التحدى، سواء على الصعيد الرسمى أو الشعبى، أو كما يقول «جون بولوك»[16].

«إن هذه الأمور بالنسبة للمواطن العادى فى الخليج العربى هى أمور قليلة الأهمية. فإذا كان رجلا ثريا ومتعلما فإن ما يقلقه هو اختفاء نمط الحياة التقليدى وضياع ثقافته، وإذا كان واحدا من أولئك الذين يقومون بوظائف بسيطة فإنه يستاء من الأجانب الذين يقومون بوظائف أعلى، ويتلقون رواتب أكثر سخاء من راتبه».

ثانيا: تحديات الأمن العسكري:

يعتبر ضعف خصائص قدرات كيانات مجلس التعاون من أهم تحديات الأمن العسكري. مما جعل الدفاع عـنها صعبا ويسهل عمليـة الغزو سواء من الخارج أي من قبل القوى الكبرى(17). أو من الداخل أي من القوى الإقليمية التي تنتمي إلى المنطقـة نفسهـا سواء كـانت تعمل لحساب القـوى الخارجـية، وخاصـة الهند أو الولايات المتحدة، أو لحسـابها الخاص بغية توسيع نطاقها الإقليـمي كإيران أو كما حدث للغزو العراقي للكويت.

تنقسم خصائص ضعف قدرات كيانات مجلس التعاون إلى قسمين:

(أ) ضعف الطبيعة الجغرافية:

من عوامل ضعف الطبيعة الجغرافـية إحاطة المياه بدول مجلس التعاون ابتداء من مـياه الخليج العـربي وبحر عـمان وبـحر العـرب والمحيط الهندي في الشـرق والجنوب، وإلى البحر الأحمر غربا، مما يجعل المنطقة سهلة للقوى الطامعة ويصبح الغزو بدون تكلفة حقيقية(18)، للعمليات العسكرية للأساطيل الأجنبية نظرا لصعوبة عمل استحكامات ودفاعـات قوية على الساحل الممتد من طرف إلى طرف ووجود بحر آخر من الكثبان الرملية في صحراء الربع الخالي وصحراء النفوذ.

هذا ما يجعل كـيانات مجلس التعاون خـالية من أية موانع طبيعـية للدفاع، سواء من الساحل أو من الداخل كتلك الموجودة في الشواطئ الإيرانية الغربية المطلة على الخليج العربي، علما بأن جميع منابع النفط العربي تقع في تلك المنطقة الهشة المكشوفة بالصـحراء التي تشكل (80٪) من مساحـة كيانات مجلس التـعاون التي ليس فيها كـثافة سكانية كحاجـز بشري يمكنها به مقاومة الغزو، ممـا يسهل عملية الاختراق والانزال حول منابع النفط واحتلالها، نظرا للتطور التكنولوجي المستخدم في الآلة الحربية. وبذلك تشكل كيانات مـجلس التعاون خطرا على الأمن القومي العربي، والسيطرة عليـه، يعني التحكم في الجسد العربي التي تنفـتح أمامه الطرق

المؤدية إلى بلاد الرافدين وبادية الشام والأماكن المقدسة فى الحجاز وفلسطين[19]، ومن ذلك تتضح جوانب ضعف الطبيعة الجغرافية لدول مجلس التعاون.

(ب) القدرة الدفاعية الذاتية:

عدم وجود القدرة الدفاعية الذاتية يشكل أكبر تحد للأمن العسكرى، فمن المعروف أن القوة الاقتصادية تؤدى إلى القوة العسكرية، لأنها تعنى توافر الثروة المالية التى تفرض تطورا حضاريا وتكنولوجيا. ولو إلى درجة معينة إن لم يكن تقدما عاليا، ووجود القدرات الدفاعية الذاتية يعنى مقدرتها على مواجهة التحديات المختلفة والحفاظ على التقدم الحضارى والعلمى والاقتصادى. أما إذا كان هناك اقتصاد قوى وضعف فى القدرة الدفاعية التى تحافظ على ثرواتها القومية. فإن ذلك يؤدى إلى ظهور أطماع خارجية[20]، أو أطماع إقليمية مجاورة مما يشكل تهديدا للنظام السياسى وبالتالى إلى نهايته إن عاجلا أو آجلا، أو التبعية الكاملة للقوى الخارجية.

تتمتع كيانات مجلس التعاون بأهمية استراتيجية الثروة النفطية الهائلة مع وجود ضعف شديد فى القدرة الدفاعية الذاتية، التى لا تستطيع أن تحافظ حتى على جزء بسيط من تلك المكتسبات الوطنية أو الصمود أمام الغزو الخارجى، مما دفعها إلى الانقياد نحو الولايات المتحدة التى لها مصالح حيوية فى حين لم تظهر حتى الآن مصالح سوفيتية قوية، وقد توجد فى المستقبل إذا ما تمت إعادة النظام الروسى بعد سقوط السوفيت أو ظهور أوربا الموحدة فى المستقبل، مما قد يؤدى إلى التنافس بين الجبارين على حساب شعوب المنطقة.

إذا ما استثنينا إيران والعراق واليمن من الخليج والجزيرة العربية، فإننا نجد القدرة الدفاعية لبقية دولها ذات نوعية لا يعتد بها برغم الميزانيات الكبيرة والمبالغ الهائلة التى رصدتها كيانات مجلس التعاون لتطوير قدراتها الدفاعية، إلا أنها لم تؤد إلى نتيجة تذكر للكفاءة العسكرية الفنية أو فى خلق قيادات مقتدرة[21]، أو لاستيعاب التكنولوجيا المتطورة للأسلحة والمعدات الحربية الحديثة. فعلى سبيل

المثال تنتج السعودية أكثر من تسعة ملايين برميل، وتنفق عشرات المليارات من الدولارات على المؤسسة العسكرية ومساحتها الكبيرة الشاسعة، وتحتوى على أكبر احتياطى من النفط الخام. ومع ذلك فإن عدد أفراد جيشها لا يتعدى خمسين ألف جندى، مقابل مليون جندى، وتسعمائة ألف احتياطى لدى العراق ومئتان وخمسون ألف جندى وأكثر من مليون احتياطى لدى اليمن.

والسؤال: لماذا هذا الضعف فى القدرة الدفاعية لدول مجلس التعاون الخليجى؟.

والجواب على هذا السؤال يكمن فى عدة مشكلات تواجهها المؤسسة العسكرية أهمها:

1 ـ صعوبة تجنيد الأفراد فى الجيش لقلة الكثافة السكانية التى تعانى من الانقسام بين المواطنين العرب والمواطنين ذوى الأصول الإيرانية فى كيانات مجلس التعاون ما عدا السعودية التى فيها بعض الأصول الآسيوية، وعمان التى فيها بعض البلوش، مما يخلق حساسيات بينها، حول من منهم سيدافع عن الوطن، وخاصة إذا كان التوسع الإيرانى.

2 ـ عدم توفر البنية التحتية للتعليم التقنى والكوادر الوطنية المؤهلة فنيا لتستطيع استيعاب التكنولوجيا المتطورة فى المجال العسكرى، والقدرة على التعامل معها.

3 ـ الافتقار للروح المعنوية العالية والدفاع عن الوطن والتشكك فى مصداقية الأنظمة السياسية لعدم المشاركة الشعبية فى اتخاذ القرار السياسى للحفاظ على القدرات القومية.

4 ـ الاعتماد على المرتزقة فى القوات المسلحة من مختلف الجنسيات غير العربية، فهناك أعداد كبيرة من الباكستانيين والبريطانيين والفرنسيين والأمريكان وغيرهم من الضباط والجنود والفنيين فى مختلف قطاعات الجيش، وهؤلاء المرتزقة

ليس لهم ولاء إلا بالمال. ومن يضمن عدم تهريبهم للأسرار العسكرية إلى الخارج أو بيعها إلى الجهات المعادية؟.

تحاول الولايات المتحدة حل هذه المعضلة فى القدرة الدفاعية الذاتية لكيانات مجلس التعاون بكيفية تأمين النفط من الأخطار الداخلية عن طريق تقديم الأسلحة المتطورة برغم علمها بعدم جدوى ذلك مما قد يؤدى إلى نتائج عكسية ليست فى صالحها وهى:

1 ـ التخوف من تغير الأنظمة كما حدث لإيران. أو إسقاطها بالقوة. أو تغير السياسة الموالية للغرب إلى معادية لها، والسيطرة على المقدرات النفطية، وبالتالى توجيه السلاح الغربى للبطش، والسلاح بحد ذاته لا يضمن الاستقرار الداخلى، كما دلت التجربة الأمريكية مع شاه ايران[22].

يقول الكاتب الأمريكى «بيتر ميسفى»[23]:

«إن أمن دول الخليج مهم ويقع على عاتق الغرب، وبما أن تلك الدول لا تقبل مشاركة الغرب لحمايتهم بطريقة مباشرة حتى يتم حل المشكلة الفلسطينية، لذا يجب على الغرب مساعدة دول الخليج لبناء قدراتهم العسكرية مع الأخذ بعين الاعتبار وجود بعض المخاطر من التطور العسكرى الذى لا يمكن الاعتماد عليه لحماية الأنظمة كما يحدث لإيران، ولهذا يجب إيجاد صيغة أخرى لقيام تعاون أوثق معهم».

2 ـ من خلال عملية التسليح الضخمة فى السعودية، كما هناك تأثيرات على المتدربين وعائلاتهم وأقربائهم، والتحديث العسكرى فى المجتمعات النامية يحدث رد فعل على عكس ما يتوقعه قادتها، فقد ذكر أحد الدارسين الأمريكان:[24].

«إننى أفكر جديا فى أننا الأمريكان نساهم فى الإسراع بخلخلة الأمور فى الجزيرة العربية عن طريق دعمنا لنظام عسكرى حديث وموحد».

3 ـ أن التعامل مع السلاح الغربى وفرض نظرياته العسكرية على الجيوش المحلية، كل هذا له نتائج جانبية سلبية إذا لم تواكبها التنمية المتكاملة لاختلاف البيئة العربية الإسلامية عن البيئة الغربية وحضارتها، واختلاف واقعها عن واقع الجزيرة العربية، وقد جاء فى أحد التقارير[25]:

«تؤثر على المجتمع بأكمله فيصبح لها دور أساسى فى عملية التخطيط الاقتصادى وتؤثر عليه عادة بشكل سلبى كما تعطى الحق للجيوش المحلية بالتدخل فى شئون المجتمع عندما ترى ذلك مناسبا، وهكذا تصبح الجيوش فى بعض الدول النامية أكثر تطورا فى المجتمع مما يجعل ارتباطها بالغرب أكثر خطورة».

تشكل المؤسسة العسكرية قوة ضاغطة يخشى من خطورتها على كيانات مجلس التعاون مع تزايد دورها وأهميتها فى الأحداث السياسية فى المستقبل القريب.

ثالثا: تحديات الأمن السياسى:

نقصد بالاستقرار والأمن السياسى، وجود المؤسسات الدستورية والانتخاب المباشر والحرية والمساواة والديمقراطية، وهى عناصر رئيسية فى قضية الأمن السياسى، وقد طرحت بعض منها أعقاب الثورة الإسلامية فى إيران، وكذلك بعد حادثة الحرم المكى الشريف فى السعودية.

تخلق القوى الكبرى وخاصة الولايات المتحدة نوعا من عدم الاستقرار السياسى مع بقاء الأنظمة أو الكيانات بوضعها السياسى القائم حاليا، لأنه ليس من مصلحتها أن تتمتع المنطقة بالأمن السياسى بعناصرها التى ذكرناها سابقا، مما يجعل الكيانات أكثر استقلالية فى اتخاذ القرارات المصيرية كالسيطرة على الثروة القومية النفطية.

تستعين بعض الكيانات فى أوقات معينة بتدخل أجنبى لتوجيه التيارات السياسية لصالحها وعدم انضباط بعض القوة المحلية لمقدرتها على إثارة القلاقل أو

لعدم فاعلية الإدارة، ومن ثم فهى صالحة لخلق تفجيرات داخلية قادرة بدورها على أن تعد وتمهد لصراعات إقليمية أو دولية أو بعبارة أكثر دقة لتدخل أجنبى ليس لصالح أمن المنطقة[26].

تعرف الولايات المتحدة جيدا الضعف الداخلى وعدم الاستقرار السياسى، وبرغم ذلك إلا أنها تحاول جهدها ولم تشأ إيجاد حلول لتدعيم هذا الاستقرار، كما حدث لإيران عندما حولت انتباه الشاه من مسألة الأمن السياسى والاستقرار الداخلى إلى إعطائها الدور الخارجى بشرطى المنطقة[27]، مما دفعه لارتكاب الجرائم ضد شعبه باستخدام أجهزة «السافاك» حتى أدى إلى سقوطه ومجىء النظام الإسلامى الثورى فى إيران.

يقول جيفرى ريكورد أحد الخبراء الأمريكيين فى الشئون الاستراتيجية[28]:

«الاستقرار السياسى لنظام الصومال، عمان، العربية السعودية، الكويت، الإمارات العربية، الباكستان.. إن كل هذه الدول محكومة إما بنظم عسكرية أو ملكية شبه إقطاعية تجعل هشاشتها السياسية والاجتماعية معرضة للتلف والسقوط بواسطة الجماعات اليسارية المؤيدة من جانب السوفيت أو القوة الدينية الأصولية التى تنكس الآن بيت الإسلام».

ثم يتابع قوله عن الأمن السياسى[29]:

«الضعف السياسى الداخلى للدول المنتجة للنفط والتى يتألف العديد منها من نظم شبه إقطاعية تحكم شعوبا لا حول لها ولا قوة تعيش داخل حدود رسمت بواسطة الاستعمار الأوربى فى القرن التاسع عشر أضعف حلقة فى سلسلة الردع الغربى فى الخليج متعصبة قدم المثال العملى عليها بما حدث فى اليمن الشمالى والجنوبى وإيران. والهجوم على المسجد الحرام بمكة عام (1980) نظام غير قادر بشكل ما على حماية نفسه فى مواجهة التحديات الداخلية القوية لسلطته، وإيران

حالة من الحالات التى تنطبق عليها هذه الحقيقة، ولو حدث أن أرسلت القوات الأمريكية فى محاولة لإنقاذ الشاه فإن الشيء الوحيد الذى كان بمقدورها أن تفعله هو أن تستثير المزيد من هذه المشاعر ثم تتحول إيران إلى فيتنام أخرى، إن الجذور الحقيقية للتمرد والثورة تكمن فى الفقراء أو الفساد والحكم الاستبدادى والتنمية الاقتصادية الفائقة السرعة فى بيئات متخلفة ومتدنية والفوارق الكبيرة فى توزيع الثروة والاستحواذ الجائر للملكية الأراضى، أو العداوات العرقية والطائفية. هى كلها مشكلات مستوطنة فى كل أنحاء الخليج، ومن ثم فإن استخدام القوة العسكرية وحدها ستكون ـ حتما قوة عسكرية أجنبية ـ فى التعامل مع هذه المشكلات قد يكون غير ذى موضوع، وربما خطر.

ثمة أدوات أخرى ثمينة متاحة للولايات المتحدة وحلفائها الغربيين فى شكل المساعدة على التنمية والمعونة الفنية، وتطوير التجارة والدبلوماسية التى تشجع فى هدوء على التطور السياسى. لم يتواكب التطور السياسى للمؤسسات الدستورية فى كيانات مجلس التعاون، مع تطور بقية المؤسسات الحكومية والإدارية الرسمية، إن لم يكن غير موجود أصلا فى بعض أو معظم الكيانات مثل السعودية، التى تنظر بحذر إلى التطور السياسى فى الكويت[30].

معظم تلك الكيانات ليس لديها استعداد للمشاركة الشعبية فى الحكم إلا المشاركة الجزئية «لمجلس الأمة» فى الكويت.

لتجنب الاستياء الشعبى، ولتحقيق الاستقرار والأمن السياسى لابد من بذل المزيد من العمل والجهد فى سبيل تصحيح التوازن والتخلف السياسى[31]، وعلى الأقل يجب أن تكون التجربة البرلمانية المتواضعة فى الكويت، ذات انعكاس وتأثير على التطور السياسى فى المنطقة، لأن غياب المشاركة واحتكارها من قبل قلة يجعل الشعب بعيدا عن مركز اتخاذ القرارات التى تهم مصيرها[32]، ويجعل التحديات السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى تفاقم، يؤثر على عدم الاستقرار

الداخلى وبالتالى على الأمن بكل أبعاده فى المستقبل القريب، ولا يمكن ضمانها ما لم يهتم حكام المنطقة أنفسهم بتلك العوامل الداخلية[33].

يرجع عدم الاستقرار السياسى فى مجتمعات كيانات مجلس التعاون إلى الإرث التاريخى والتحول الاقتصادى والاجتماعى السريع، ويضع حكامها فى مفترق الطرق إما مواصلة المشوار مع بقية المجتمعات المعاصرة وتمشيا مع التطور السياسى والتاريخى، وإما التخلف والجمود عن المسيرة مع نتائجها الوخيمة، ففى الوقت الذى لا يمكن فيه وقف التطور الاقتصادى نتيجة للثروة النفطية المتدفقة التى تدفع إلى تغيرات اجتماعية وثقافية سريعة دون مسايرة النظام السياسى الذى يتراجع إلى الوراء، والذى لا يستطيع منع التطور السياسى الناتج من التطور الاقتصادى ولكنه يخشى بارتباطها بمطالبات جديدة ومشاركة سياسية فى السلطة التى يصعب الاستجابة لها[34].

يدفع التحدى السياسى للفئات المحافظة من المجتمع إلى عدم رضاها، وبالتالى سخطها مما يزيد من اندفاع التيار الإسلامى لمواجهة هذا التحدى كما حدث فى إيران، وكما يحدث فى بعض الكيانات العربية وخاصة مصر والمغرب العربى. وقد جاء فى تقارير اللجنة الأمريكية الأوربية اليابانية الثلاثية[35]:

«وقد يكون تحديث هذه الأنظمة العتيقة أحد أصعب المهمات السياسية فى عالم اليوم، ويواجه حكام الخليج باستمرار خطر الوقوع بين مطرقتى التحديث المبالغ فيه أو المبالغة فى الحد منه، والتجديد الثقافى المبالغ فيه أو المبالغ فى الحد منه، والإصلاحات السياسية الكثيرة جدا أو القليلة جدا».

هناك أمل كبير فى الاستجابة للتحديات السياسية، وخاصة المشاركة الشعبية من قبل الطبقة الجديدة لأبناء الأسرة الحاكمة، الذين تخرجوا من الجامعات فى الاختصاصات المختلفة، وخاصة السياسية والقانونية، وباتوا يشعرون بأنه إذا ما أرادوا إبقاء حكم الأسرة قويا ومستمرا فيجب عليهم إشراك الشرعية فى دفة الحكم لتغطية ثغرة الأمن السياسى والعمل معا فى السراء والضراء، ولكن هذا ليس سهلا

لوجود تيار قوى من الجيل القديم والحرس القديم داخل الأسرة الحاكمة والمعارضة للعملية الدستورية بالمشاركة الشعبية، والحسم سيكون للجيل الجديد فى المنظور القريب مع تزايد التحديات والتطورات المتلاحقة فى المنطقة ومن حولها. وكما يحاول حاكم قطر الشيخ حمد الذى يمثل الجيل الجديد من الأسر الحاكمة.

رابعا: تحديات الأمن الاقتصادى:

يعتبر النفط العمود الرئيسي والأساسى للاقتصاد الوطنى الذى تعتمد عليه مجتمعات كيانات مجلس التعاون. ولهذا نقسم الدراسة إلى قسمين: الأول عن أمن النفط والثانى عن أمن عوائد النفط.

1 - أمن النفط:

بما أن كيانات مجلس التعاون تعتمد على مصدر واحد لأمنها الاقتصادى ألا وهو النفط الخام الذى يشكل(90٪) إن لم يكن أكثر من دخلها القومى الإجمالى من تصديره، فعليها أن تحافظ عليه وتحد الاستغلال بالسيطرة على شركات النفط الأجنبية والتحكم فى الإنتاج وتشجيع المؤسسات الوطنية البترولية وجعل قطاع النفط جزءا من الخطة القومية الإجمالية[37]، وتنويع الموارد النفطية وتقليص الاعتماد على وجهة واحدة كمصدر لهذه الموارد وإيجاد البديل وتنوع مصادر الدخل للاقتصاد القومى على الأمن البعيد[38].

وعدم إهدار النفط لأنه معرض للنفاد، ولن يستمر الرخاء الحالى الناتج عنه للأبد، لأن النفط المستخرج لا يمكن تعويضه، وعلى هذا الأساس يفترض التعامل مع مادة قابلة للنضوب فى ضوء سياسة الشركات ودولها الرأسمالية التى تتبع مختلف أساليب النهب والاستغلال ومن مراعاة الأمن الاقتصادى للثروة النفطية القومية للعرب، وهذا ما نلاحظه فى العملية النفطية التى تتم وتبدأ بأيدى أجنبية وتنتهى بأيدى أجنبية فى حين تقف كيانات مجلس التعاون موقف المتفرج واللامبالاة.

وذلك كما يلى [39]:

1 ـ تتم جميع مراحل الإنتاج بأيد أجنبية.

2 ـ تتم عملية النقل والتسويق بأيد أجنبية.

3 ـ يتم التعامل على أساس عملة أجنبية.

4 ـ يتم تصنيعه كله فى بلاد أجنبية.

5 ـ يتم إيداع الدخل العائد منه فى أيد أجنبية.

6 ـ تتم حراسته الحقيقية بإشراف وسيطرة القوات الأجنبية.

عدم وجود قاعدة صناعية مع الإنتاج الكبير للنفط ومحدودية القدرة الاستيعابية، جعل أكثر من (90 ٪) من الإنتاج يصدر إلى الخارج، وهو يعادل أكثر من (65 ٪) من واردات النفط العالمى، ويقول المحلل الاقتصادى الأمريكى «فردريك» [40]:

«إن أكثر من سبعين بالمائة من إنتاج النفط فى التجارة العالمية فى المستقبل يكون مصدرها أربعة دول خليجية وهى إيران والسعودية والعراق والكويت من المنظور السياسى والاقتصادى والاستراتيجى».

وتعتبر شرق الجزيرة العربية أكبر منطقة مصدرة للنفط فى العالم حاليا مع إمكانية مضاعفة الإنتاج لبعض دولها مثل السعودية والعراق[41]، والتى كانت تنتج أكثر من تسعة ملايين برميل يوميا برغم عدم احتياجاتها إلى هذا الكم الهائل لمحدودية إمكانية القدرة الاستيعابية مما يعنى استرجاع عوائدها إلى الدول الرأسمالية التى خرجت منها، وهذا ما حدث فى النصف الثانى من عقد السبعينيات وأوائل الثمانينيات، إضافة إلى تجاوز الإنتاج السعودى حاليا ثمانية ملايين برميل يوميا بعد الحرب الأمريكية ـ العراقية حول الكويت.

ولكن السؤال: لماذا كل هذا ولصالح من هذا الإهدار للنفط؟!

حدث هذا بعد الاجتياح العراقى للكويت، وهذا يوضح مدى الضغط الأمريكى على بعض دول المنطقة لكى تنتج هذه الكمية الكبيرة من النفط دون مبرر، فقط لإشباع رغبات الغرب المسيحى الرأسمالى المتعطش لاستنزاف الثروات القومية للعرب، كما يوضح مدى ارتباط الأمن الأمريكى بأمن المنطقة، ولذا فإن الأخيرة لا تملك إلا أن تستجيب لها، لأن من مصلحة الولايات المتحدة الاستراتيجية البعيدة المدى أن تحصل على بترول شرق الجزيرة العربية خاصة بكميات كبيرة وبأسعار رخيصة، لاستنزافها بشكل سريع ومنتظم مع المحافظة على المخزون النفطى الأمريكى فى باطن الأرض وتخزين البترول الخليجى الرخيص بكميات كبيرة فى مستودعات النفط المستهلكة والخالية كاحتياطى استراتيجى لاستخدامها فى حالة الطوارئ ولإطالة عمر مخزونها للمستقبل، وكما حدث أثناء الصراع الأمريكى ـ العراقى حول الكويت عندما أغرقت أسواق النفط العالمية بعد 15 يناير 1991 بأربعة ملايين برميل يوميا من المخزون الاستراتيجى فى مخازن «تكساس» و«لويزينا»، وبذلك هبط سعر النفط من أربعين دولارا للبرميل إلى ثمانية عشر دولارا، إضافة إلى الإنتاج الخليجى الكبير .

يقول «اسبيروينبرغر» وزير الدفاع الأمريكى السابق (42) :

«إن الأهمية القصوى والحقيقية هى أن سوق البترول العالمية هى سوق واحد، إذا ما تمزقت المحافظة على الاستمرارية فى أى مكان، ترتفع الأسعار فى جميع المناطق، وجميع المستهلكين والاقتصاد العالمى يتأثر بشدة». ولم تتوان شركات النفط الاحتكارية الرأسمالية عن القيام بأى عمل فى صراعها من أجل الحفاظ على أرباحها واستغلال شعوب المنطقة والتدخل عسكريا عن طريق حكوماتها الغربية بزعامة الولايات المتحدة لاستمرارية بقاء الأرباح الطائلة التى تجنيها من النفط الخام، الذى لايزال يلعب الدور السياسى والأساسى بكل أبعاده فى المنطقة برسم الخارطة السياسية وأنظمة الحكم والمحافظة عليها(43)، كما وضح ذلك جليا من الحرب الأمريكية ـ العراقية حول الكويت. ولذا يجب على كيانات

مجلس التعاون والدول العربية المنتجة للنفط، التعاون ورسم استراتيجية مشتركة للنفط لعمل جبهة واحدة ولتصبح قوة دولية تحافظ على نفطها من سياسة الاستنزاف التى تتبعها الشركات الاحتكارية للدول الرأسمالية، وتضع المصلحة القومية العربية فوق الاعتبارات القطرية أو الذاتية الآنية التى تتعرض لها دولها والمنطقة. والأمن القومى لأخطار جسيمة لا تحمد عقباها، وإن التعاون النفطى المشترك هو الحد الأدنى للتعاون العربى المطلوب، وبدونها فإن مجالات التعاون الأخرى ثانوية[44]، وذلك لاعتمادها على الطاقة النفطية ودخلها المتزايد يوما بعد يوم.

2 - أمن عوائد النفط:

لا يقل أمن عوائد النفط خطورة عن أمن كيانات مجلس التعاون بالنسبة للأمن الوطنى والقومى لتحقيق الاستقرار فى المستقبل، وخاصة إذا ما عرفنا أن أسعار النفط قد تنخفض إن لم ينخفض الطلب عليه كسلعة استراتيجية لأى ظرف كان ولكن ليس الآن، وإنما فى المستقبل، ولذا يجب الاستعداد والتخطيط لذلك.

هل لا تجمد عوائد النفط فى البنوك والمؤسسات والأسواق الأمريكية والأوربية إذا ما اختلفت وجهات النظر العربية إذا لم تتغير سياساتها مع الولايات المتحدة، كما حدث للودائع الإيرانية فى البنوك الأمريكية «ومن يضمن عدم تكرارها للودائع العربية؟ وخاصة بعد قضية بنك الاعتماد والتجارة الدولى؟. وهل يعقل أن نضع الإمكانيات المالية الكبيرة تحت رحمة الولايات المتحدة التى تستخدمها كسلاح مضاد وموجه إلينا وكيف يمكن أن نسمح لأنفسنا بذلك فى عالم اليوم الذى لا يعترف إلا بمنطق القوة فى العلاقات الدولية[45].

جاء خلق الكيانات المستقلة العربية ضمن المخطط الاستعمارى لتجزئة الوطن العربى ورسم الحدود بطريقة عشوائية وتفريق الشعب الواحد بين أجزاء تلك الكيانات، وسيطرة الأنظمة على الاقتصاد واختلاف تشريعاته، ووضع قيود للحد من خروج عوائد النفط عبر الحدود إلى كيانات عربية غير نفطية، وضيق القاعدة الإنتاجية ومحدودية حجم الاستهلاك ومجالات الاستثمار وزيادة أسعار النفط بعد

عام 1973[46]. كل ذلك شجع على خروج عوائد النفط إلى الأسواق الرأسمالية الغربية.

حاولت كيانات المنطقة استخدام عوائد النفط فى التنمية السريعة الخاطئة لتستطيع مجاراة الدول الصناعية الرأسمالية فى بضع سنوات، غير أن تلك العوائد لم تستطع تغيير البنية الاجتماعية والاقتصادية وسد النقص فى الكوادر وانعدام الخبرة. وعدم وجود البنية التحتية المهنية. وقلة عدد السكان والتلاعب والرشاوى والنساء، كل ذلك جعل من الصعب إن لم يكن من المستحيل ابتلاع العوائد الكبيرة، والتى كانت أكبر بكثير من أن تستوعبه كيانات المنطقة، فعلى سبيل المثال، فى عام 1974 لم تجد (60) مليار دولار طريقا لها فى كيانات مجلس التعاون فاندفعت إلى الأسواق النقدية للعالم المسيحى الرأسمالى الذى لديه الخبرة وجهاز مالى وإعلامى لابتلاع عوائد النفط.

رسمت سياسات دقيقة لإعادة تدويرها وتسليف حكوماتها ووضع بعضها فى الودائع الدولارية الأوربية والأمريكية وشراء الأوراق المالية الخزائنية، وكذلك الأموال غير المنقولة ومنح القروض لصندوق النقد الدولى والبنك الدولى للإنشاء والتعمير وبنوك نيويورك وشيكاغو ولندن وزيوريخ وفرانكفورت.

بذلك أصبحت تلك العوائد النفطية المودعة، رهائن للنظام المسيحى الرأسمالى الغربى، ودمجت أنظمتها كشريك خاضع غير كامل الحقوق[47].

أخذت البنوك تقرض المؤسسات والشركات والدول، وخاصة التى بحاجة لسد جوانب العجز فى موازين المدفوعات للدول الرأسمالية الغربية[48]، والتى تمكنت من إعادة تدوير عوائد النفط باستخدام الودائع فى حاجاتها الخاصة كرصيد إضافى لتمويل التوظيفات الداخلية ومعالجة أمراضها الاقتصادية على حساب الدول النامية والدول العربية غير النفطية التى هى بحاجة إليها[49]. على سبيل المثال، استخدمت عوائد النفط لبعض دول المنطقة مثل الكويت فى الاحتكارات الألمانية الغربية بنسبة (30٪) فى شركة «كورف شتال»، و(20٪) فى ميتالغيز لشافت.

و(14٪) فى «دايملربنس»، فى «فلكس فـاكن دوبرازيل» و(10٪) فى الاحتكارات الكيمـاوية «يابروباسف» وفى شركتى «فـانيسمان، اليـندى» كما قدمت السـعودية قروضا كبيرة لألمانيا الغربية فى بداية الثمانينيات[50].

وبناء على معلومات لاتحـاد البنوك السويسرية كان حـتى نهاية عام (1980) أكثر من (300) مليار دولار توظيفـات مالية لكيانات مجلس التـعاون فى العالم المسيحى الرأسمالى، وهى كما يلى:

(118) مليار دولار تخص المملكة العربية السعودية.

(67) مليار دولار تخص الكويت.

(50) مليار دولار تخص العراق.

(35) مليار دولار تخص الإمارات.

(32) مليار دولار تخص إيران

(11) مليار دولار تخص قطر.

نصف هذه المبالغ وضع كرصـيد فى البنوك، والربع كاستـثـمار فى الصناعة وشركـات أخرى، وأجزاء أخرى كـاحتياطى لعـمالة الدولة فى المؤسـسـات المالية العـالمية، وخـاصة الولايات المتـحدة وبريطانيـا [51]. فى حين لم تـدخل العوائد النفطية الأسواق اليابانية إلا متأخرا، وهى إذا ما قورنت بالولايات المتحدة، سوف تزداد فى المستقبل للاستقرار وقلة المخاطر، ولما يتميز به الاقتصاد اليابانى من قابلية للنمو والتطور[52].

عدم وجود الأمن لعوائد النفط فى الغرب المسيحى الرأسمالى:

لا توجد أية ضمـانات لعوائد النفط العربية فى الدول الرأسـمالية، بل على العكس من ذلك مخاطرها أكثـر من فوائدها، وفى مقدمتها ربط مـصالح كيانات مجلس التعاون بمصالح الاقتصاد المسيـحى الرأسمالى مما يحد من استقلالية قرارها

لصالح اقتصادها الوطنى وبالتالى التبعية للغرب المسيحى، حتى أصبحت عوائد النفط العربية جزءا من البنية الاقتصادية للدول الصناعية التى تمارس ضغوطا لتوجيه الأمور بجهة معينة[53]، ورهينة فى أيدى العالم المسيحى الرأسمالى وعلى رأسه الولايات المتحدة، ففى الوقت الذى تدعى «الاقتصاد الحر، وحرية السوق» إلا أنها لن توافق لكيانات مجلس التعاون بسحب أرصدتها أو اتخاذ أى قرار يلحق ضررا باقتصادها الوطنى[54].

جاء فى جريدة الاتحاد الحكومية فى الإمارات بتاريخ 3/ 10/ 1990 بأن الحكومة البريطانية تدرس حاليا إمكانية تقديم تعويضات لجميع المؤسسات والشركات والأفراد البريطانيين الذين تضرروا من غزو العراق للكويت. وذلك من قيمة الممتلكات والودائع العراقية فى بريطانيا.

أوضحت المصادر أن تاتشر (التى كانت فى تلك الأثناء فى نيويورك) ستسعى إلى إجراء اتصالات مع بقية الدول الخمس فى مجلس الأمن تستهدف إقناعها بإصدار قرار يقضى بدفع تعويضات لحكومة الكويت الشرعية. وذلك من قيمة الأصول والودائع العراقية المجمدة فى مختلف أنحاء العالم[55].

تتعرض العوائد النفطية العربية لهزات عنيفة من وقت لآخر نتيجة لانخفاض العملات الأجنبية وخاصة الدولار، وتعرف كيانات مجلس التعاون ذلك جيدا، ولكنها أصبحت حريصة أكثر من الولايات المتحدة على استقرار سعر الدولار، لأن أى تدهور فى سعره يؤدى إلى تدهور فعلى لعوائدها[56] مما جعلها تحجم استخدام النفط أو عوائده كسلاح إذا دعت الظروف القومية كما حدث فى حرب أكتوبر 1973.

أدركت الولايات المتحدة مخاطر حظر النفط، لذا شجعت كيانات مجلس التعاون على زيادة استثمارها، لتعميق تبعيتها للاقتصاد الأمريكى وبالتالى خضوعها لسياستها التى تعتبر امتدادا لمصالح النخبة[57]، فقد ارتفعت استثمارات عوائد النفط فى البنوك والعقارات الأمريكية من ستة مليارات عام 1974 إلى أكثر

من (73) مليار دولار فى نهاية عام 1983 وسجلت عام 1984 حوالى (70) مليار دولار، ماعدا المشاركة فى مجال النفط التى تطورت بين مجلس التعاون والولايات المتحدة[58].

بذلك ارتد سلاح النفط إلى ظهورنا ونحورنا بعد ما كان فى أيدينا، وانقلبت معادلة تسليط النفط وعوائده إلى المبادلة، وأصبح العرب يحافظون على مصالح الرأسمالية المسيحية الغربية التى ترفض المحافظة على مصالح المسلمين العرب[59].

أصبحت كيانات مجلس التعاون ليست المجزء من إعادة استخدام النفط كسلاح سياسى من جديد بقدر ما تتخوف من أن يؤدى ذلك إلى ردود فعل غاضبة من الدول الرأسمالية المسيحية الغربية قد تدفعها إلى تجميد عوائدها المودعة والموظفة لديها[60].

ونتساءل لماذا لاتذهب عوائد النفط العربية إلى الكيانات العربية غير النفطية ويستفيد منها العرب الفقراء بدلا من الأجانب الأغنياء!! وهل هى حرام على العرب المسلمين وحلال على المسيحيين الأجانب الذين خرجوا بفكرة «إعادة تدوير عوائد النفط» إلى جيوبهم وأسواقهم ومصارفهم لحل مشكلاتهم على حساب العرب المسلمين الذين هم فى أمس الحاجة للأموال والاستثمارات التى منعت تنمية اقتصادهم[61]. ففى الوقت الذى تقوم به كيانات مجلس التعاون بإيداع الأموال فى البنوك الغربية المسيحية الرأسمالية والتى بدورها تقوم باقراض الكيانات العربية غير النفطية بفوائد عالية وشروط تعجيزية. ولا تعطى أية أفضلية لهم، برغم أن تلك الأموال أموال لدول مجلس التعاون الخليجى[62]. والنتيجة الطبيعية هى امتلاكها الظاهرى للثراء المادى واحتفاظها فى الوقت نفسه بالتبعية والتخلف الاقتصادى، والذى لا يمكن تجاوزه إلا بإعادة تدوير عوائد النفط فى الوطن العربى، الذى خلق ظاهرة فريدة فى التعامل الدولى. وأصبحت كيانات التبعية والتخلف

الاقتصادى فى الجزيرة العربية تساعد الدول الصناعية الكبرى فى أوربا والولايات المتحدة بفائض أموالها[63].

استثمار عوائد النفط محليا:

ذكرنا سابقا بالنسبة لعوائد النفط التى خرجت إلى العالم الرأسمالى الغربى، ولكن العوائد التى بقيت وهى الجزء اليسير كيف حالها؟ يقول عنها «جون بولوك البريطانى»[64]:

«يتفوق دخل الفرد فى الخليج على دخل الفرد فى أمريكا وفى أى مكان آخر من العالم، ويعتبر واحدا من أكبر الأسواق فى العالم، ولم تكن أى من بلدانه فى الفترة التى سبقت انهيار أسعار البترول قادرة على إنفاق أكثر من (60٪) من دخلها محليا.

هكذا كانت دول الخليج عبارة عن وعاء من العسل جذب رجال الأعمال من جميع أنحاء العالم، وأصحاب المهن الحرفيين والتجار الذين يبيعون أية سلعة قد يحتاجها المرء، والمحتالون التواقون إلى الاستفادة من أكبر منجم للثراء.

ونجحت الولايات المتحدة فى الدخول إلى الأسواق المحلية بأوسع أبوابها التى أصبحت مفتوحة لكل صناعاتها الثقيلة والخفيفة، فبعدما كان حجم الواردات العربية التجارية تمثل فقط (24٪) من حجم صادرات الولايات المتحدة[65]، قفزت تلك الصادرات حتى وصلت عام 1975 حوالى (54) مليار دولار، وفى عام 1982 بلغت (185) مليار دولار قيمة البضائع الأمريكية بدون قيمة مشتريات الأسلحة والخدمات الأخرى التى ارتفعت إلى (355٪) فى خلال ثمانية أعوام فقط (66٪) ثم ازداد هذا الحجم للبضائع التجارية الواردة من الولايات المتحدة حتى بلغ عام 1983 (801٪) من حجم الصادرات الأمريكية الخارجية(67٪) وهى نسبة كبيرة جدا إذا ما قورنت ببقية دول العالم[66].

اعتمدت المؤسسة العسكرية فى كيانات مجلس التعاون على استيراد السلاح من الولايات المتحدة وهى أكثر مجالات الإنفاق الحكومى استنزافا لعوائد النفط

محليا، فقد خصصت وزارة الدفاع فقط وليس الحرس الوطنى فى السعودية فى الخطة الخمسية الثانية 1975 _ 1980 ما يزيد على (78) مليار ريال سعودى أى ما يزيد عن ستة عشر ضعف ما هو مخصص لتطوير الزراعة والمشاريع الزراعية فى الخطة المذكورة[67]، ويقول «جوزيف قشوريا» كبير مستشارى سلاح الجو الأمريكى لشئون الاستخبارات المتعلقة بالشرق الأوسط:

«إن من أهداف السياسة الأمريكية المتوخاة من تصديرها للسلاح بالكميات الضخمة التى تشهدها منطقة الخليج، هو الحفاظ على منفذ استراتيجى إلى المنطقة، ومنفذ أمن إلى مواردها النفطية واحتواء النزعات المحلية والنمو الاقتصادى والتقدم الاجتماعى المستمر وحماية الاستثمارات الأمريكية وتنمية التجارة الأمريكية[68]». وكانت هذه مجرد أرقام وحقائق لعوائد النفط ومخاطرها فى العالم الرأسمالى الغربى الذى يملك أقوى قوة عسكرية إن لم يكن المسيطر على عالمنا اليوم، فهل نضمن أمن عوائد النفط المودعة فى تلك الدول، وهل تستطيع كيانات مجلس التعاون سحب أرصدتها متى وكيف ما تشاء؟ هذا فى حالة الوفاق، ولكن كيف وما مصيرها فى حالة الاختلاف؟ وماذا لو تستثمر بعضها فى الوطن العربى، هل يبقى متخلفا؟ أليس استخدام عوائد النفط فى الكيانات العربية يحقق الأمن القومى ويساعد على التقدم والازدهار والاستقرار!

تحقيق أمن عوائد النفط:

تصدير عوائد النفط إلى الأسواق الغربية قد حرم كيانات عربية فقيرة من فرص استثمار الموارد البشرية والطبيعية والتقنية، وعمق تبعيتها للغرب الرأسمالى وتراكمت فوائد الديون وليست الديون فقط، مما أثقل كاهل اقتصادياتها[69]. وأن لا يكون استثمار عوائد النفط فى الوطن العربى على شكل قروض للكيانات العربية مثل قروض واستثمارات البنك الدولى الذى يتعارض مع الالتزام السياسى للدوافع القومية ولا يحقق الفائدة المرجوة من ذلك، لأن هذه الأموال سوف تتعرض لنهب وسرقة أنظمة الحكم فى الكيانات العربية غير النفطية سواء كان الحكام من العسكريين أو السياسيين[70]، وإنما يجب أن تذهب استثمارات عوائد

النفط إلى تحقيق الفائدة للشعب العربى مباشرة وليس إلى أنظمة الحكم فيها. ولذلك يمكن القول بأن الحل الأمثل لتحقيق أمن عوائد النفط، هو استخدامها فى التنمية الاقتصادية وهذا هو أفضل سبيل[71]. وخاصة فى المجال القومى بصرفها على التنمية الزراعية والصناعية فى الكيانات العربية، وتحسين مستوى الشعب العربى الذى سيقع على عاتقه حماية الأمن القومى[72]. وأن يترك النفط الخام فى مخازنها الطبيعية فى (الآبار)، ولايستخرج إلا بالقدر الذى يكفى لحاجة التنمية المحلية لدول مجلس التعاون الخليجى، وما يمكن استثماره فى الكيانات العربية غير النفطية، ولا بأس بأن تودع جزءا يسيرا وليس كثيرا فى البنوك الرأسمالية واستثمارها بشروط توفر الضمانات الكاملة.

بذلك تقل مخاطر وجود عوائد النفط خارج الوطن العربى بينما بقاؤه فى داخله يحقق الاستقرار للمستقبل مع اتباع سياسة بقاء النفط فى باطن الأرض وباستثماره فى المجال القومى يعم الخير والرخاء أرجاء المشرق والمغرب العربى. ويشكل درعا للأمن القومى.

الخاتمة:

حاولت إعطاء صورة عن التحديات الداخلية لكيانات مجلس التعاون، وأتمنى أن أكون قد وفقت فى دراستى، نظرا للأهمية المستقبلية للمنطقة من جانب وللأمة العربية من جانب آخر.

لا يمكن فصل التحديات الداخلية عن بقية التحديات التى يتعرض لها الوطن العربى، وأتمنى أن يتم علاج السلبيات التى ظهرت مع ظهور النفط، وبدأت تتراكم بحكم التدخل الأجنبى فى شؤون المنطقة، وخاصة القوى الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية بطريقة أو اخرى. وأن علاجها يجب أن يتم مبكرا قبل أن تستفحل أخطارها، وحتى تتمكن من درء تلك المخاطر قبل ظهورها لكى يتحقق الأمن لشعوب وحكام كيانات مجلس التعاون والذى يعتبر جزءا من الأمة العربية ومن الخليج العربى إلى المحيط الأطلسى.

الهامش

(1) ندوة قضية الأمن الخليـجى المفهوم والتحديات. مجلة العلوم الاجتمـاعية. الدور الثانى. يوليو (1980) ص131.

(2) د. خليل الياس مراد ـ حرب الخليج وانعكاساتها على الأمن العربى ص68.

(3) ربورتو اليبونى ـ الخليج والبحر الأحمر ص90.

(4) د. حسن على إبراهيم ـ الدول الصغيرة والنظام الدولى الكويت والخليج ص157.

(5) د. حامد ربيع ـ الأبعاد الاستراتيجية لصراع القوى الكبرى حول الخليج العربى ص77.

(6) د. خليل إلياس مراد ـ المرجع السابق ص 88.

(7) د. خليل إلياس مراد ـ المرجع السابق ص 85.

(8) د. جون بولوك ـ الخليج ص 122.

(9) د. حامد ربيع ـ المرجع السابق ص 77

(10) جون بولوك ـ المرجع السابق ص 128.

(11) د. خليل إلياس مراد ـ المرجع السابق ص 84.

(12) جون بولوك ـ المرجع السابق ص 129.

(13) خالد محمد القاسمى ـ الخليج العربى فى السياسة الدولية. قضايا ومشكلات ص90.

(14) جون بولوك ـ المرجع السابق ص 126.

(15) د. خليل إلياس مراد ـ المرجع السابق ص 84.

(16) جون بولوك ـ المرجع السابق ص 126.

(17) د. حامد ربيع ـ المرجع السابق ص 48.

(18) د. حامد ربيع ـ نفس المرجع ص 49.

(19) د. خليل الياس مراد ـ المرجع السابق ص 87.

(20) د. حامد ربيع ـ المرجع السابق ص 48.

(21) حسين آغا ـ أحمد سامح الخالدى ـ قاسم جعفر قضايا الخليج العربى ص170.

(22) Peter Marsfeild: The New Arabians. P. 256.

(23) د. محمد الرميحى ـ الخليج ليس نفطا ص342.

(24) د. محمد الرميحى - نفس المرجع ص 342.
(25) د. حامد ربيع - المرجع السابق ص 18.
(26) حسين غباش - أمريكا وحقوق الإنسان فى العالم الثالث ص60.
(27) جيفرى ريكورد - قوة الانتشار السريع والتدخل العسكرى الأمريكى فى الخليج ص86.
(28) جيفرى ريكورد - نفس المرجع ص390.
(29) Peter Marnstield: Op. P 25.
(30) د. حسين الإبراهيمى - المرجع السابق ص 156.
(31) د. محمد الرميحى - الجذور الاجتماعية للديمقراطية فى مجتمعات الخليج العربى المعاصر ص 146.
(32) د. اميل نخلة - الاستقرار الداخلى والأمن الاقليمى فى الخليج العربى ص46.
(33) د. غاريت فيتز جيرالد - ميديو كيتاهارا: دراسات استراتيجية: الدراسة (35_36)، السنة الثانية (7_12/1981) ص40.
(34) غاريت فيزجيرالد: المرجع السابق ص 40.
(35) صدقة ريحى فاضل - الأهمية العالمية المعاصرة للخليج ودول مجلس التعاون ص51.
(36) حسين أغار أحمد سامح - المرجع السابق ص 69.
(37) حسين أغار أحمد سامح نفس المرجع ص 69.
(38) أمين هويدى فجوة الأمن القومى العربى، مجلة الفكر الاستراتيجى، العدد الأول، (1981) ص 70.
(39) Fredrick W. Axelgard: United States the Guulf.P.11
(40) صدقة ريحى فاضل - المرجع السابق ص 51.
(41) Caspar W. wein berger: Security Arrangements in the Gulf. P.11.
(42) جوستورك - تسلل المصالح الأمريكية فى الوطن ص8.
(43) د. محمود على الداوود - الخليج العربى والعمل العربى المشترك ص 286.
(44) ندوة قضية الأمن الخليجى - امرجع السابق ص 173.
(45) د. خلدون حسن النقيب - المجتمع والدولة فى الخليج والجزيرة العربية ص 169.

(46) الكس فاسيليف - الخليج العربى فوهات البنتاغون ص 66.

(47) ميشيل لولار - التعاون المالى بين العرب وأوروبا فى مواجهة الاحتكار الأمريكى للعلاقات. مجلة المستقبل العربى العدد (53) فبراير (1989) ص90.

(48) الكس فاسيليف - المرجع السابق ص 67.

(49) نوخوفيتش - جرائم تحت ستار البزنس ص 27.

(50) أدموند رونو - من يهدد منطقة الخليج العربى ص 45.

(51) عبدالأمير رحمة العبود. اليابان والعلاقات مع الخليج العربى ص 71.

(52) أمين هويدى - المرجع السابق ص 71.

(53) د. زهير شاكر - السياسة الأمريكية فى الخليج العربى ص 42.

(54) جريدة الاتحاد الصادرة فى (3/ 10/ 1990).

(55) د. عبدالله فهد النفيسى - مجلس التعاون ص 7.

(56) د. زهير شاكر - المرجع السابق ص 43.

(57) Joseph c. Story: U.S - Arab Relations, the Economid Dimension. p.5.

(58) أمين هويدى - المرجع السابق ص 710.

(59) د. زهير شاكر - المرجع السابق ص 430.

(60) أمين هويدى - المرجع السابق ص 72.

(61) ميشيل لولا - المرجع السابق ص 90.

(62) جون بولوك - المرجع السابق ص 131.

(63) جون بولوك - نفس المرجع ص131.

(64) Joseph C. Story: Op. Cit. P.5.

(65) John Duke Anthony; Goals in the Gulf. Americas Interests and Gulf Cooperation Coucil, P.5.

(66) Joseph c. Story : O. P. Cit. P. 5.

فهرس المحتويات

	الصفحة
مقدمة	5
الفصل الأول: سقوط الحكم البرتغالى فى الخليج العربى فى منتصف القرن السابع عشر	9
الفصل الثانى: الحرب الأهلية العمانية فى النصف الأول من القرن الثامن عشر	39
الفصل الثالث: العلاقات العمانية ـ الظبيانية فى إطار التحالف الهنائى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر	83
الفصل الرابع: السياسة العثمانية تجاه الخليج العربى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر	131
الفصل الخامس: الوضع الاجتماعى والاقتصادى لمدينة الدوحة فى العهد العثمانى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر	159
الفصل السادس: ابن سعود واتفاقية «الصبيحية» مع الدولة العثمانية عام 1914	199
الفصل السابع: رحلة «الساكوب» إلى جزيرة السقطرة.	247
الفصل الثامن: نشأة الجامعات فى شرق الجزيرة العربية	289
الفصل التاسع: التحديات الداخلية لدول مجلس التعاون الخليجى	331

كتب صدرت للمؤلف

1 الأمن السياسي لدول مجلس التعاون
2 الحياة الإدارية في سنجق الإحساء العثماني
3 السياسة العثمانية تجاه الخليج العربي
4 الأفلاج في مدينة العين
5 ابن ماجد الملاح الفلكي
6 العلاقات العربية الإيرانية
7 العلاقات العربية الأسبانية
8 أشراف حضر موت ودورهم في نشر الإسلام في جنوب شرق آسيا
9 الموقف البريطاني من الوجود العثماني في الإحساء
10 إمارة أبو ظبي في عهد زايد الكبير
11 تاريخ العرب الحديث
12 دراسات في الخليج والجزيرة العربية ج1 - ج6
13 دراسات في العلاقات العربية الإيرانية
14 تاريخ الجزيرة العربية الحديث
15 التطورات السياسية في دولة الإمارات العربية
16 الدولة الإسلامية الأولى
17 دراسات في المشرق العربي المعاصر
18 تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر
19 القاجار والجزر العربية الجزء الأول
20 رضا خان والجزر العربية الجزء الثاني
21 محمد رضا خان والجزر العربية الجزء الثالث
22 جمهورية إيران الإسلامية والجزر العربية الجزء الرابع من 1979 – 1997
23 جمهورية إيران الإسلامية والجزر العربية الجزء الخامس من 1997 – 2000
24 تاريخ الكويت الحديث والمعاصر
25 الإمارات من الاستعمار إلى الاستقلال
26 الإمارات بين الماضي والحاضر
27 الحدود السياسية للجزيرة العربية

المؤلف في سطور

- من مواطني دولة الإمارات العربية المتحدة.
- رئيس مركز العيدروس للدراسات والاستشارات ومجموعة العيدروس التجارية.
- حاصل على الليسانس من لبنان والماجستير في التطورات السياسية في الإمارات العربية 1932 - 1971 والدكتوراه من مصر عام 1983 في العلاقات العربية الإيرانية 1921 - 1971.
- عمل في دائرة الإسكان والمشتريات بالحكومة المحلية في إمارة أبو ظبي 1970 - 1973 ثم مديرا للعلاقات الثقافية بالحكومة الاتحادية لدولة الإمارات العربية المتحدة 1979 - 1984، ثم جامعة الإمارات العربية المتحدة 1984 - 1993 وقام بالتدريس في كلية زايد العسكرية في مدينة العين وكذلك بكلية الظفرة الجوية في أبو ظبي، كما شارك في دورة تدريب الدبلوماسيين في وزارة الخارجية بدولة الإمارات العربية المتحدة، ثم في جامعة الكويت 1993 - 2000 ثم في جامعة روتردام الإسلامية بهولندا 2000 - 2002، ثم في القوات المسلحة لدولة الإمارات العربية المتحدة في الفترة من 2002-2006: الأمين العام للجنة الإمارات للتاريخ العسكري، ثم رئيس مؤسسة اسكاندافيا للاتصال الثقافي والتجاري في السويد من عام 2007 حتى الآن، وهو عضو في العديد من الجمعيات العلمية الإقليمية والدولية وعضو في الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب منذ عام 1991 وحتى الآن ورئيس تحرير مجلة دراسات روتردام الإسلامية.
- صدر له أكثر من اثنى عشر كتابا وأكثر من أربعين بحثا معظمها في الخليج العربي والدراسات العربية والإسلامية.

هذا الكتاب

الفصل الأول: سقوط الحكم البرتغالي في الخليج العربي في منتصف القرن السابع عشر.

الفصل الثاني: الحرب الأهلية العمانية في النصف الأول من القرن الثامن عشر.

الفصل الثالث: العلاقات العمانية- الظبيانية في إطار التحالف الهنائي في النصف الأول من القرن التاسع عشر.

الفصل الرابع: السياسة العثمانية تجاه الخليج العربي في النصف الأول من القرن التاسع عشر.

الفصل الخامس: الوضع الاجتماعي والاقتصادي لمدينة الدوحة في العهد العثماني في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

الفصل السادس: ابن سعود واتفاقية "الصبيحية" مع الدولة العثمانية عام 1914.

الفصل السابع: رحلة "الساكوب" إلى جزيرة السقطرة.

الفصل الثامن: نشأة الجامعات في شرق الجزيرة العربية.

الفصل التاسع: التحديات الداخلية لدول مجلس التعاون الخليجي.